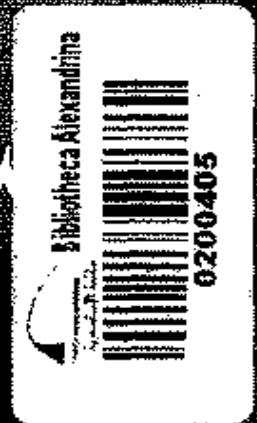


ابراهيم عبد العزيز

سائل طه حسين

تقديم: نجيب محفوظ

ميريت للنشر والمعلومات



إبراهيم عبد العزيز

رسائل طه حسين

تقديم

نجيب محفوظ

ميريت للنشر والمعلومات

القاهرة ٢٠٠٠

مكتبة الاسكندرية

إبراهيم عبد العزيز

رسائل طه حسين

تقديم

نجيب محفوظ

ميريت للنشر والمعلومات

٦ ب ش قصر النيل

القاهرة

تليفون وفاكس:

(٠٢)٥٧٥١٥٠٠

merit56@hotmail.com

المدير العام: محمد هاشم

الطبعة الأولى

القاهرة ٢٠٠٠

الغلاف للفنان:

أحمد اللباد

رقم الإيداع:

٩٩/١٧٦١٩

الإهداء

إلى زوجتي خالصة الشكر
وإلى أبنائي حسن الذكر

المؤلف

الفهرس

- ٧ • تقديم نجيب محفوظ
- ١٣ • مقدمة
- ١٥ • مقدمة بقلم طه حسين .. أنا
- ١٦ • أنا المصرى
- ١٩ • ابنى طه بك حسين
- ٢٣ • مراسلات النحاس باشا.. طه حسين
- ٤٧ • مراسلات طه حسين .. نجيب الهلالي
- ٦٧ • خاص جدا من سهير القلماوى إلى طه حسين
- ٨٩ • جامعة طه حسين
- ٩٠ - أحمد أمين صاحب موسوعة فجر الإسلام
- ١٠١ - عبد الحميد العبادى مؤسس المدرسة العلمية فى التاريخ الإسلامى
- ١١٠ - من أمين الخولى إلى طه حسين: لن يختلسونى!
- ١١٢ - عبد الوهاب عزام خادم الإسلام
- ١١٨ - الإسلام وأصول الحكم بين على عبد الرازق وطه حسين
- ١٢٣ - الشيخ مصطفى عبد الرازق.. أول عمامة فى مجلس الوزراء
- ١٢٨ - مؤامرات السنهورى وتناقضات طه حسين
- ١٢٤ - عبد الحميد بدوى.. أول دكتوراه مصرية فى القانون

- ١٤٥ - سليم حسن و"الردح" في بيان رسمي
- ١٥٢ - أحمد بدوي في بلاد العجائب
- ١٥٨ - من حسين مؤنس إلى طه حسين: عن معركة والت ديزلي ٩٩
في مدريد ٥٤
- ١٦٣ - سعد زغلول يتقد مصطفى مشرفة من لطفى السيد
- ١٦٨ - محمد عوض محمد .. كن طه حسين
- ١٤٧ - جن طه حسين
- ١٨٠ - أزمات طه حسين في الجامعة
- من محمد فريد أبو حديد رائد الرواية التاريخية إلى طه وزير
الفلاحين
- ٢٠١
- محمد كامل حسين صاحب الكتاب الذى لم يرح صاحبه
وقارنه
- ٢٠٧
- إحسان عبد القدوس أمام النيابة
- ٢١١
- من أمين يوسف غراب موباسان الشرق إلى أبى طه حسين
- ٢١٧ • من العقاد إلى طه حسين : أنت تحتاج إلى شجاعة للكف عن
الشجاعة!
- ٢٢٧
- طه يقنع عبد الوهاب بالغناء في أزمته!
- ٢٣٥
- الشعراوى وطه حسين في الأراضى المقدسة
- ٢٣٧
- إصدارات أدبية للمؤلف
- ٢٥٠
- ملحق الوثائق
- ٢٥١

تقديم نجيب محفوظ (*)

لا أتذكر بداية محددة لتعرفى على طه حسين، ولكننى أذكر أننى كنت أعرفه طوال عمري، ولا أدري متى وكيف وأين سمعت عنه، ولكننى عرفت طه حسين الأديب وطه حسين الأستاذ وطه حسين العميد.

ولاشك أننى قرأت الأيام لطفه حسين بجمعة لا مزيد عليها، وأنا لا أزال أتحنن على الكتابة، ولعلنى كنت فى أوائل المرحلة الثانوية، فحاولت تقليدها فى كراسة أو كشكول وأسميتها "الأعوام" على نفس الوزن محاولاً أن أقلد نفس الأسلوب ونفس الطريقة، وأحكى فيها عن نشأتى كما حكى طه حسين عن نشأته. وقد أعطانا طه حسين فى رواياته المعروفة كل نماذج الرواية تقريباً، من رواية السيرة الذاتية فى "الأيام"، إلى الرواية الموضوعية كما فى "دعاء الكروان" إلى رواية الأجيال كما فى "شجرة البؤس" التى هى أول رواية فى اللغة العربية من روايات الأجيال التى لا يخلو عنها أدب أمة فى أوربا، وقد تأثرت تأثراً كبيراً "بشجرة البؤس" وظل هذا التأثير يدمو حتى كتبت "الثلاثية".

وقد ارتبط طه حسين الأديب، فى أذهاننا "بالحرية" والبحث العقلى الموضوعى كمفكر كبير.

ويعتبر طه حسين أحد الرواد مع العقاد والمازنى، وحسين هيكل وسلامة موسى الذين قامت عليهم حياتنا الأدبية فى مطلع القرن العشرين.

فالعقاد شخصية لا تتكرر، والمازنى كان أدبياً عظيماً جداً لم يأخذ حقه فى حياته ولا

(*) من حوار لنجيب محفوظ مع المؤلف عن طه حسين كما أكد هو بخطه فى نهايته.

في موته رغم أنه كان من أدق الناس في الترجمة، وله أسلوب من أجمل الأساليب العربية الأدبية يرشحه لأن يكون الروائي الأول، ولكن كان في المازني شيء من الاستهانة، الله هو الأعلّم بأسايبها ، مما لم يجعله يتخصص في شيء ويعطيه حياته.

فقد كان طه حسين والعقاد والمازني ود. محمد حسين هيكل ، وسلامة موسى، من الرواد الذين لا يقل تقديرى لأحدهم عن الآخر في مجال الأدب.

أما طه حسين الأستاذ فقد كان عميدا عندما دخلت كلية الآداب، ولم يكن بالنسبة لي أستاذا مباشراً للأسف - ولكن في بعض الأحيان بعد الظهر، تكون لنا محاضرة، في الوقت الذي كانت لطه حسين محاضرة قبلها أو بعدها، فأحضرها ، وكنت أرى من تلاميذه في ذلك الوقت، سهر القلماوي، وكان طه حسين في محاضراته يقرأ القصيدة ثم يترك الطلبة يشرحونها، ثم يسألهم في دقائقها:

لماذا قال الشاعر ما قال ، ولماذا لم يقل شيئاً غير ذلك الذي قال ؟ أو أسئلة من هذا النوع، فكانت الدراسة على يدى طه حسين متعة وتربوية وفنية وجمالية جمالاً يفوق الوصف.

أما طه حسين العميد فقد راح يربينا تربية جامعية عظيمة، فبينه على الأساتذة ألا يسمحوا لنا بكتابة المحاضرات ، ولا يجوز لنا أن نقيد في أوراقنا إلا اسم مرجع، أو سؤال نريد أن نسأله . أما أن أقيد ما يقوله الأستاذ وأحفظه، فهذا ما كان يرفضه طه حسين، وكان يقول لنا: اكتبوا المحاضرات مما استوعبته عقولكم ، ولديكم المراجع في مكتبة الجامعة. فكانت تربيته الجامعية لنا تربية عالية جداً. ولذلك اعتبرنا قرار إخراجنا من الجامعة، كارثة، وقمنا بإضراب في كلية الآداب شاركنا فيه بقية الكليات والمدارس العليا.

ولكن طه حسين الذي تظاهروا من أجله في الثلاثينات غضبنا منه في الستينات حينما قام بأول هجوم علني على العقاد بعد وفاته من خلال ندوة تليفزيونية حضرتها، وقال فيها إنه لم يفهم "عبقرية عمر"، ولم تكن نعلم سوى أن العلاقة بين الأديبين الكبيرين هي علاقة مودة وإعجاب متبادل ، فالعقاد يقدم لنا "دعاء الكروان شعراً، وطه حسين ينقده نقداً جميلاً في "الرسالة"، ويهديه "دعاء الكروان" نثراً ياهداء مطبوع:

إلى صديقي الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد.

سيدي الأستاذ

أنت أقمت للكروان ديوانا فخما في الشعر العربي الحديث، فهل تأذن لي أن
أخذ له عشا متواضعا في النثر العربي الحديث، وأن أهدى إليك هذه القصة تحية
خالصة من صديق مخلص".

وفي مسرح الأزيكية اجتمعنا جميعا، وجاء طه حسين وتوج العقاد "أميراً للشعراء"، بعد
وفاة شوقي، وكتب مقالا هزنا جميعا من الأعماق، مقدما فيه حييات تتويجه للعقاد أميرا
للشعراء "لأن العقاد ليس مقلدا ولا يستطيع أن يقلد ولو حاول التقليد لفسدت
شخصيته، وشخصية العقاد فوق الفساد" كما قال طه حسين، فالعلاقة بين الاثنين كما
رأيناها وسمعناها وقرأناها علاقة ممتازة، فماذا حدث حتى يهاجم طه حسين، العقاد بعد
وفاته؟ لقد كان العقاد شخصية قوية مهية محيطة في حياته.

وقد اهتزت صورة طه حسين قليلا بعد هذا الهجوم، فنحن نحب طه ونحب العقاد،
وقد هزنا ما قاله طه في حق العقاد.

وفي الوقت الذي كان فيه العقاد كاتب الوفد الأول، وعلمت أن طه حسين كان
عدواً لسعد زغلول، حزنت وغضبت، وقلت لنفسى يعنى يا دكتور طه بشعيتك وعلو
فكرة الحرية عندك وأنت رجل من صميم الشعب، فأنت مرشح لكى تكون كاتباً لسعد
زغلول، فكيف تكون كاتب الأرسقراطية المصرية؟ هذه لم أفهمها، وربما كان مبعث ذلك
علاقته الشخصية والفكرية بحزب الأحرار الدستوريين.

ولكن بعد إخراج طه حسين من الجامعة، تلقفد "الوفد" وبدأ يكتب فى صحفه
ومجلاته، فبدأت أقرأ له ككاتب سياسى، رغم أنه كان كاتباً سياسياً من قبل، ولكنى لم
أكن أقرأ له حينذاك حيث لم تكن بعد قد تعلمنا قراءة الصحف، حتى بدأت أقرؤه
ككاتب من كتاب "الوفد" الكبار، ثم تبعتها حتى صار مديراً لجامعة الإسكندرية، ثم
وزيراً للمعارف فى وزارة "الوفد" الأخيرة، وكان هو الذى قرر مجانية التعليم فى المرحلتين
الابتدائية والثانوية، وقال: إن التعليم ضرورة كالماء والهواء.

لكل هذا أرى أن طه حسين شخصية كبيرة متعددة الجوانب، تجد فيها الوزير

المصلح، والمفكر الثائر، والأديب المتنوع الممتع، وله أسلوب خاص به مميز، لم تعرف
"العربية" أيامنا أساليب مميزة بمثل هذه القوة سوى أسلوب طه حسين والمنفلوطي.

ورغم أنني أحببت طه حسين إلا أن طبيعتي كرجل منزو، تجعلني أحب من بعيد،
يعنى مثلا أنا أحب العقاد حيا يفوق كل وصف، وكنت أذهب إلى مكتبة "الأخطل" لشراء
الكتب وكنت أجده جالسا يقرأ في الكتب، ولكنني لم أجرؤ أبداً على الاقتراب منه
والتسليم عليه، مقدراً انهماكه فيما هو فيه، فلم أضح يدي في يده طوال عمره رغم
إكباري العظيم له واعتبار نفسي واحداً من تلامذته. كذلك كان طه حسين، ولكن بعد
الثورة وإنشاء "نادى القصة" دعاه المرحوم يوسف السباعي بعد أن اختاره رئيس شرف
للنادي، وقلعنا جميعاً له، فسلمت على "طه" وبدأت معرفتي به، ولم يكن قد قرأ لي شيئاً
أبداً، ولكن المرحوم "أنور المعداوي" الناقد المعروف، قال له: أنت كتبت عن يوسف
السباعي، وأمين يوسف غراب، وغيرهم ممن قرأت لهم، فاقراً لتجيب محفوظ أيضاً، فقبلها
طه حسين، كنوع من الإحراج، فالرجل لديه قراءاته ومستوليته، وقد كنت أهديه
رواياتي كما أهديها لكبار أساتذتي ممن تتلمذت عليهم وأحببتهم وتأثرت بهم، وربما يكون
طه حسين لم يهتم برواياتي في البداية، ربما لأنه لم يكن يعرفني، ومن غير المعقول أن يقرأ
طه حسين كل رواية جديدة تأتي إليه، فلما تعرفت عليه في "نادى القصة" وقدمتني له
"المعداوي" ورجاه أن يقرأ لي، كان من حسن حظي أنه كان راضياً عما كتبت، فقد قرأ
لي أول ما قرأ "زقاق المدق" وكتب عنها مقالا رائعا، ثم كتب مقالا آخر لا ينسى عن "بين
القصرين"، فقد عرض للرواية الأولى وقام بتحليلها وقال: إنها رواية تصل لمستوى
الأدب العالمي، وكتب عن الرواية الثانية مشيدا بما هو أكثر من ذلك.

لقد رفع طه حسين، روي المعنوية للدرجة لم أكن أتصورها، خاصة أن ذلك قد جاء
بعد حرمان طويل من النقد منذ أن تناول أعماله "سيد قطب" و"أنور المعداوي"، فمرت
سنوات طويلة حتى كتب عني طه حسين.

ثم حدث اتصال بيننا، ودعاني لمقابلته في بيته، فكنت أتردد عليه، أحيانا أذهب إليه
وحدى، وأحيانا أذهب بصحبة ثروت أباطة، وفي هذه اللقاءات كان يدور حديث في
الأدب وفي السياسة، وكان يتبسط معنا، ولكن شخصيته كانت تفرض الأستاذية التي ربما

لم يكن يجب أن يظهرها كي لا يضايق الناس بها ، ولكنه رغم تبسطه معنا إلا أننا كنا نشعر بأستاديته وهو يتحدث إلينا.

لقد كان رجلا عظيما مضيئا في شخصيته، وفي إبداعاته ككاتب متعدد المواهب، وفي ترجمته لأدب الإغريق، ومؤلفاته الأدبية والعلمية، فمن ذا الذي يستطيع أن يجمع بين الفن والعلم ويجيد فيهما كما فعل طه حسين إلا أن يكون رجلا عظيما.

وهذا الكتاب لإبراهيم عبد العزيز الذي يضع فيه بين أيدينا وثائق وأوراق ومراسلات طه حسين مع نجوم عصره في الأدب والفن والسياسة والقانون وغيرها من مجالات الحياة، هو كتاب يساهم بشكل كبير في إضاءة شخصية طه حسين وتقريبها إلينا في جميع صورها الإنسانية والنفسية، ويجعلنا نعيش مع رجل ملأ عصره ولا يزال يثير الجدل بعد رحيله، فنراه في حالات القوة وحالات الضعف، ونشاهده في حالات التوافق وحالات التناقض، وكل ذلك وغيره مما تكشفه رسائله ورسائل الآخرين إليه، مما يجعلنا نحبه أحيانا، ونغضب منه أحيانا أخرى، نقرب منه بعض الوقت، ونبعد عنه بعض الوقت، ولكننا في كل الأحوال نعجب بطه حسين ونعجب له، ونحبه ونقدره باعتباره رمزا من أبرز رموز النهضة الأدبية والفكرية في القرن العشرين.

نجيب محفوظ

مقدمة

لعله من سوء الحظ أو بؤسه ألا أعيش عصر طه حسين وأسعد بلقائه وأحفظ له بأحاديث وذكريات كنتك التي تشعرني بالحياة وحسن الحظ كلما تذكرت أسائلتني توفيق الحكيم ومحبي حقى ، ونجيب محفوظ بآرك الله فى عمره .

وظل إحساسى بشئى ينقصنى كلما تذكرت أننى لم أكن من تلاميذ عميد الأدب العربى الذى شغل عصره والناس ولا يزال ، غير أننى حاولت أن أعرض هذا الشعور بالنقص بما فاتنى من حظ عظيم بلقاء طه حسين ، بان أقابل تلاميذه وأحفاده ، ففهم منه بعض صفاته وهم قادرون على أن يصوروه لى فى أحواله كما عاشوها وشاهدوها ، وكان اهتمامى الأكبر يقوم على استجلاء الوجه الإنسانى للعميد ، ثم مضيت فى مسعى لأعثر على كنوز طه حسين وهى أوراقه ومراسلاته ووثائقه والتي عكفت على الحصول عليها بمعرفة السيدة الفاضلة منى الزيات حفيدة طه حسين التى أتاحت لى الإطلاع على كل ما ترك طه حسين من تراث ظلمت أتابعه بضعة أسابيع بمنزل الحفيدة حتى استطعت أن أحوز هذا الكنز لأتيح للقارئ المصرى والعربى متعة الإطلاع عليه فى هذا الكتاب وكتب أخرى بدأت بكتاب "أوراق مجهولة لظه حسين ، و"أيام العمر" رسائل خاصة بين طه حسين وتوفيق الحكيم" ثم هذا الكتاب الذى بين يديك ، يتلوه آخر - إن شاء الله - لتكشف الكثير من عالم طه حسين كأننا نعيش معه ونتحرك معه ونفعل معه ، ونضحك معه . ونحزن معه .. إلخ . إنها حياة كاملة تعيشها مع طه حسين كأنه لا يزال حيا يتحرك بيننا وقد بعث الحياة فى نجوم عصره ، منهم من نعرفهم ومنهم من صاروا مجهولين بالنسبة لهذا الجيل والأجيال القادمة ، فحرصت على ألا أفصل طه حسين عنهم أو أفصلهم عنه ، فهو النجم الذى تدور حوله كل النجوم لا يخفيهم ضوءه الساطع ، أو يطفى عليهم ، بل يضيئهم ويعرفنا بهم وبحياتهم وبجهودهم وبريادتهم وأفضالهم على العلم والثقافة والأدب والتاريخ والآثار والقانون .. وغيرها من المجالات التى أنشأت بها مصر نهضتها الحديثة والمعاصرة ووضعناها فى طريق عصر التنوير الذى

نحن بحاجة إلى العودة إلى رموزه نستلهم منهم العون والقُدوة والإرادة والعزيمة، وروح الشَّابرة والتغلب على الصعاب وتجاوز كل المعوقات مهما كانت وأيا كانت ، ولنا في طه حسين وصحبه المثل والقُدوة ، وتلك هي رسالة هذا الكتاب أن تتمثل طه وصحبه في أحوال قوتهم وانتصارهم، وأن نعلمهم في أحوال ضعفهم ، ونحزمهم في أحوال انكسارهم، لأنهم في النهاية بشر وإن تميزوا ، وعلينا أن نستفيد من هذا الامتياز بتكراره إن أمكن، واستكمال ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وإحيائه بما أتبع لنا من ظروف التقدم المعاصرة ، فلاشك أن ظروفنا أفضل منهم، لأنهم هم الذين بدأوا وزرعوا ، وكم تكون البدايات صعبة ، ونرجو أن نكون قد استفدنا من غرسهم فلا نهمله ، واستفدنا من إنجازاتهم فحاولنا أن نضيف إليها.. إن طه وصحبه ليسوا مجرد أشخاص بل إنهم يمثلون عصراً جديداً بدأوه وعلينا أن نستكملهم بروح عصرنا نحن لكسب نلتحق بالمتقدمين بين الأمم. فلطه وصحبه الشكر على ما أنجزوه لنا ، ولأسرة طه حسين والسيدة الفاضلة منسى الزيات كل الشكر والتقدير والعرفان.

كما أشكر تلك الصحبة الجميلة من الأصدقاء الأعزاء الذين تعاونوا على ظهور هذا الكتاب إلى النور بداية من العظيم الأستاذ نجيب محفوظ صاحب نوبل الذي لم يبخل بثأله على ما قدمت من كتب ولم يردد في التعاون لتقديم هذا الكتاب الذي خصه بذكرياته عن طه حسين، فله منى ما يعجز الشكر عن الوفاء به لهذا الرجل الذي يمتد نسبه إلى أصول الشجرة المباركة للرواد الكبار، ولزميلي في مهنة البحث عن المتاعب الأستاذ حلمي التميم الشكر على متابعتة ليلاذ هذا الكتاب منذ أن كان فكرة حتى صار حقيقة واقعة وهكذا دائما يكون الموهوبون الذين يسعون لنجاح غيرهم بقدر سعيهم لأنفسهم ، أما الناشر الأستاذ محمد هاشم التحميس دائما للشباب يعمل وينجح بهم ، فله منى بكل حروف الكتاب التي صابق بها الزمن فسبقته، كل ما يمكن من الشكر وكل ما استطع من تحية، وإلى القارئ العزيز نرجو أن يكون ما بلدنا من جهد على مستوى الأمل الذي من أجله سعى إلى هذا الكتاب وقضى وقتنا بين صفحاته.

إبراهيم عبد العزيز

مقدمة بقلم طه حسين

أنا (*)

إن كان حقا أن بعض الناس يعرفون أنفسهم معرفة تتيح لهم أن يتحدثوا فيسرفوا أو يوجزوا في الحديث عن أنفسهم تلك التي يعرفونها أو يزعمون أنهم يعرفونها، فإنني لا يضيرني أن أعترف بأنني لست أعرف نفسي.

ولكنني أعرف في نفسي إلى ذلك خلافا قد يعرفها بعض الناس وقد ينكرونها، أعرف فيها أنها نفس مؤمنة لا يزها عن إيمانها أن تكون على رأي والناس جميعا على رأي، لأن إيمانها إيمان القلب والعقل جميعا.. وأعرف فيها التصميم حين تريد، لا يتحرف بها عن الغاية التي تريد أن تنكأدها عقبة من العقاب، لأنها لا تريد حين تريد إلا مؤمنة إيمان القلب والعقل والضمير، وأعرف فيها الصبر على بأساء الحياة ونعماتها جميعا، فما تعرف اليأس حين يلهم الخطب، ولا البطر حين تسيطر ظلال النعمة، لأن يؤس الحياة ونعماءها أعراض تزول.

على هذا الإيمان، وهذا التصميم، وهذا الصبر، مضيت في الحياة منذ كنت فما أنكرت مرة عاقبة من عواقب أمر مضيت فيه.. وأغلب الظن أنني سأمتضي على ذلك ما بقي من حياتي، حتى يتحقق لي أو يتحقق للذين يشهدون عاقبة أمرنا كله بعد أن نصير ذكرى في ضمائر الأجيال المستقبلية. أن الإيمان، والتصميم، والصبر، هي الحياة، الحياة التي تحقق معنى وجود الإنسان الحسي الممتد بأثاره في الإنسانية الباقية..

طه حسين

(*) تحت هذا العنوان أملى طه حسين هذه السطور عن نفسه وهي كما نراها في صورتها بها كثير من الشطب والتعديل وكان طه حسين أراد أن يعرفنا بنفسه في سطور قليلة مركزة مضبوطة العبارة والمعنى.

أنا المصري (*)

قبل لنا ذات يوم حين كنا طلاباً للعلم في باريس أثناء الحرب الكبرى أن الحكومة الفرنسية قد رأت لأمر من أمور الحرب أن تخضع الأجانب في فرنسا لملاحظة دقيقة، ومراقبة شديدة ، وأن تعلم من أمرهم ما ظهر وما بطن، وأنها من أجل ذلك قد فرضت على كبل اجنبي أن تكون له تذكرة شخصية يستخرجها من إدارة الشرطة.. في البلد الذي يقيم فيه ، وأن هذا الاجنبي ملزم أن يظهر هذه التذكرة كلما طلبت إليه أثناء إقامته وسفروه، وأثناء استقراره واضطرابه ، وحين يكون عاكفا على الدروس في داره ، أو جالساً إلى السمر مع أصحابه في ناد من الأندية.

وما هي إلا أيام حتى تلقى كل واحد منا دعوة إلى إدارة الشرطة في الحى الذى كان يقيم فيه، وكلف أن يصطحب الأوراق التى تثبت شخصيته.

فذهبت صباح يوم من أيام الجمعة إلى إدارة الشرطة في ناحية من أنحاء الحى اللاتينى، وهناك دخلت على رجل فرنسى شيخ ، ما أرى إلا أنه كان خليقاً أن يحال إلى المعاش لولا أن الحرب كانت تصرف الشبان والكهول إلى الميادين، وتضطر الدولة إلى استبقاء الشيوخ، وأشباه الشيوخ في أعمالهم.

وكان هذا الرجل موظفاً فرنسياً بأدق ما هاتين الكلمتين من معنى، فإن للموظفين الفرنسيين عصالاً يمتازون بها عن الموظفين في البلاد الأخرى. هم أحرار العقول، ولكنهم محافظون أشد المحافظة في أعمالهم الفنية، وهم من أجل هذا يمتازون بشتين متناقضين أشد التناقض: عنف ظاهر، ورقة مسترة. فأما عنفهم فينبجاً الاجنبي ويغيظه وعملاً قلبه اضطراباً وهلعاً، وأما رفقهم فتسحر الاجنبي وعملاً قلبه اطمئناناً وأماناً، ولكنها كما قلت خفية مسترة لا تستكشف إلا بالصبر والبحث وطول المزاولة والاخبار.

أدخلت على هذا الموظف الفرنسى فلقينى في هذه الغلظة العنيفة التى أشرت إليها، والتى كنت أعرفها حق المعرفة، فلم أكن أحفل بها ولا أسفق منها، وجعل يسألنى عن اسمى، واسم أبوى، وعن تاريخ مولدى، وتاريخ رحلتى إلى فرنسا. وأسباب هذه الرحلة.

(*) الراديو المصرى ٥ يونيو ١٩٣٧ - العدد ١١٦.

وكان يلقي على هذه الأسئلة كأنه قاضى التحقيق حين يسأل منهما مخوفاً ، ولكنى كنت أسمع منه وأرد عليه مبتسماً راضياً، كأنما كنت أسمع منه مداعبة ومزاحاً. ثم انتهى السؤال والجواب إلى جنسيتي، وكنت قد سافرت من وطني مصرياً خاضعاً لسيادة الترك العثمانيين ، ثم أعلن أصدقائنا الإنجليز حمايتهم بعد ذلك، ولكنى لم أحفل ولم أفكر فيها ولم يتخطر لي أنها ستكون ذابال في يوم من الأيام ولم أفكر على أى حال في أن هذه الحماية ستتمسنى من قريب أو بعيد. فلما سألتى هذا الموظف الفرنسى عن جنسيتي؟ أجبت: بأنى مصرى.

فاستعاد الجواب ، ثم قال مبتسماً مغيظاً في وقت واحد: ولكن هذه ليست جنسية.

قلت : لا أعرف إلا أنى مصرى.

فضحك في شئ من السخرية، ثم ظهرت ناحية من نواحي الخلق الفرنسى الذى يمتاز به الموظفون الفرنسيون ناحية الحاجة إلى البحث والفهم والاستقصاء ، يجوز ذلك أشد الحب ويقدمون عليه مع ذلك كارهين متناقضين، لا يحقون ضجرهم وتبرمهم.

نهض هذا الموظف إلى كتب ودفاتر، فاحتلمها ووضعها أمامه، وجعل يقلب أوراقها، وبطيل النظر فيها ، وكأنه قد نسي نسياناً تاماً، وانصرف إلى بحث علمي شغل به ساعة على أقل تقدير، ثم التفت إلى مشرقا، وقد بعث من حلقه آهة المنتصر المظفر، وضرب ييده على المائدة كأنه قد تخفف من عبء ثقيل وقال:

لقد عرفت الآن صفتك السياسية فأنت رعية عثمانية ومحمي بريطاني!

قلت مغيظاً: فإنى لا أعرف إلا أنى مصرى.

قال ضاحكاً: أنت مصرى ما في ذلك شك ، ولدت في قرية من قرى مصر، ولكن هذا لا يمنحك جنسية سياسية لأن هذه الجنسية المصرية غير موجودة، وقد كنت قبل إعلان الحرب رعية عثمانيا ، فلما أعلنت الحماية أصبحت محمياً بريطانيا، وسنرى بعد انتهاء الحرب واستقرار الأمور، ماذا تكون ، وإلى أى حال يصير امرك وأمر مواطنيك.

ثم أتم عمله وأعطاني هذه التذكرة الشخصية التى سجل فيها أنى رعية عثمانى ومحمي بريطاني، والفرقا ، وإنه سعيد سعيد مغيظ لأنه قد ظفر من نفسه بحمل مشكلة من مشكلات القانون الدولى، وإنى لمغيظ محقق أشعر بالإهانة فى أعماق نفسى لأنى أحمل جنسية لا أعرفها، وحماية لا أريدها، فلست من الترك ولا من الإنجليز فى شئ ، وإنما أنا مصرى ، ومصرى ليس غير .

.. وكنت أحس كلما ذكرت هذه القصة فى ظرف من الظروف التى أشرت إليها كأن عشا ينحط عني، وكأني أخلص من بعض الخرج، وكأني أسرد من الحرية حظاً لم أكد أملكه، حتى إذا

كان يوم صيف (حين حصلت مصر على استقلالها وصارت عضواً بجمعية الأمم ومعرفاً بجنسيتها المصرية طبقاً لمعاهدة ١٩٣٦) أحسست نفسي حراً طلقاً وأحسست هذه الحرية عذبة سائغة، تشبع في القلب فتملؤه سروراً وغبطة، وتشبع في النفس فتملؤها إباء وكبرياء.

وتظهر آثار هذا كله على وجهي الذي كانت تلقي عليه مشقة العمل في العام الجامعي غشاءً مظلماً قائماً، فإذا هو يشرق ويشبع فيه الابتهاج، وعلى لساني الذي كان يثقله الجهد والعناء، فإذا هو ينطلق بألوان من الحديث إلى كل من لقيت في هذه الأغلal النقال التي حطمت عن مصر في أقل من عام..".

".. إني لا أكتب هذا لأحدث في شأن من شئون السياسة، بل أكتبه لأعرب عن شعور من حقي الطبيعي أن أعرب عنه، وهو شعور الابتهاج بالاستقلال^(*) وأسأل نفسي، ويسأل المصريون عما يمكن أن تكون عليه سيرتنا بعد الاستقلال"^(**).

طه حسين

(*) رغم أن معاهدة ١٩٣٦ حققت استقلالاً ناقصاً لأن الاحتلال كان لا يزال قائماً، إلا أن ما حققته من مكاسب لا يمكن التقليل من أهميتها بالنسبة للظروف التي تمت فيها، ويكفي للدلالة على ذلك تلك القصة التي رواها طه حسين وما فيها من شعور بالهبة لأنه ليس له وللمصريين جنسية مصرية، فاستردوها بطلب المعاهدة كما يمثل استرداداً لشخصيتهم.

(**) أجاب طه حسين عن هذا السؤال في كتابه "مستقبل الثقافة في مصر" وكان مدركاً أن ما كسبته مصر هو "بعض الحقوق".

ابنى طه بك حسين

لم يكن الكاتب الأمريكى "رونالد روبينسون" فى كتابه "أهم مائة شخصية فى العالم" مبالغا حين وضع اسم طه حسين "لا بين الشخصيات المائة المختارة لحسب بل ضمن التصنيف الأضيق: بين الرجال العشرة الذين طبعوا عصرهم أيضا: مع برتراند راسل وتشرشل وأينشتين..". وغيرهم، ولم تكن الفتاة الفرنسية "سوزان" تعلم وهى تقبل الزواج من الفتى المصرى الكفيف طه حسين أنه سيحوز مثل هذا المجد ، وإن كانت تعلم يقينا أن عليها أن تأخذ نصيبها من كل الشئ التى اختصت بها الحياة، الرجل الذى أحبه، ويقدر فرحتها بالنجاح الباهر الذى حققه طه حسين فى الحصول على الدكتوراة التى كانت خير عون له فى اجتياز امتحاناتها، بقدر قلقها الذى ساورها وهى فى الطريق مع طه حسين لزيارة والديه فى صعيد مصر بكوم أمبو حيث كانا يعيشان آنذاك، فكيف استقبلها الشيخ حسين على سلامة. والده، وكيف استقبلتها والدته، إن سوزان نفسها تحكى قصة هذه اللحظات بما حملته إليها من مفاجآت غير متوقعة.

لتقول : استقبلى بحرارة..

قال عمى لابنه: سأخرج مع زوجتك، فلا تشغل بنا.

تناول ذراعى وقمنا معا بجولة فى البلدة. لن يبدو أمرا خارقا لشباب اليوم أن يتنزه شيخ وقور معمم مع امرأة شابة سافرة، أجنبية ومسيحية تعتمر القبعة لكنه كان كذلك فى تلك الحقبة. ولم أنس هذه اللقطة على الإطلاق عندما يتحدثون عن العصب الإسلامى لا أملك نفسى عن الابتسام أو الغضب.. هذا الرجل الذى كان ذا مهنة بسيطة ولاشك ، لكنها تتيح للأسرة حياة كريمة، والذى كان يحب القراءة والحوار مع الوجهاء، وكان يتميز بميزة طبيعية أدهشتنى : فقد كانت عيناه الزرقاوان تتألقان بدهاء محبب، ولم أدهش للاحترام الذى كان يلقاه فى القرية. أما حباتى ، فقد انصرفت بكليتها لتأمين راحتي وراحة طفلتى الصغيرة . كانت الحوالة المائتة التى أرسلها والد طه هى التى سمحت لنا بشراء عربة للطفلة. كان يحدثنى عن أبويه بخنان".

وعندما سألت الراحل محقق التراث المعروف إبراهيم الإيسارى الذى عمل سكرتيرا لطفه حسين على مدى ربع قرن ، عن صلة العميد بوالديه ، حدثنى قاتلا: كان يحب والديه. وعندما توفيت والدته وهو وزير للمعارف، كنت من الذين ذهبوا معه لدفنها، وقد رأيت له للمرة الأولى يبكى، فقد كان حزينا جدا لفقدته والدته التى كان يبرها كثيرا فى حياتها، وأذكر حين زارته فى

القاهرة، أن قام باصطحابها لزيارة أولياء الله الصالحين كسيدنا الحسين ، وكنا نستقل لذلك سيارة، وحين نصل إلى أحد الأولياء يطلب مني طه اصطحاب والدته للزيارة، فلما سألته في المرة الأولى أن يكون هو في صحبتها، أفتنى بأن سهولة تعرف الناس عليه سوف يفسد الزيارة".

وعند ماتت والدته كان طه حسين "مفتور القلب مفجوع الفؤاد على فقد أمه الغالية"^(١)

وهكذا كان طه حسين يلقى الحب من والده، ويتفقون هم البر منه، وكان قلقهم الشديد عليه إبان الأزمات التي عاناها، ولعل من أخطرها أزمة "في الشعر الجاهلي" التي رغم براءته مما نسب إليه فيها إلا أن نعتة هذا الكتاب ظلت تطارده حتى يومنا هذا، وكان من الطبيعي أن يقلق عليه والده أشد القلق وهو يرى ابنه عرضة للاتهامات "والحملات القاسية في الصحافة، والشتم، والتهديد بالموت الذي كان وراء إقامة حراسة على مدخل بيتنا أمام باب الحديقة خلال عدة أشهر" كما تقول سوزان.

وكان والد طه يحاول الاطمئنان عليه من خلال الخطابات، وكان طه يطمئنه قائلا:

"أبي أنت أوصيتني بألا أصدق كل ما أسمع وأنا أوصيك بألا تصدق كل ما تقرأ".

معذور جدا

ولم يكن طه حسين في مواقفه وكتابات باحنا عن الشهرة أو المال، بل باحنا عن قيم التوير والتحضر والرقى والإنسانية، تحكى لى حفيدته منى الزيات فى حوار معها قبل خمس سنوات ، وقبل رحيلها للاستقرار بأمریکا، إن طه حسين "كان يحب العدل ويكره أن يهيد أحد عنه، وكان له أخ تزوج اثنتين، فقاطعه طه حسين طوال عمره ، ولما سأله أبوه الشيخ حسين على سلامة: ولماذا تقاطع أخاك بسبب زواجه من اثنتين؟

فقال طه حسين: إنه لا يكره فكرة الزواج بأكثر من واحدة إلا لشيء هو تجنب العدل، لأن الله رغم أنه أحل تعدد الزوجات فقد ورد فى محكم آياته "ولن تعدلوا".

ومع الحوار الأبوى القائم بين طه حسين ووالده، فقد كانت الخطابات وسيلة أخرى من وسائل الاتصال بين الابن وأبيه.

(١) محمد رفعت المستشار الفنى لوزارة المعارف - الهلال يناير ١٩٥١.

بين أيدينا رسالة كتبها والد طه إلى ابنه في الرابع من أكتوبر ١٩٣٨، وكان طه يشغل منصب عميد كلية الآداب، وفي الخطاب النادر يتوسط الشيخ حسين لنجل ابن عم طه الذي طرد من المدرسة لعدم قدرته على دفع المصروفات. ولعل مثل تلك المواقف هي التي دفعت طه حسين ليطلب بمجانبة التعليم للجميع بحيث يصبح في متناولهم كالماء والهواء، ولنقرأ هذا الخطاب النادر بخط والد طه حسين، وسوف نجد فيه قطعة من الأدب الأبوي الرقيق تدل عليه هذه العبارات التي جاءت في هذا الخطاب، فهو يخاطبه بقوله:

"نجلى حضرة صاحب العزة الدكتور طه بك حسين" وهو يحرص على ألا يتقل على ابنه لولا الضرورة فيقول له: "فاضطرت لتكرار رجائي" ثم يؤكد "وأخ في الرجاء" ثم يبرر ذلك بقوله "ووالدك معذور جدا في هذا الإلحاح" ويبدو أن ضغط أسرة ابن عم طه حسين كان شديدا على والده لاعتقادهم أن قريتهم عميد الأدب العربي يمكنه بتفوقه أن يخدمهم ويحل مشكلتهم.

لنقرأ نص الرسالة وما يهمننا فيها هو هذا الاحترام من الوالد لولده وأي ولد هو؟

يقول الشيخ في : ١٩٣٨/١٠/٤

نجلى حضرة صاحب العزة الدكتور طه بك حسين

أقبلك ألف قبلة وأدعو لك بدوام الرفاهية وكمال الصحة وأرجو أن يكون أفراد الأسرة الغالية بخير: (وبعد) لم يصلني ما يطمئني على مسعاكم في مسألة حفيدنا "محمد ربيع" نجلى عبد الحميد ابن عمكم خالد وقد حضر بطرفي مسرورا ومتاثرا جدا إثر محادثتكم له تليفونيا ومستبشرا بقبول رجائه.

وقد عرفني بأن ابنه طرد من المدرسة لعدم دفع المصاريف. وجميع أفراد عائلته في زعل شديد بخافة ضياع مستقبل ولدهم، ولما لاحظت حالته تستدعي الشفقة هالتي ذلك فاضطرت لتكرار رجائي، وأملى عظيم في أن تجعلوا هذه المسألة المكانة الأولى من هممكم، وأنا موقن تماما بل أضعاف هذه المسألة ميسورة لديكم، ونظرة بسيطة من السهل جدا تقريرها، فأرجو وأخ في الرجاء، ووالدك معذور جدا في هذا الإلحاح لأهمية ذلك لدى خصوصا وأن في استطاعتكم تنفيذ هذه الرغبة.

والسلام عليكم ورحمة الله

والدكم

حسين على سلامة

ولم يكن غريبا بعد ذلك أن يتقد طه حسين نظام التعليم والمسؤولين عنه في المجلس الأعلى للتعليم الذي "ليس بين أعضائه من يعرف لدع الجوع، وليس بين أعضائه من يعرف انكسار النفس حين يرد ابنه عن المدرسة لأنه لم يدفع المصروفات فيعود إليه باكيا تفسل الدموع الغزار وجهه الصغير".

ويؤكد طه حسين أن التعليم حق للناس جميعا، وأن على الدولة أن تيسره لهم بلا تكلفة لهم وأن تزيل من طريقهم العقبات، وأن مصر هي البلد الوحيد في هذا العصر بين بلاد العالم الذي يشقى الشعب فيه بتفقات التعليم".

بل يطالب طه حسين "الحكومة" أن تعفي المصريين لا من نفقات التعليم وحده ولكن من نفقات الغذاء أيضا". ولا يوك لها عنرا لأنها مسئولة وإن لم تفعل فهي مقصرة "والحكومة التي تحتفل هذا التقصير ليست خليقة للبقاء في مناصب الحكم" ويذهب طه حسين إلى رؤيته الأبعد في مجانية التعليم لمحاربة الجهل والفقر والمرض ويرى أن "الخطوة الأولى في سبيل محاربة هؤلاء الأعداء الثلاثة إنما هي أن تعلم الصبية والفتية، ونكفل لهم طعاما مريئا، ولعبا هنيئا، وصحة موفورة، دون أن نتقاضى أباءهم على ذلك أجرا يعجز أكثرهم عن أدائه".

مراسلات

النحاس باشا - طه حسين

في الوقت الذي كان فيه طه حسين يفكر في الانتحار بعد أن ضيقت عليه ديكتاتورية رئيس الوزراء إسماعيل صدقي ، سبل العيش والحياة لرفضه رئاسة تحرير جريدة "الشعب" المتحدثة باسم حزب الديكتاتور، تقدم مصطفى النحاس باشا ليعرض عليه المشاركة بقلمه في تحرير صحيفة "كوكب الشرق" إحدى الصحف الناطقة بلسان حال "الوفد" ، ويستقبله النحاس باشا مرحبا به على صفحات "كوكب الشرق" حين كتب بخط يده "وإني لمغيبط باشراك النابغة الكبير الدكتور طه حسين في تحريره على المبدأ الوفدي" ويعاهد طه حسين قراءه على "الإخلاص في القول والعمل، والصدق في الرأي" ، لتبدأ بذلك رحلة من الصداقة بين زعيم الفكر طه حسين ، وزعيم الأمة مصطفى النحاس توجت باشتراك طه في الوزارة الأخيرة للنحاس كوزير للمعارف . وقد جرت بين الرجلين الصديقين حوارات ومراسلات .

ومن الطريف أن نعرف كيف كان موقف طه حسين من زعيم الوفد الأول سعد زغلول وجملته عليه بسبب عدم احتفاء سعد به حين التقيا وموقفه منه أثناء أزمة الشعر الجاهلي، ثم كيف كان موقف طه من زعيم الوفد الثاني النحاس باشا إلى درجة أن يصفه بأنه "زعيم المؤمنين" مما قدوه له النحاس، ويظهر ذلك واضحا في التلغراف الذي أرسله في إحدى المناسبات من الإسكندرية: إلى حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك ... الزمالك .

لعميد الأدب العربي شكر وتقدير ونحية وتهنئة، أبقى الله لي إخلاصك المكين ووفاءك المتين، وبارك فيك هذا الوطن الأمين.

مصطفى النحاس

في طريقنا إلى لندرة

وأثناء الوزارة الثالثة للنحاس يكتب النحاس خطابا فيما يبدو أنه رد على خطاب لطله حسين الذي يبدو أنه كان يعتبر له عن الإطالة في الكتابة إليه ، ويشير النحاس في خطابه إلى أثر معاهدة ١٩٣٦ والفرح بها، وهي المعاهدة نفسها التي ألغاهها النحاس بنفسه بعد أن استنفدت أغراضها. يقول النحاس في رسالته:

رئاسة مجلس الوزراء

مكتب الرئيس

الإسكندرية في ٦ أغسطس ١٩٣٦

عزيزى الدكتور طه حسين

لقد كنت على العكس أحب أن تطيل فى الكتابة إلى لأن مثل هذه العواطف الخالصة التى بلغت الغاية فى التعبير عنها هى راحة لنفس المكثود وعون على أشق الجهود وزاد فى مواقع الجهاد أى زاد .

أما المحادثات فقد علمت من غير شك أنها آتت ثمرتها ووقعنا بحمد الله الاتفاق يوم الأربعاء الماضى والجميع مغتبط راض بهذا الاتفاق ، والأمة فى فرح منه عظيم .

نرحب مصر باذن الله يوم الاثنين المقبل ١٧ أغسطس ١٩٣٦ فنصل باريس يوم السبت صباحا فى طريقنا إلى لندرة . (هكذا كتب النحاس باريس ، ولندن).

أطيب الأمنى لزوجك الفاضلة ومجلىك ، وصادق حى لك .

المخلص

مصطفى النحاس

فى الربيع

ولأن طه حسين كان يهدى كتبه إلى النحاس فإن النحاس بدوره كان يرد على تلك الرسائل بآرائه وملاحظاته النقدية التى تروينا وجها آخر للزعيم بالمهم بالفكر والأدب، ولتقرأ معارده على طه حسين بعد أن أهداه "الأيام" فى جزئها الثانى.

يقول النحاس فى رسالته:

مصر الجديدة فى ٥ إبريل ١٩٤٠ .

عزيزى حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك .

قرأت هديتك الجزء الثانى من كتابك "الأيام" فراقنتى فيه سلامة التعبير ودقة التصوير . ولقد اجتذب إعجابى أوله حتى آتت آخره وخرجت منه بأشياء فيها الكثير من الطرافة والعجيب من الوقائع .

رأيت فيه وصفا صادقا لحياة الشغلف والضيق التى عانيتها . حياة كنت أمينا جد

الأمانة على وصف كل ما فيها فذكرت شرها وخيرها وأنصفت من شاركتهم فيها أو أشركوك هم فيها، في غير تجن ولا إنكار لحسنات من أحسن منهم. وإن كنت قد تفاضيت عن سوءات من أساء منهم فلم تشأ أن تذكر أشخاص المسيئين ، شأن رجل الخلق والعبء وسعة الصدر.

ولقد استطعت براعتك الوصفية وسيرك فيما كتبت مع الطبيعة والحقيقة أن تنقل بقرائنك إلى الحياة التي حيتها حتى يحسون كأنهم شاهدوا عيشتك في "الربيع" وراوا ما ذقت من المر، وحتى لتأخذهم الشفقة ، بل والغضب لذلك الفتى المسكين الذي قضى بعض سنى حياته مهملاً في ركن من حجرة يأكل وحده ويفكر وحده ويتعلم وحده، ويهمس في كثير من الأوقات حتى من أخيه الشيخ، ثم ليأخذهم الإعجاب بالفتى والغبطة له والانتصار لرأيه حتى يصلون إلى أنه استطاع بذكائه وحرية فكره والفتنائه بما يدافع عنه أن يكون شيئاً مذكوراً ينظر إليه ويؤبه له ويهتم به .

وكذلك العقيدة إذا خالطت قلباً مؤمناً بها تغلبت على كل عقبة وتخطت كل خطر وقضت على كل ما يقف دون إبرازها وانتفاع الناس بها.

وهكذا حرية الفكر إذا صادفت نفساً أعدها الله للذود عنها كتب لها النجاح الذي كتب لك وصادفها التوفيق الذي صادفك.

ولا أكتمك أن كتابك زاخر بالصور الفنية الطريفة ، والوقائع الحقيقية الرائعة ، فهو جدير بأن يقرأ ويقتنى .

على أنني لا أختم كلمتي هذه إليك قبل أن أشكرك وأنتى عليك بصالح أنت له أهل. نفع الله بك العلم وطلابه وأجزل لك جزاءه وثوابه .

المخلص

مصطفى النحاس

لغة القرآن

ويعلق النحاس باشا على كتاب آخر لطفه حسين أهده له بعنوان "على هامش السيرة" فيكتب إليه هذه المرة بخط مطبوع على الآلة الكاتبة أثناء وزارته الخامسة فيقول :

عزيزى حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك

تحية مباركة طيبة وبعد، فلقد تلقيت هديتكم الكريمة "على هامش السيرة" ، بما هسى أهل له من التقدير وحس القبول ، وشكرت لكم كلمة الإهداء الرقيقة التى وجهتموها إلى . والحق أن القارئ ليجد فى كتابك من إمتاع الخيال والعاطفة ما لا يجده فى غيره ، فيمضى فى قرأته إلى نهايته مأخوذاً بما فيه ، لا يملك عنه انصرافاً ، ولا يجد عنه حولا .

لقد أضفيت فيه من فنك ما جعل له جاذبية ينشط معها الخيال نشاطاً يذهب بفوارق الزمان، وحدود المكان ، فيعيش القارئ مع أشخاص كتابه فى وقتهم ويبتهم حتى وكأنه يبصر ما يعملون ، ويستمع إلى ما يقولون. رأينا فى كتابك "الوليد بن المغيرة" فى هيئته وفخامته وضخامته ، وفى وجهه الجهم الغليظ ، وسمعنا صوته العميق الذى يخيل إلى السامع أنه يخرج من غار بعيد القاع. ورأينا ابن أخيه "أبا جهل" عمرو بن هشام فتى قويا مجيهاً، شديد النشاط ، كثير الحركة، بعيد الأمل، ثم لسنا النار التى تضطرم فى قلبه كراهية للأمين وحقداً عليه. ورأينا كثيراً غيرهم ممن ارتبطت بهم حوادث السيرة كأنهم يعيشون بيننا ، لأنك استطعت بفنك أن تردهم أحياء ينفضون عنهم غبار القرون ، وأن تحملهم على أن يعيدوا نفس المواقف التى وقفوها فى تلك العصور .

كل هذا أو غيره مما يشابهه دقة وروعة ، كان فى كتابك مثلاً فنياً بارزاً من أمثلة القوة والبراعة التى اختصك الله بها. ولا ريب أنك أحدثت فى الأدب العربى ألواناً من الفن القوى تجدد الإيمان بأن لغة القرآن لا تزال مستعدة للصور الأدبية الرائعة، وأن فى تاريخها مادة غزيرة تنسج منها أحسن القصص وأمتعها .

فبارك الله قلمك ، وصان أدبك وأعزبك لغة العرب، ونفع بمؤلفك طلابك ومريدك ومحبيك.

والسلام عليكم ورحمة الله.

القاهرة فى ٧ صفر ١٣٦٣

٢ فبراير سنة ١٩٤٤ .

المخلص

مصطفى النحاس

شكوى زوج مندور

وفى رسالة أخرى من النحاس إلى طه حسين يرد فيها على ما نقله إليه الأخير من شكوى السيدة حرم الدكتور مندور من تراخى كبار المحامين الواقفين فى العناية بأمره ، وذلك على إثر

اعتقال صدقي له بتهمة الشيوعية مع مائتين من الكتاب والمفكرين المعارضين إرهابيا لهم، وقد اتصلت بالسيدة "ملك عبد العزيز" زوج الناقد الكبير المعروف د. محمد مندور لأقف على حقيقة شكواها لطله حسين فذكرت لي أن طه حسين قد زارها زيارة مجاملة أثناء اعتقال الدكتور مندور ولم تشكو إليه إطلاقا من تراخي كبار المحامين الوفديين في العناية بأمره "وتؤكد أنهم قد قاموا بواجبهم كما يجب أن يكون، فهل نفهم من كلام طه حسين للنحاس بهذا الشأن أنه ادعى هذه الشكوى لكي يثير اهتمام النحاس بتلميذه صاحب الفضل عليه حين أرسله في بعثه، والذي يعجب منه بـ "وفاء وحسن تقديره لأساتذته وأدبه معهم في الجدل والنقاش"، أم نتهم ذاكرة زوج د. مندور خاصة وأن وقائع ما حدث مرت عليها أكثر من خمسين سنة؟ على أية حال لنقرأ رسالة النحاس باشا:

عزيزي حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك .

تحية صادقة كريمة لك وللشيدة المحرمة حرمك والأنجال الأعزاء وبعد.. فقد تلقيت رسالتك الخاصة بما تشكو به السيدة حرم الدكتور مندور من تراخي كبار المحامين الوفديين في العناية بأمره وإني أؤكد لك أنني لم أتوان لحظة واحدة عن تتبع هذه المسألة والاهتمام بها، ولما تسلمت كتابك اتصلت بحضرة الأستاذ محمود سليمان غنام وسيكون في مقدمة حضرات المحامين عند نظر المعارضة القادمة، وثق أنهم لن يتوانوا عن تأدية واجبهم نحو الدكتور مندور.

هذا وإني أتهد هذه الفرصة فأحييك تحية متميزة بصادق التهنة على ما تدبجه براعتك من مقالات رائعة جمعت بين سلامة اللفظ ودقة المعنى وسرعة البديهة في الكشف عن الحقائق وتصير الرأي العام بما وراء الستار.

وليس مجديدا على عميد الأدب العربي أن نرى له كل يوم هذه التفاتات وتلك الآيات البينات .

حيا الله قلمك وبارك عزمك ومتعك بما تحبه وترضاه . وتقبل والفر تحياتي

المخلص

٢٢ أغسطس ١٩٤٦ .

مصطفى النحاس

البريد المتباطئ

وفي رسالة جديدة يشكر النحاس لطفه حسين وفاءه رغم شعوره طه بالتقصير في حق صداقته للنحاس مما يتبين من خلال سطور خطاب النحاس الذي يقول فيه :

سيدي بشر في ٤ سبتمبر ١٩٤٨ .

عزيزي حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك

السلام عليك والشوق إليك من معترف بفضلك ، مفر بعلمك وأدبك.

أما بعد ، فقد تسلمت كتابك الرقيق ، فلمست بين سطورهِ صدق الأخوة ، ووفاء الرجولة ، وحذب الخدب ، وعاطفة المخلص المكين . وإن من كان مثلك في فضله وعلمه ، ورجولته وخلفه ، وكمال أدبه وحسن عشرته ، لا يمكن أن يقصر أو يهمل أو يتفاضى ، فإني لأقدر لك ظرف انشغالك بمختلف الأعمال ، ولا أحس أننا تفارقنا إلا بالجسم ، فإني أراك كل يوم فيما أقرأه لك وعنك ، وفيما أصمعه من حركتك المباركة ، وتنقلك في بلاد فرنسا من مكان إلى مكان ، لا لتقطع الوقت سائحا أو متنزها أو مسزوحا ، ولكن لتقديم للعلم والحضارة والثقافة أجل الخدمات وأحظرها ، ولتضرب لفرنسا الأمثال على أن في مصر علماء أمثال لا يقلون عن علماء الغرب في شتى ضروب الثقافة والإطلاع إن لم يزيدوا .

ولا أكتمك أنني لم أكن أنتظر منك - وأنت في مشاغلك الملاحقة أن تجد من وقتك فسحة . تكتب فيها إلى إخوانك وأصدقائك وكلهم يلمسون عندك . ويكتفون بمتابعة ما تكتب وما ينشر عنك . ولكنك أبيت - وأبرز ما فيك الوفاء - إلا أن تكون ذاكرة لي بقلمك كما تذكرني بلسانك وقلبك ، وإلا أن تحتلس ولنا - قد تكون اقتطعت من طعامك أو من راحتك - لتكتب إلى كتابا كله خلق وكله رجولة وكله وفاء ، فأدخلت على قلبي السرور والانشراح ، في وقت المحي فيه كل سرور وبهجة ، مما نراه من أحداث ونصرعات آخذ بعضها بتلايب بعض . بل في وقت تكاثرت فيه الخن التي تنوء تحت ثقلها العزمات ، والنسي تلقيناها وتلقاها بإيمان لا يضعف وصبر لا يفد ، وتوكل على الله لا يفارقنا في فينة من الفينات .

ولقد جاء كتابك وما فيه من تذكير بآيات الله ، وما وعد الصابرين والمجاهدين ، حين يتلون ويصبرون ، في وقت أشد ما نكون حاجة إليه ، لا ليذكرنا شيئا نسيناه ، ولكن ليشد من عزيمتنا ويقوى من يقيننا ، ويزيدنا إيمانا بالله وبفضاله وقدره فوق إيماننا .. ومن غير طه

حسين يستطيع أن يتغلغل في الأعماق ويصل إلى شغاف القلب، فتبعث رسالته الروح والريحان ، وتملؤها الهدوء والأطمئنان ..

حياتك الله وبارك في أخوتك ، ومتعك بما ترجوه ويحبك لك أصدقائك -- وما أكثرهم -- وحياتك من الصحة والعافية ما تؤدي به رسالتك لهذا الجيل والأجيال المقبلة ، ومنحك من الوفيق ونجاح القصد ما أنت أحق به وأولى .

واقبل من السيدة حرمي تحيتها وشكرها وتقديرها.

وأرجو أن تبلغ السيدة المصونة حرمك تحياتنا جميعاً وأصدق تمنياتنا . ولا أنسى تحية النجل العزيز ..

وإلى اللقاء في أسعد الفرص وأجمل الأوقات والسلام عليك ورحمة الله

المخلص على الدوام

مصطفى النحاس

تأخر خطابك أياماً من وقت صدوره بين البريد الجوي المتباطئ وبين الرقابة فأرجو ألا ينال كتابي هذا في وصوله إليك ما ناله كتابك الكريم من تباطؤ وتأخير والسلام .

مصطفى

أما في الوزارة التي ارتبطت باسم طه حسين فنعرض للرسائل المتبادلة بين طه حسين ، والنحاس، ولكن قبل ذلك علينا أن نكشف عن بعض الحقائق الغاية .

الفضل في المجانية

نبأ من مجانية التعليم التي ارتبطت بطه حسين منذ رفع شعاره الشهير "العلم حق للجميع كالماء والهواء" وإن كان البعض يحاول نسبة هذه المقولة إلى نجيب الهلالي" (الوفد ١٨ ديسمبر ١٩٩٨) غير أن الدهش أن طه حسين نفسه يؤكد أن دعوته للمجانية لم تكن مجرد دعوة أطلقها مفكر لنفع بني وطنه لانتشاهم من الجهالة التي يعيشون فيها ، ولكن هذه الدعوة كانت باتفاق مع النحاس باشا حتى يضمن لها التنفيذ ، ولتقرأ احرفافات طه حسين في إحدى خطبه المجهولة أثناء

إحدى جولاته بالأقاليم لحث الأغنياء على التبرع لإنشاء المدارس تحقيقاً لشعاره ، ففى خطبته بالدقهلية يقول بالنص موجهاً حديثه إلى مستمعيه:

"أؤكد لكم أنى ما دعوت إلى نشر العلم وتيسيره ومجانته وإنشاء المدارس الكثيرة قبل أن أكون وزيراً إلا بعد أن اتفقت مع النحاس باشا على أن أدعو إلى هذا ونحن يمدون عن الحكم ، بحيث إذا عاد إلى الحكم كان جزءاً أساسياً من برنامجه. إنما كنت أدعو إلى نشر العلم بوحى منه واتفاق معه، كنت أعبر عن نفسه وقلبه وأمله ، وأقسم صادقاً وأشهد ويشهد الوزراء جميعاً أنه هو الذى وضع فى خطبة العرش الأولى مجانية التعليم فوراً" (أهرام ١٩٥١/٣/٣).

آخر من يعلم

أما دخول طه حسين الوزارة كوزير للمعارف فلها قصة مختلفة غير تلك القصة الشهيرة التى ذاعت وانتشرت وأكدها د. محمد حسن الزيات زوج ابنة طه حسين ، فى الحلقات التى نشرها "بالمصور" قبل أن يجمعها فى كتاب "مابعد الأيام" والذى ذكر فيه "ويحضر النحاس باشا إلى منزل طه حسين دون موعد .. ليفاجئته بأن يطلب منه أن يتولى منصب وزير المعارف فى وزارته التى يجرى تأليفها وطه حسين يشكوه . ولكنه يرجو معاودة التفكير لأسباب منها أنه ليس عضواً فى الوفد ، وأعضاء الوفد الذين شاركوا رئيسهم جهاده أحق بالاشتراك معه فى الحكم، كما أن السراى غاضبة عليه منذ زمن بعيد ولا ينتظر أن توافق على تعيينه ، وسبب آخر هو أنه ملتزم أمام نفسه وأمام الشباب ببرنامج للتعليم سبق أن شرحه عام ١٩٣٧ فى كتابه "مستقبل الثقافة فى مصر" الذى كان يعده فى الأصل ليقدمه تقريراً إلى النحاس باشا نفسه، وهو لا يعترف رأى وزارة الوفد عندما تتولى الحكم فى تطبيق هذا البرنامج الذى يؤكد ضرورة إعلان مجانية التعليم الابتدائى والثانوى ، وراح النحاس يفند هذه الأسباب محاولاً إقناع طه حسين" إلى أن يصل بنا الزيات فى كتابه المشار إليه إلى قول طه حسين للنحاس "وإذا أصبحت أنا وزيراً للمعارف فإن رفعتكم ستحبون قطعاً إعلان مجانية التعليم فى أول خطاب للعرش تلقونه أمام البرلمان . ويسأل النحاس باشا : هذا شرط؟ ويرد طه حسين : لا، معاذ الله، ليس شرطاً ولكنه توقع" إلخ. وهذه القصة ليست دقيقة سواء فيما يتعلق بالمجانة أو دخول طه حسين الوزارة ، أما المجانية فقد اتفق طه حسين عليها مع النحاس خارج الحكم منذ وقت مبكر كما أشار فى خطبته بالدقهلية كما سبق أن ذكرنا. أما قصة دخوله الوزارة فهو يرويها بنفسه عقب خروجه من الوزارة فى مقال مجهول أيضاً

نشره بأهرام ١٩٥٢/٥/٣ ، ويؤكد فيه أنه أدخل الوزارة فجأة دون أن يستشار كما أخرج منها فجأة دون سابق إنذار، ويقسم على ذلك قاتلاً:

"فألف يشهد ما عرفت هذا الترشيح إلا بعد أن أرسل مشروع المرسوم بتأليف الوزارة إلى القصر ودعيت لا يعرض عليّ هذا الترشيح ولا ليستمع رأيي فيه ، ولكن لأنتظر في دار الرئيس النبا بتوقيع المرسوم ، ولأذهب بعد ذلك مع الزملاء إلى القصر لحلف اليمين القانونية.

ولقد أراني مغرقاً في الاستماع لقصة من قصص شكسبير حين أتيت بآن الرئيس يدعوني في التليفون فلما استجبت له، طلب إلى أن أزوره في داره فوراً ، فقطعت القراءة حيث قطعها التليفون، وأسرعت إليه أظنه سيستشيرني في بعض الأمر كما يفضل بذلك بين حين وحين، فلم أكد ألقاه حتى أنبأني بأنه اختارني وزيراً للمعارف ، ولم أكد أزد عليه تحيته واختياره حتى أنبأني بأن المرسوم قد رفع إلى القصر، وبأن المناقشة لا تفيد، فلم أزد على أن شكرت وانتظرت واستقبلت الوزارة أحسبها أمراً هيناً. وما أكثر ما يستقبل الناس من الأمور الهينة . ولكن لم أكد أمارس بعض أمرها حتى جعلت تستأثر بي قليلاً. قليلاً، ولم تمض أيام حتى رأيتني قد غرقت فيها إلى أذني" ... " .. وإذا أنا أصرف .." عن أهلي وشئون أهلي ، وأنسى كل شيء إلا أن هناك شعباً يريد أن يتعلم وإنني موكل بتعليمه ، وأن الوسائل إلى تعليمه محدودة لا تسعف، وقصيرة لا تؤدي إلى الغاية، وأن عليّ أن أبذل خير ما عندي لأصل إلى خير ما يمكن الوصول إليه".

ويضيف طه حسين "لم أراني ذات ليلة وقد أنبأني رئيس الوزراء بآني قد خرجت من الوزارة كما دخلتها ، لم أخطر أن أكون وزيراً ، ولم أخطر أن أخرج من الوزارة ، كما أنني لم أخطر أن آتي إلى هذه الدنيا من أعماق الغيب ، ولن أخطر أن أخرج من هذه الدنيا إلى أعماق الغيب ، وإنما هو قضاء الله يجرى على الناس بما لا يريدون قبل أن يجرى عليهم بما يريدون".

وتؤكد صحف تلك الفترة ما رواه طه حسين، فلم يكن الرجل مطروحاً بالمرة في آخر تشكيل وزارى للنحاس ١٩٥٠ ، وأن ترشيحه جاء في اللحظات الأخيرة قبل صدور الأمر الملكي في ١٢ يناير ١٩٥٠ بتشكيل الوزارة السابعة للنحاس باشا، إلى درجة أن الصحف الصادرة في اليوم السابق لم تكن تذكر إلا "الحبيب الهلالي" كمرشح لوزارة المعارف، فنقول صحيفة "المصرى ١١ يناير ١٩٥٠م":

"وأقبلت على دار رقعة النحاس باشا وفود الجامعة وطلاب المعاهد العليا وكان قدومها مصادفة أثناء اجتماع رفعتة برجال الوفد، وظل الطلبة يهتفون مطالبين بالهلالي رجل المعارف

ونصير المعلم وصاحب السياسة الصائبة في العلم، وقد دفع الطلبة إلى ذلك ما ترامى إلى أسماعهم من أن سعادة الهلالي باشا يصر على اعتذاره عن الاشتراك في الحكم لأسباب صحية بحتة".

وظهر اسم طه حسين كمرشح للوزارة بعد أن رشحه نجيب الهلالي للنحاس باشا، وقد كان الهلالي وزيراً للمعارف في وزارة توفيق نسيم ١٩٣٤ والتي كان يؤيدها النحاس ، وقد أعاد الهلالي باشا ، طه حسين إلى الجامعة بعد أن كان قد فصله صدقي باشا منها، وعندما اشترك الهلالي باشا في الوزارة النحاسية ١٩٤٢ كان طه حسين مستشاراً في ذات الوزارة ، ويؤكد طه حسين أن الهلالي هو أول من جعل التعليم الابتدائي باجباراً ولم يكن قبله كذلك".

ورغم أن ترشيح طه حسين للوزارة في اللحظات الأخيرة ولم يكن يدور اسمه في ذهن النحاس لولا ترشيح الهلالي له ، وتسيهه إليه، فإن النحاس لدهشتنا كان متمسكاً بطه حسين إلى أبعد حدود التمسك أمام معارضة الملك بحجة أن أفكار طه حسين يسارية ، ولكن النحاس تشدد أمام الملك باعتبار أن طه حسين هو أهم وزرائه المرشحين للوزارة بل إنه قال إنه مستعد أن يتنازل عن كل الوزراء إلا طه حسين".

ويبدو أن تشدد النحاس بالنسبة لطله حسين لم يكن له علاقة بطه حسين ذاته بقدر ما كان ذلك فصلاً من فصول التحدي بين النحاس والملك .

أرضيت المواطنين

وكما فهمنا من حديث طه حسين حول قصة دخوله الوزارة ، فقد كان بينه وبين النحاس حوار مستمر يصل إلى درجة استشارة النحاس لطله حسين "في بعض الأمر كما يفضل بذلك بين حين وحين" ومن تلك الاستشارات التي أخذ بها النحاس بناء على الاقتراح لطله حسين تهديده للملك بتقديم استقالة وزارته إذا أصر على إلغاء مجلس الدولة تخلصاً من السنهوري رئيس مجلس الدولة والذي كان يرفض دائماً أي رغبات ملكية لتقييد الحريات بقوانين ، وإلى جانب الحوار بين زعيم الفكر وزعيم الأمة فقد كانت بينهما رسائل قبل أن يلبي طه حسين الوزارة، كما عرضناها سابقاً، ثم كانت بينهما رسائل أثناء الوزارة لارتباط ذلك بأزمة سياسية نشبت بين طه حسين وكوزير للمعارف وبين وزارة الخارجية التي يرأسها محمد صلاح الدين.

ونترك طه حسين يتحدث بنفسه عن تلك الأزمة المجهولة التي تنفرد بتشرها للمرة الأولى من

خلال خطاب أو تقرير بعث به إلى النحاس باشا وقد حرص على أن يطلب منه إلى حد الرجاء أن "هذا التقرير الموجز خاص أرجو ألا يطلع عليه أحد غير مقامكم الرفيع" وقد ظل مر هذه الأزمة مجهولا حتى كتابة هذه السطور، وقد بلغت صفحات هذا الخطاب الذي كتبه طه على شكل تقرير عن نتائج رئاسته لوفد مصر في الأونسكو بباريس ١٩٥١ أثناء وزارته للمعارف، بلغت حوالي عشر صفحات كتبها أو أملاها طه حسين في حوالي ثلاثة عشر يوما كما يبدو من تأريخه للرسالة التي حملت تاريخين حين بدأ الرسالة في باريس في ٧ يوليو وأتمها في مدينة بولزانو الإيطالية في ١٩ يوليو .

ومن الجدير بالذكر أن هذه لم تكن هي المرة الأولى التي يرأس فيها طه حسين وفدا مصريا في مؤتمر دولي ، بل سبق أن رأس طه حسين وفد مصر إلى اليونسكو في السنة السابقة ١٩٥٠ بفلورنسا أثناء الوزارة غير أنه اضطر إلى العودة قبل استكمال أعمال المؤتمر نظراً لانهاء العام الدراسي وضرورة عودة وزير المعارف طه حسين للاستعداد للعام الجديد، وقبل أن ندخل إلى الخطاب الأزمة ، لابد أن نقرأ خطاب النحاس الذي أرسله لعه حسين احتفاء بتشريقه لمصر في محفل دولي كاليونسكو، وفي هذا الخطاب يعترف النحاس ضمنا دون أن يصرح أنه تأخر في تقدير طه حسين التقدير اللائق به ، وإن أرجح ذلك إلى حكومات غير حكومته حيث "لست أخفى عليك أنني كنت منذ زمن بعيد آسف الأسف كله إذ أرى الأجانب يقدرونك قدرك ، والحكومات الأجنبية تعرف لك منزلتك ، وحكومات مصر - صاحبها الله - تتحداك" ، ولهذا حين صار طه حسين وزيرا في حكومة النحاس فإن الأخير يرى أنه بذلك "أرضيت نفسي وأرضيت المواطنين".

يقول النحاس باشا بتاريخ : الجمعة ١٢ مايو ١٩٥٠ .

عزيزي حضرة صاحب المعالي الدكتور طه بك حسين

صنع الله لك أجل ما يصنع لرجل أخلص الإخلاص كله لوطنه، ووفى الوفاء كله لإخوانه وزملائه وأصدقائه ، وأحسن السفارة عن بلده في كل مكان حل فيه ، أو قوم التقى بهم .

لقد طالعت كتابك فطلعتني لهجة صادقة عرفتها دائما في رسائلتك ، وعبارة طبيعية لا تكلف فيها ولا تطيع، ألفتها فيما تكتبه أو تتحدث به . ولقد تبعت أنباء رحلتك الموفقة ، وخطواتك المباركة، الخالصة لوجه الله والعلم . وكنت كلما سمعت عنك نبأ سارا ، أو قرأت خيرا طيبا ، أحس الغبطة تسرى في نفسي وتشيع في جوانحي، لأنك لقيت ما أنت له أهل وبه خليق ، أو على الأصح لقيت مصر في شخص رجلها العالي تكرما يرفع من ذكرها

ويضعها في المكان الجدير بها، وإذا كنت تشرف بوزارة علي رأسها شخصي الضعيف فإني ليسعدني أن وفقني الله إلى ضمك إلى إخوان صدق ووفاء اخترتهم لمعاونتي على حمل العبء وأداء الرسالة، والنهوض بمسوى البلاد السياسي والعلمي والخلقى .. نعم يسعدني أن تكون بين زملائي وإخواني الوزراء تحمل رسالة التعليم - ويفاء من رسالة - وتشر أراءك وتعاليمك في النشء فتتشر الخلق الفاضل ، والوفاء المقيم ، والشجاعة التي لا تقيدها الرهيبات ، ولا تحد منها الظروف والملابسات.. ولست أخفي عليك أنني كنت منذ زمن بعيد آسف الأسف كله إذ أرى الأجانب يقدرونك قنرك، والحكومات الأجنبية تعترف لك منزلتك ، وحكومات مصر - سبحانه الله - تتحدثك وتقصف في طريقك، وتحارب العلم والأخلاق والوفاء في شخصك.. حتى إذا أذن الله أن تزاح الغمة وأن أوفق لاختيارك زميلا رسميا لي كما اتخذت من أمد طويل أخا وصديقا - كانت غبطتي بمعاونتك ومسروري بمشاركتك لنا في حمل العبء، بمقدار تقديري لك ، وإعجابي بفضائلك الغر، ووفائك الثابت ، وثباتك الباقي على الزمان.

وكان منطقي أن أوثرك بمودتي ، وأخصك بتقديرى - وأختارك بين زملائي بعد ما عرفته فيك ، ولمسته عن كتب من خلالك التي لم تبد لها الحوادث ، ولم تتل منها صفوف الأيام، وإني لأحمد الله وأحمد الوفاء والخلق إذ أرضيت نفسي وأرضيت المواطنين، وقدمت عارفة للعلم إذ أهديت إلى أبنائه الدكتور طه حسين بك ليشراف على نشره ، ويتولى أمره ، ويفيض على أهله من قوة نفسه ، وسعة أفقه، ما يبعث فيهم حياة جديدة تشبع رغبة محبي العلم وطلابه، وتحبب لهم الإقبال عليه ، والاعتراف من منهله، ولست في قولى هذا أقرضك ثناء بثناء ولكنه تقرير للحق والواقع الذى لا مغالاة فيه والذى يقوم الدليل عليه كل يوم بما نراه من جهتك الدائب - وحركتك التي لا تقطع والتي كان من آثارها رحلتك الموقفة التي افتتحت فيها كرسي محمد على أمام جمهرة من رجال العلم والأدب في معهد البحر الأبيض المتوسط من مدينة نيس، فكان هذا العمل الذى نسبت إلى فضله خير دعاية لمصر ولملكها ولحكومتها مع أن لك نصيب الأسد فيه ، وفضل السبق إلى التفكير في إبرازه . وإني لمسرور من تكريم الحكومة الفرنسية إياك وحفاوتها بك فأنت كما قلت لك وأكرر: مصرى وهبتك مصر للثقافة والأدب والعلم في بلاد الله جميعا.. والله يجعل التوفيق لحليفك في سميتك لتدير ما تحتاج إليه جامعاتنا ومدارسنا من الأساتذة والعلمين، وما تبذله من جهد فى إنشاء معهد ثقافى مصرى يكون مقره مدينة طنجة كما شرحته لي قبل سفرك إلى فرنسا.

وأختم كتابى هذا بأن أحملك تحيتى وشكرى إلى زميلك مسيو "ايغون وليوس" وزير

المعارف الفرنسية على ما أبداه لحوى من هواطف رقيقة كريمة - وشكر الحكومة الفرنسية على ما أظهرته لحوك من نبل الشعور وكرم الضيافة وحسن الاستقبال.

وآمل أن أراك في آخر الشهر الحالى بيننا ناعما بالصحة سعيداً بالتوفيق فيما شخصت إليه ، وحتى ألقاك أرجو أن تقبل أصدق ما أكنه لك من تقدير وإعجاب ووفاء. وللسيدة المحرمة قرينتك العزيزة منى ومن حرمى أصدق التحيات وأطيب آماني الصحة والتوفيق والعودة إلى مصر سالمين معافين. والسلام عليكم ورحمة الله

المخلص

مصطفى النحاس

إسرائيل تتدخل

نصل الآن إلى الفصل الأخير المثير الذي تكشفه رسالة طه حسين في شبه تقرير عن نتائج ترأسه لوفد مصر إلى "الأونسكو" ١٩٥٦. وهو ما طلب طه أن يبقى سراً، وهو ما وعده النحاس بكتماته حين رد عليه برسالة مؤكداً توصية طه في تقريره "على أن يكون ما احتواه سراً خاصاً بينك وبينى". وسوف نقاباً في رسالة أو تقرير طه حسين بأكثر من مفاجأة ، أولها خلافه الخاد كوزير للتعليم مع وزير الخارجية محمد صلاح الدين ، وإن ظل ذلك الخلاف مكتوماً لا يصرح به طه إلا لرئيس الوزراء ويحرص على أن يظل بعيداً عن مشاعر وزير الخارجية "فلمست أريد أن أسوء زميلي صلاح الدين باشاً" كما يقول طه حسين ، كما تعرف لأول مرة كيف أن إسرائيل لم تكن تحارب مصر فقط في ميدان القتال كما حدث في ١٩٤٨ ، بل كانت تحارب مصر في الخفايل العلمية أيضاً لاستبعادها من أى إسهامات دولية.

ندخل الآن بسرعة (بعد أن طالت المقدمات) إلى أطول رسالة لظه حسين، وهذا هو نصها:

سيدي صاحب المقام الرفيع.

كان من أوجب الواجبات أن أكتب لمقامكم الرفيع إثر وصولي إلى باريس مهدياً أصدق تحياتي وشاكراً ما تفضلون به علىّ دائماً من عناية دقيقة وعطف كريم. ولم يكن شئ أحب إليّ من هذه الكتابة ، ولكننا نحب أشياء ونحول الظروف بيتنا وبينها حتى كأن الدهر موكل بصرفنا عما نحب إلى ما لا نحب .

فلم أكد أصل إلى باريس حتى تلقفتني منظمة "الأونسكو" وإذا أنا أغرق في أعمالها إلى

أذني نجتمع كل يوم في الساعة التاسعة والنصف إلى ما بعد الساعة الأولى ثم نصرف لتناول الغداء على عجل ونعود في الساعة الثالثة والنصف فلا نصرف إلا بعد تمام الساعة السابعة ، فإذا خرجنا لم نعد إلى فنادقنا لتسريح، وإنما نغضى إلى الحفلات الاجتماعية التي تقيمها الوفود والتي ليست أقل إجهاداً من الاجتماعات العامة، وكذلك أنفقنا هذه الأسابيع الثلاثة عناء حين نصبح وعناء حين نغسى، واشتغال عن أنفسنا وعن كل مايلذها ويرضيها. والحمد لله على كل حال. واني لأرجو أن يكون الله قد هيا لقامكم الرفيع ما تمنى لكم مصر كلها من راحة النفس والجسم ومن فراغ البال ورضى الضمير، وإن كنت أعلم أن أعباءكم تزداد من يوم إلى يوم ، وأن سفر الوزراء للأعمال أو للراحة في الخارج يضاعف هذه الأعباء ويزيدها ثقلاً إلى ثقل، والله يكفلكم بعنايته ويشملكم برعايته ويمدكم بروح منه ويتم لكم التوفيق في كل ما تحاولون في خدمة الشعب المصري الذي لا يثق إلا بكم ولا يعتمد إلا عليكم ولا ينتظر الخير إلا على يديكم.

أما بعد... فقد شغلنا في اجتماعات الأونسكو مسألتان خطرتان إحداهما مسألة ترشيح مصر لعضوية المجلس التنفيذي، وقد فوجئنا في باريس بتعليمات جاءتنا من وزارة الخارجية تكلفنا أن نرشح سوريا مكان مصر وقد ضنقت بهذا الأمر أشد الضيق ، وكلفت سفيرا ثروت بك أن يتصل معالي زميلي وزير الخارجية ويلفقه رأبي في هذا الموضوع ، فاتصل به ثم أخبرني بأن معالي الزميل يرى أن الخير في ترشيح سوريا لأنها وعدت بتأييد مصر في منظمات أخرى. وقد قبلت أن أنفذ هذه التعليمات أسفاً، واتفقت مع وزير سوريا القروض ومع الوفود العربية الأخرى على ترشيح سوريا وأسعى في نجاح هذا الترشيح. وفي أثناء هذا سافر حسني باشا (عبد الوهاب باشا حسني من الخاصة الملكية) إلى إيطاليا ليشهد مثول معالي عبد الفتاح حسن باشا بين يدي جلالة الملك لحلف اليمين القانونية (كوزير للشئون الاجتماعية). ويظهر أن حسني باشا تحدث في هذا كله إلى جلالة الملك فأمره بالحفاظة على أن تحتفظ مصر بهذا المكان في الأونسكو وكلفه أن يكتب إلى رئيس الديوان بالنيابة ليتصل بمقامكم الرفيع في هذا الشأن. وعاد حسني باشا إلى باريس فأخبرني بذلك ، وقد تضايقت لهذا التصرف جداً ولكنني لم أقل له شيئاً. ثم وصلت برقية من صلاح الدين باشا تشتمل على صورة ما أبرق به إلى رئيس الوزارة السورية متصلاً بهذا الموضوع، ولم أكد أقرأها حتى هممت أن استقبل من الوزارة ثم ملكت نفسي وأكرهتها على الاعتدال . ذلك أن في هذه البرقية كشفاً خطيراً لوفد مصر في "الأونسكو" فهي تبني رئيس وزارة سوريا بأن الوفد المصري قد أرسل إلى القاهرة أخباراً تدل على أن أمل سوريا في النجاح

ضئيل جداً وهي تطلب إلى رئيس وزارة سوريا أن يكلف وزيره في باريس الاتصال بالوفود العربية والوفد المصري للتحقق من صحة هذه الأخبار، فإذا ظهرت صحتها كان من الخير أن تؤيد الوفود العربية مصر لترشيحها لهذا المكان. وما كنت أظن أن مثل هذه البرقصة يمكن أن تصدر من وزارة الخارجية.

فالوفد المصري في الأونسكو مؤلف من مصريين لا ينبغي أن يكشفوا حتى لو أخطأوا. ورئيس هذا الوفد وزير مستول وزميل لوزير الخارجية فلا ينبغي أن يكشف على هذا النحو ولا أن يكون هو وزملاؤه موضوعاً للتحقيق أمام وفود أخرى مهما تكن عربية فإنها أجنبية. ولولا أن نجاح مصر كان موقوفاً على أن أرشح نفسي لهذا الكرسي خالفت تعليمات وزارة الخارجية مؤقتاً وترشحت مصر وظفرت لها بهذا المكان. ولكن الهيئات الأجنبية في الأونسكو كانت ترشحنى شخصياً لهذا الكرسي، وقد أخرج عليّ في ذلك ممثلو بريطانيا العظمى وفرنسا وبلجيكا وهولندا وأمريكا. ويوجسلافيا. فأبيت كل الإساءة وألححت على هؤلاء الممثلين في تأييد ترشيح سوريا لأنني لم أرد أن يظن ظان أو يقول قائل أنني آثرت نفسي على مرشح الجامعة العربية ومرشح وزارة الخارجية المصرية، وهو المندوب السوري، ولو قبلت الترشيح لانتخبت بإجماع الأصوات. لكنني بذلت وبذل زملائي جهداً شديداً حتى ظفرتنا لسوريا بأغلبية ضئيلة وقد نجحت والحمد لله. هذه مسألة.

أما المسألة الثانية فهي مسألة إنشاء مركز للتعليم الأساسي في مصر وهو مركز يتعلم فيه المعلمون على أن يعلموا الأطفال والشباب مالمس منه بد ليكونوا أعضاء منتجين في البيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها. وقد أعلنت في الخطبة التي ألقيتها في الاجتماع العام "لأونسكو" أن حكومة مصر مستعدة لإنشاء هذا المركز ليعلم فيه المعلمون من الأقطار العربية والإفريقية. وسرت الوفود بهذا التصريح وصفقت له تصفيقاً شديداً. ولكن فوجئت بعد ذلك ببرقية من وزارة الخارجية المصرية تبتنى فيها بأن حكومة لبنان تريد أن تنشئ هذا المركز في بيروت وتطلب إلى التفاهم مع الوفد اللبناني على هذا الموضوع وتأييده إن احتاج إلى التأييد، فألقى في روعي أنني إنما شهدت اجتماع "الأونسكو" لأصفي مركز مصرفيه ولأؤيد الوفود العربية الأخرى على حساب وطننا الذي بلغ من الكرم أن يعطى كل شيء ولا يستبقى لنفسه شيئاً.

وقد حاولت أن أقنع الوفد اللبناني بالألا ينازعنا في هذا المركز ولكنه لم يقتنع وطلب إلى "الأونسكو" إنشاء المركز في بيروت. وهناك قام ممثل إسرائيل فطلب ألا ينشأ المركز في مصر ولا في لبنان وأن ينشئ في تركيا. وأراد الوفد البريطاني أن يؤيدنا دون أن يسوء أحداً

فطلب أن يؤجل البت في هذا الموضوع وأن يترك اختيار البلد الذي ينشأ فيه هذا المركز للمجلس التنفيذي والمدير العام. ووافقت هيئة "الأونسكو" على هذا الاقتراح، ولولا تقدم لبنان بطلبها لتم إنشاء المركز في مصر.

ولست يائسا من أن ينشأ المركز في مصر وإن كان لبنان ممثلا في المركز التنفيذي ومصر ليست ممثلة فيه. وكل ذلك العناء مصدره شئ واحد هو أن وزارة الخارجية لا تستشير وزارة المعارف في علاقاتنا الثقافية مع البلاد الأخرى، على حين أن وزارة المعارف تستشير وزارة الخارجية في الصغير والكبير من شئوننا الثقافية التي تتصل بالبلاد الأجنبية على اختلافها.

ولست أقول هذا شاكيا ولا لامنا وإنما أقرر الحقائق الواقعة أسفا لها، وأرجو مخلصا أن يأمر معالي صلاح الدين باشا أعوانه في وزارة الخارجية بأن يستشيروا وزارة المعارف في كل ما يتصل بالثقافة، كما هي في البلاد الأخرى التي سبقنا في مثل هذه الشئون.

ولست أخفي على مقامكم الرفيع أنني عملت في "الأونسكو" هذه الأسابيع الثلاثة ضيق النفس عرج الصدر، مجاملا مع ذلك للوفود العربية ما وسعتي الجمالة. وكان يمكن أن نجتنب هذا كله لو مضت الأمور بين وزارة الخارجية ووزارة المعارف كما كان ينبغي أن تمضي.

أما فيما عدا ذلك فقد نجح الوفد المصري نجاحا حسنا ملحوظا. فكانت له وكالة "الأونسكو" وكان رئيسه عضوا في المجلس الذي يدير أعمال المنظمة أثناء الاجتماع. وكان أعضاؤه حاضرين في جميع اللجان الكبيرة والصغيرة مشاركين مشاركة قيمة في جميع الأعمال يرجع إليهم في المشكلات الحادة.

وليس من الغرور أن أقول أن تدخلني في مناقشات الميزانية هو الذي جمع الآراء على الرقم الذي كان يريده المجلس التنفيذي والمدير العام رغم الجهود التي بذلها وفد بريطانيا العظمى ووفد الولايات المتحدة لإنقاذه نحو مليون من الدولارات. ويمكن أن أقول واقصاً مطمئنا أن مصر قد كسبت لنفسها في هذا المؤتمر الدولي الخطير مركزا مرموقا ممتازا، وكثيراً ما كانت هي الحكم فيما كان يثار من المشكلات بين وفود الدول الكبرى. فعسى أن تحفظ مصر بهذا المركز. ولست أشك في أننا إذا أحسننا الإحفاق والتضامن والتعاون فيما بيننا، ربمنا كثيراً، وما أشد حاجتنا إلى ذلك في هذا الموقف العالمي المضطرب. وقد أطلت على مقامكم الرفيع ولكنني حرصت على أن أرفع إليكم تقريراً موجزا عن نشاطنا في "الأونسكو" لتكونوا على علم بالمهم منه إلى أن يعرض التقرير المفصل على مقامكم الرفيع

بعد عودتي إلى مصر إن شاء الله.

وهذا التقرير الموجز خاص أرجو ألا يطلع عليه أحد غير مقامكم الرفيع : فلست أريد أن أسوء زميلي صلاح الدين باشا ، ولكني مؤمن بأن من الحق على أن أظهر مقامكم الرفيع على كل شيء لا يكون وفي شخصكم أولا وللمين التي أقسمتها والعهد السدي أعطيته على نفسي بأن أكون مختصا لكم في كل ما أعمل وفي كل ما أقول.

إلى جانب "الأونسكو" كان لي نشاط آخر شخصي مع وزارة الخارجية ووزارة المعارف في فرنسا بشأن مسألتين . إحداهما مسألة مدرسة الحقوق الفرنسية التي أطالب بإلغائها منذ عام . وقد نجحت في هذه المسألة وقررت جامعة باريس تصفية هذه المدرسة بحيث لا تقبل طلابا جديدا في السنة المقبلة وإنما تتم تخريج الذين يتعلمون فيها الآن وينشأ مكانها معهد للدراسات القانونية الحرة لا يعقد امتحانات عامة ولا يمنح درجات ولا دبلومات . وكذلك يصبح تعليم القانون في مصر مقصوراً على كليات الحقوق المصرية.

المسألة الثانية مسألة معهد فاروق للدراسات العربية في أفريقيا الشمالية، وقد طلبت كما يعلم مقامكم الرفيع أن ينشأ هذا المعهد في مدينة من مدن أفريقيا الشمالية غير طنجة، والفتح وزير الخارجية الفرنسية بوجهة نظرنا ووافق على أن ينشأ المعهد ويفتح في أول العام الدراسي المقبل أي في نوفمبر من هذا العام. ولكنه طلب مهلة إلى منتصف أغسطس لاختيار المدينة التي ينشأ فيها هذا المعهد. وهذه المدينة يجب أن تكون إحدى ثلاث : إما الرباط وإما الجزائر وإما تونس.

لهذا قررت أن أعود إلى باريس في آخر أغسطس إن شاء الله لأعلم آخر ما وصلت إليه وزارة الخارجية في اختيار إحدى هذه المدن. ومازلت عند الرأي الذي تفضل مقامكم الرفيع قبله وأيده وهو أن إنشاء هذا المعهد يجب أن يتم في هذا العام فإن تلكم الفرنسيون أغلقنا معيهم في القاهرة ومعنا هيئاتهم العلمية من البحث عن الآثار في مصر. وهم يعلمون ذلك حق العلم ويشفقون منه كل الإشفاق .

وما دام مقامكم الرفيع يمنحني مودته وعطفه وثقته فأنا مطمئن إلى النجاح إن شاء الله. هذا تاريخ الأسابيع التي قضيتها في باريس، ولعل مقامكم الرفيع يرى أنني لم أضع الوقت وأنني لم أكن مسرفاً ولا كسلاً حين طلبت الأجازة . ولست أجد من الألفاظ ما أشكر به مقامكم الرفيع على الإذن لي بأن استريح بعد العناء المتصل . فلأكل كل هذا الشكر إلى الله عز وجل فهو القادر على ما لا تقدر عليه، وهو القادر على أن يمنحكم ما أنتم أهل له من السعادة الدائمة والعناء المتصل والنجاح في كل ما تسعون إليه، والظفر بكل ما تطمعون فيه،

وهو القادر على أن يديم عليكم نعمته ويشملكم بالعافية الكاملة، ويحفظ عليكم ما تحبون من رضاه عن أعمالكم وأقوالكم ، ويرضى الشعب عن نصيحكم له وعنايتكم به ، وتضحيتكم في سبيله بأعلى ما تملكون .

وأنا أرجو بعد هذا الكتاب الذى بدأت فى باريس وأتمه الآن فى مدينة بولزانو "الإيطالية" أن تفضلوا فرأفوا "أصدق" إجلالى لحضرة صاحبة العصمة السيدة الكريمة وتقبلوا أصدق تحياتى وأخلص حبى وأعمق وفائى.

باريس ٧ يوليو - بولزانو ١٩ يوليو

فصل من التحدى مع الملك

والرسالة ليست فى حاجة إلى تعليق.. ولكنها تثير التساؤل عن موقف النحاس من تلك الأزمة بين وزيرين من وزرائه والتي تدل على وجود انقسامات أو عدم انسجام بين بعض الوزراء، فبعضهم وفدى ويعتبر تلميذاً للنحاس وتدريب فى مكتبه للمحاماه وصعد السلم حتى صار وزيراً كمحمد صلاح الدين، وبعضهم لم يكن وفدياً وجاءت به إلى الوزارة شهرته ومعه الأديبة والفكرية كطه حسين الذى كان مؤيداً لسياسة الوفد وإن لم يكن وفدياً وهو ما حدا إلى إصابة أعضاء الحزب بالمفاجأة لاختياره وآخر ، وزيرين من خارج أعضاء الحزب، وهو ما عبر عنه النحاس بأنه لم يختر بعض وزرائه اختياراً حزبياً بل اختياراً قام على أساس أنهم خبراء فى المجال الذى اختارهم من أجله كوزراء .

نعود إلى موقف النحاس من أزمة وزيرين فى حكومته ، نستطيع أن نؤكد أن محمد صلاح الدين وزير الخارجية لم يتصرف من نفسه بشأن الإصرار على ترشيح المندوب السوري فى "الأونسكو" فمن المؤكد أنه تشاور مع النحاس بهذا الشأن باعتبار مصر هى زعيمة العرب فهى التى جمعهم فى شخص النحاس باشا، رؤساء وملوك لتأسيس الجامعة العربية ، فيكون النحاس من هذا المنطلق قد وافق على ترشيح المندوب السوري ، رغم اعتراض الملك كما رأينا فى الرسالة السابقة وإصراره على ترشيح المندوب المصرى ، وهذا يوضح فصلاً آخر من فصول الصراع والتحدى بين النحاس والملك ، ومن الواضح هذه المرة أيضاً أن النحاس قد كسب الجولة من الملك لأن الدارم لشخصية النحاس وعناده يعلم أنه لم يكن يسمح للملك بأن يفعل ما يريد، فما بالك بوزرائه الذين لا يمكن لأحد منهم أن يفعل شيئاً أو يتخذ قرراً بعيداً عنه خاصة إذا كان متصلاً بالعلاقات العربية التى يعمل على دعمها، ويبدو أن طه حسين كان بعيداً وهو وزير

للمعارف عن مركز صناعة القرار ولذا بدأ غضبه حاداً وإن لم يسمح لذلك الغضب بأن يدفعه للاستقالة وأكفى بشكواه الخاصة لرئيس الوزراء وأوصاه أن يتكلم الأمر ولا يفضى به إلى أحد، ويبدو أن ذلك كان يرضى النحاس أيضاً لأن طه لم يقم بتصعيد الأزمة إلى أبعد من مجرد الشكوى. والنحاس حريص على إرضاء طه حسين وإن رأى أنه لم تكن هناك ضرورة لإخياره بأنه كان متفقاً مع وزير خارجيته على كل ما حدث في مؤتمر "الأونسكو" لصالح البلاد العربية الشقيقة حتى وإن جاء ذلك على حساب مصر وتنازلهما وتضحيتها من أجلهم، وتلك رؤية سياسية تقدم قيمة التضامن العربي الذي تقوده مصر على قيمة أن تفوز مصر بمنصب دولي هنا أو هناك.

تذكر زميلنا

ويبدو أن طه حسين لم يكذبته من خطابه "الأزمة" ويرسله إلى النحاس ، حتى أنه الصحف تحمل خبران أحدهما استرجب التعزية لفقيد عزيز صديق لمرجلين "إسماعيل باشا رمزي وزير الأوقاف" ، وأحدهما استرجب المواساة لتكسر وزير قدم استقالته (أحمد حسين وزير الشؤون الاجتماعية الذي اختاره النحاس رغم صغر سنه) دون مراعاة لحاظر النحاس، وهذان الخبران رأى طه حسين أنهما يستوجبان سرعة التعليق عليهما بالتعزية والمواساة للنحاس باشا الذي وصلته الرسائلان في وقت واحد وتاريخ واحد، مما اقتضى من النحاس أن يرد عليهما برسالة واحدة. ولتقرأ أولاً رسالة طه حسين الجديدة بنفس التاريخ السابق للرسالة الأولى في:

٢٩ يوليو ٥١

سيدى صاحب المقام الرفيع

سلام الله ورحمته وبركاته على مقامك الرفيع وشخصك الحبيب إلى الأثير عندي. أما بعد، فقد حملت إلى الصحف التي ترد من مصر خبران أترا في نفسي تأثيراً متناقضاً أشد التناقض متباعدان أعظم التباعد، أحدهما وفاة زميلنا وصديقنا إسماعيل رمزي باشا رحمه الله. وأنا أعرف قلبك الرحيم، ونفسك الشقيقة ، وضميرك المؤثر للود، والحفيظ على العهد، الوفى للأصدقاء، فخالط الأسف على الراحل الكريم إشفاق عليك من وقع المصاب ونزول الخطب ، وتصورت كيف تأثرت نفسك في هذه الفاجعة . فرجتك حيالك، وأشفتك عليك ضناً بك، وابتهدت إلى الله أن يجنبك كل مكروه ، ويعصمك من كل سوء ، ويسخ عليك العافية ، وينزل على قلبك السكينة، ويمنحك من المعونة والتأييد ما يكون لك فيه بعض

العزاء .

الثاني ما كان من تنكر زميلنا أحمد حسين باشا الذي رفع إلى مقامك الرفيع استقالته وأبى ليما تقول الصحف أن يعدل عنها مع إلحاح مقامك الرفيع عليه في ذلك.

ولست أصرف حقيقة ما دفعه إلى الاستقالة، ولا حقيقة عذره في الإصرار عليها والاستمسك بها، ولكني أجد في هذا الاستمسك قسوة لا أحبها، وشدة لا أرضاها. فأنت لزملائك وأعاونك أب رفيق رؤوف لا تحملهم ما لا يطيقون ، ولا تكلفهم ما يكرهون، وما أكثر ما تشقى ليسعدوا، وتتعب ليسزجوا، وتسهر ليناموا ، وأقصى ما يجوز لأحدهم إنما هو الشكوى إليك والإلحاح في هذه الشكوى طمعا في عطفك، وثقة بحبك حتى ترضيه . فاما أن يفضلك ويسوءك ، أو يضيف إلى تعبك تعباً، وإلى عنائك عناء، فهذا هو الذي لا أحبه ولا أقره ولا أرضاه، وأنا أرجو أن يكون زميلنا قد راجع نفسه لآثر العافية ، وثاب إلى الرضى، واعتذر إليك من التقصير في ذلك . فإن يكن ظنى قد صدق ورجاني قد تحقق فالحمد لله على اجتماع الحكمة والتمام الجرح.

وإن يكن ظنى قد كذب ورجاني قد خاب فليس زميلنا أول من أخطأه التوفيق وأدركه العجز وسط الطريق. وما أكثر الذين انشقوا عليك، وتفرقوا عنك فلم يزدك انشاقهم إلا قوة، ولم يزدك تفرقهم عنك إلا استمسكاً بالحق وإصراراً عليه.

وأنت موفق إن شاء الله في كل ما ترى ، مؤيد بروح الله في كل ما تبتغى. ولو أنى كنت في مصر لشاقتها بذات نفسى ولأظهرتك من قرب على وفائى لك وحرصى على أن ترضى. أنا مؤمن بأنك قد جاهدت فأحسنت الجهاد ، وأبليت فأحسنت البلاء، وصبرت على المكاره فأبليت في الصبر. وأوجب لك هذا كله على المصريين عامة ، وعلى زملائك منهم خاصة حقوقاً هي ذمة في أعتاقهم، وأيسر هذه الحقوق أن يكونوا دائماً عندما تحب ، وأن ياعدوا بين أنفسهم وما تكره، ومهما يكن رأى الناس فهذا رأيتى ، وهو عهد أقدمه إليك: لا أكون إلى آخر الدهر عند ما تكره مهما يكلفنى ذلك من جهد ويحملنى من مشقة.

فأقبل منى وفاء صفوا عفوا لن تشوبه شائبة مهما تكن الظروف ، فلعن الله حياة يفسدها الانحراف عنك، أو يكدرها الانصراف عما تحب.

أكتب هذا ومقامك الرفيع يعلم أنى أزهى الناس في الوزارة ، وأبغضهم لها، وأحرصهم على فرافها، ولكنى أحب مخلصاً أن تنق منى بالود الخضر والإخاء الصريف، ويسان بقائى فى الوزارة أو تركى لها رهن برأيتك، فأى الأمرين أحببت ، فإنه سيقع منى موقع الرضى لا يمس

ما بينك وبينى من ود هو أثر عندى من كل شىء، وأعز على من كل عزيز.
فاقبل تحيى صادقة ووفاتى محضا وإخائى صريحاً.

طه حسين

قطعة من جسمى

وقد أحدثت رسالة طه حسين اليليفة المؤثرة أثرها لبالغ فى نفس وقلب النحاس باشا كما
سيبين من رده عليه ، وعلينا أن نلاحظ أنه سيرد على الرسالتين اللتين أرسلهما طه حسين فى
وقت واحد، وتاريخ واحد ، وسيخص الرسالة الأخيرة بالاحتراف ، ويكتفى بالرد على الرسالة
الأولى "الأزمة" بطمأننة طه حسين بأن محتواها سيظل سرّاً فيما بينهما.

كتب النحاس باشا رسالته على الأوراق الخاصة برئيس مجلس الوزراء ، أو كما جاء فى
نصها:

رياسة مجلس الوزراء

مكتب الرئيس

عزيزى معالى الدكتور طه باشا

شهد الله أنك وفى الوفاء الخضر، مخلص الإخلاص الذى لا يشوبه غرض، ولا تفسده مطامع
الحياة.

وإن كتابك الفياض بمعنى الأخوة الكريمة، الزاخر بعبارات الصدق والوفاء ، قد أدخل
على نفسى الطمأنينة وعلى قلبى روحاً من الهدوء والانشراح..

لقد طالعتى كتابك فى ظروف محرجة أشد الحرج، قاسية أعظم القسوة ، لا لما تضمنه
من أحداث لم تعودها، أو نجرت بها ، ولكن لما اكتنفها من تكران للجميل - ونسيان للمصطفى
القريب ، ألرهما على النفس المخلصة شاق، ومغبتها مؤلمة قاسية، وأى ألم أشق على النفس،
وآلم للقلب، من أن يفقد الإنسان صديقاً مخلصاً، ورجلاً وفياً، كالفقيد إسماعيل رمزى باشا،
الذى كان مثلاً من أمثلة الانسجام الأخرى، وقدوة تحذى فى المحافظة على المبدأ الوفدى ،
فى وقت نرى فيه الذين نفخنا فيهم، وعمدنا إلى إظهارهم ، والإشادة بهم ، يعملون على
حربنا، والخروج علينا ومحاولة النيل منا، ومضاعفة الأعباء والمستوليات التى ينوء بها كاهلنا
فى هذه الأيام الدنيقة العصيبة.

ولست أكنمك أن كتابك قد وصل إلى ساعه الحاجة إلى مثله، فلقد رأيت فيه نوعاً جديداً من الأخوة والوفاء، والحب والإخلاص الذي لا يزيد ولا ينقص وفقاً لتطورات الحاجة الشخصية، أو المآرب الذاتية، ولكنه الود الصرف، والوفاء الخالص، الذي جمعنا الله عليه، ونماه بقدرته فينا، فلم يعتمد يوماً من الأيام على مصلحة - أو يسمى وراء غاية دنيا، وإنما كان في الرخاء مثله في الشدة، مثار الفخر والذكر، ومكان التقدير والإجلال، وهو هو الوفاء الذي سيظل باقياً ما بقينا قوياً تزیده الأيام قوة، ويخرج من الأحداث نقياً صافياً.

وإني لأقدر من أعماق نفسي تلك العاطفة الجياشة التي بدت في رسالتك بمناسبة استقالة أحمد حسين باشا والتي ما كنت أود أن تكون لولا أنه أصر عليها، واستمسك بها وخابت كل المحاولات التي بذلت لإثباته عنها، وما فعلنا كل هذا إلا محافظة على الشمل أن يظل ملتصقاً، وعلى الانسجام الوزاري أن يكون بمأمن من العواصف والهزات، ولكنه - سامحه الله أبي غير ما أردنا، وقصد إلى غير ما قصدنا لمصلحة المجموع لا لمصلحة فرد من الأفراد. ولقد لفت نظري في رسالتك القيمة الصادقة ما ذكرته بصفة خاصة من أن بقاءك في الوزارة وتركك إياها رهن برائي، وأن أي الأمرين أحببت سيقع منك موضع الرضا لا يمس ما بيني وبينك من ود هو أثر عندك من كل شيء، وأعز عليك من كل عزيز. وعلم الله أن هذا الذي طالعه في رسالتك هو ما أحسه من أخوتك وصدقتك، ولم يزدني علماً بك، ولا حكماً عليك. فأنت أخ الود، وصدیق النفس، وما كانت العلاقة بيننا علاقة وزارة نشرك فيها، أو حكم تقاسم همومه وآلامه، ولكنها أكبر من ذلك وأسمى، وأبقى على الزمن وأخلد، وأصدقك الحق أنني لن أتخلى عنك، ولن أفرط فيك. وسأظل مستمسك بك إلى جانبي إلى آخر لحظة، وإن أرغمتني الظروف على غير ما أحب - وأرجو ألا أرغمني - فإني سأكون كمن يقطع قطعة من جسمه، أو يفرط في عضو صالح من أعضائه. هيهات أن يجد له بديلاً، أو يعتاض عنه بمثله، على أنه مهما تكن الأحوال فإني معتز بأخوتك، فخور بصدقتك، ممتلئ النفس غبطة بوفائك وإخلاصك، راجياً أن يظل وشاؤك صرفاً، وإخاؤنا محضاً، وعلاقتنا خالصة لا يكدرها ما اصطاح الناس عليه من شئون الدنيا، ولا ما ألقوا أن يتهافتوا عليه من أمور الحكم، والجاه أو السلطان.

ولك متى تحية التقدير، ووفاء الصديق، ومحبة الأخوة الممتزجة بالإجلال والاحترام. وأكتفي بهذا عن الرد على خطابك السابق الذي أوصيتني فيه على أن يكون ما احتواه سراً خاصاً بينك وبينى. وأرجو في الختام أن تبلغ السيدة حرمك تحيتي واحترامى.

مصطفى النحاس

سان ستافانو في مساء الأربعاء ٨ أغسطس ١٩٥١

أشقى الناس

وتخصى الأمور بعد ذلك إلى نهايتها الختومة وتطوى بحريق القاهرة آخر صفحة من صفحات الوفد وزعيمه لتم إقالة الوزارة النحاسية السابعة والأخيرة ، والتي كان لها حظ اشراك طه حسين فيها، ورغم قصر المدة التي قضاها كوزير للمعارف "ستتان" إلا أنه ترك أبعداً في تاريخ الوزارة بحيث لا يذكر التعليم ولا تذكر وزارته إلا مقفونة باسم طه حسين، ولعلنا في شوق شديد اليوم ونحن نصبح أبناء خروج الوزراء بعد التغييرات الحكومية، حيث يتكرر السؤال مع كل تفسير: كيف يستقبل الوزير الخارج من الوزارة هذا المصير، ولعل الساعات والأيام الأولى تكون في حياة الوزير الذي هجر السلطة والنفوذ أو قد هجرته من ألقى الفترات في حياته، فكيف عاش الوزير طه حسين هذه المرحلة من حياته؟ إنه لا يدع فرصة لنا للتخمين والاستنتاجات ، بل هو يخبرنا بنفسه في نفس المقال المشار إليه سابقاً كما أخبرنا بقصة دخوله وخروجه من الوزارة ، فيحكى عن حياته ومعيشته بعد خروجه أو إخراجة من الوزارة التي أقيمت بأكملها عقب حريق ٢٦ يناير ١٩٥٢، فيقول:

"وأصبحت من غداة تلك الليلة مطمئن النفس مسريح البال لا أتمجل الخروج من الراحة إلى العمل، ولا أختلس طعام الإفطار اختلاسا، ولا أترقب أبناء التليفون بأن يضربوا قد كان في هذه المدرسة أو تلك ، وبأن اضطرابا قد وقع في هذه الجامعة أو تلك، وإغا خرجت من النوم مرفقا ، وخرجت من الدار حين ارتفع الضحى فسعيت إلى القصر لأسجل شكري للمليك على ما أتاح لي من محاولة خدمة الشعب، ثم سعيت إلى دار الرئيس (رئيس الوزراء النحاس باشا) لأشكر له فضل اختياره وحسن ما أسدى إلي من معونة أثناء تشرفي بالعمل معه، ثم عدت إلى داري راضيا موفورا ، ولكن لا أقول الحق كله إن لم أضف أنني كنت متعبا مكدودا ، وأني احتجت إلى وقت غير قصير لأتنفس في أناة ورفق، ولأذوق الحياة كما تعودت أن أذوقها قبل أن ألى وزارة المعارف. وفي اختلاف الليل والنهار وتعاقب الأحداث والخطوب ما ينسى الكتاب أنهم كانوا وزراء . وأشهد لقد كنت خليقا أن أنسى هذين العامين نولا تحدث الناس إلى فيهما، ودعاء الناس لي بلقب ليس لي فيه الآن حق قليل أو كثير، وما لي لا أنسى الوزارة وقد لقيت فيها عناء وشقاء، وما رضيت فيها عن نفسي قط، وإنني لأشقى الناس حين أرضى عن نفسي، فما يرضى عن نفسه إلا رجل قد فرغ من الحياة أو فرغت منه."

مراسلات

طه حسين - نجيب الهملاى

(١) على كثرة ما كتب طه حسين من رسائل إلى أصدقائه السياسيين وغير السياسيين فإننا لا نجد غير صديق رأى فيه طه حسين صديقه الوحيد في مصر، الذى كان يؤثره بالحب والمودة والإعزاز بعد أسرته، وهو أحمد نجيب الهلالي، انخامى، وزير المعارف، وآخر رئيس وزراء لمصر قبل الثورة، وأحد القلائل الذين احتفظت لهم الثورة بقدرهم، فسبقها إلى شعار "التطهير" الذى تبنته الثورة بعد قيامها، وكان هو الذى نصح الملك بقبول شروط الثورة، وكانت تصوص معاهدة الجلاء تعرض عليه لإقرارها من الناحية القانونية قبل أن يوقعها عبد الناصر، وهو الذى وضع بروتوكول الإسكندرية الذى نص على تأليف الجامعة العربية وتحديد أهدافها، وفضلاً عن أن الهلالي كان سياسياً ماهراً للدرجة أن أطلق عليه النحاس باشا "أمكر المكره" فقد كان سياسياً نزيهاً دخل الوزارة مستوراً وخرج منها مديوناً، وصفه د. محمد حسين هيكل باشا بالتفانى فى خدمة بلاده ورغبته فى النهوض بالعلم والأخلاق، ووصفه كامل الشناوى بأنه صاحب ثقافة عميقة عريضة فى الأدب والفلسفة والفقه والقانون، وكان أول من بدأ إصلاح التعليم، بل إن هناك من يذهب إلى أنه صاحب مقولة "التعليم كالماء والهواء" التى نسبت إلى طه حسين، الذى يعترف بأن الهلالي هو أول من جعل التعليم الابتدائى بالإنجليزية، وهو الذى أعاد طه حسين إلى الجامعة بعد أن طرده إسماعيل صدقى منها، كما عينه مستشاراً فنياً لوزارة المعارف، وانتدبه مديراً لجامعة الإسكندرية، ورشحه وزيراً للمعارف فى حكومة النحاس الأخيرة، ولن نجد فى أوراق طه ورسائله إلى من كان يرأسهم إلا صديقاً واحداً اختصه بأكثر وأطول وأصدق وأصفى رسائله.

كتب طه حسين إلى الهلالي باشا من فرنسا يروى له أحداث سفره، والحوار الذى دار بين النحاس باشا وزوجته سوزان على ظهر السفينة عن الهلالي نفسه، فيقول:

أخى العزيز

أما إذا لم تشغلك عنى ظروف الحياة فى مصر فأنت تلومنى إن أبطأت فى الكتابة إليك. وأما إذا شغلك المدير وجه النهار والسمر أول الليل، والنوم بين هذا وذاك فأنت تذكرنى من حين إلى حين وتسال متى تصل إلى أخباره. وأنا قابل منك كلا الأمرين مختبسط بهما، سعيد بأن تذكرنى كثيراً أو بأن أمر على خاطرك مرأً سريعاً. وإذا كنت لم أكتب إليك فلأن الأيام التى قضيتها فى باريس إلى الآن كانت مفعمة بجلائل الأعمال وصفاتها. من اختلاف إلى

(*) المصبر ١٩ نوفمبر ١٩٩٩.

السوربون والكوليج دي فرانس، والإليزيه، والكوميدي فرانسيس، والأوبرا، والمعروض، وما يتصل بهذا كله من سحف الاحتفالات والأعياد التي أقيمت للكوليج دي فرانس . وكنت أذكرك وأسف لأنى لم أكن أجد الوقت للكتابة إليك. أما الآن وقد فرغت من هذا كله فأرجو أن تتصل إليك كئيب حتى تشكو من كثرتها ، ولكن أحذر أن تظل هذه الكتب من غير جواب. ولست أطلب لكل كتاب جوابا. وإنما أطلب جوابا لكل كتابين. وهذا الكتاب هو الثاني فقد كتبت إليك من "سوردا" فى إيطاليا، وأحب أن تلاحظ أنى لست أقل منك عملا، فبين يدي مجلدات تريد أن تقرأ، وبحس يريد أن يكتب للمؤتمر، وملاعب باريس مفرية، وليست متزهات الأقاليم أقل منها إغراء ، وسأترك على كل هذا فتستطيع أن تأخذ لى فى الأسبوع نصف ساعة من عوض بك إبراهيم وبله تحيتى.

ذكرناك كثيراً فى السفينة مع صاحب الدولة، وكان أول ذلك أنا كنا نعد مسرة المهرة والمكرة الذين يحسنون الشيطنة أو يسبونها، فذكرنا أسماء، ثم افترقنا. ومضى على ذلك وقت طويل ثم مر الباشا بامرأتى وهى تتحدث إلى حرمة ، فقطع حديثها قائلاً لزوجتى : لقد نسيت يا سيدتى أمكر المكرة . قالت من هو؟ قال: نجيب. ولست أذكر لك : ابتهجت سوزان بهذا الجواب. ولكن أهدى إليك تحيتها الخالصة، وأرجو أن تقبل منى تحية أنت وحدك تعرف ما تشتمل عليه من حب وإخاء.

الأيام المظلمة

وحيثما اشترى طه حسين امتياز جريدة "الوادى" وأشرف على تحريرها أثناء أزمته مع وزارة صدقى باشا ، عانى طه حسين من خسائر مادية شديدة، فإن كان قد نجح كصحفى إلا أنه فشل كإدارى ، واضطر إلى الاستدانة، وكان الهلالى ممن استدان منهم، ويسمى طه هذه الفترة بالأيام المظلمة، فقد كتب إلى نجيب بك الهلالى:

أخى العزيز

أكتب إليك مرة أخرى مستعينا بك وأثقل شئ على أن يأخذك الحياء فتكلف نفسك ما لا تطيق أو ما يشق عليك ، أو أن يمنعك الحياء من الرد على. فأقسم عليك لا تكلف من هذا كله شيئاً.

وأنا أعلم أنى ثقيل ولكنى أعتقد أنك لتحتمل منى هذا الثقل الذى أرجو أن يخف قريباً.

أما الجريدة فما زالت حالها بعيدة عما يرضى ولكنها أخذت تحاول أن تقف على قدميها، وأظن أن هذا ليس مستحيا. فقد أخذ انتشارها يزيد بعض الشيء، وقد أخذت بعض شركات الإعلانات تفكر فيها، الغريب أنى برغم هذه المصاعب كلها بعيد كل البعد عن اليأس، بل بعيد إلى حد ما عن سوء الخلق. ولعلنى لم ابتسم قط كما ابتسمت فى هذه الأيام المظلمة. وإذا كان فى حياتى شئ ممض فهو احتياجى كثيراً إلى أن استدين، وإشفاقى المتصل من العجز عن أداء الدين. وأنا أريد الدين المادى. فقدر لرجلك قبل الخطو موضعها، استغفر الله. واستغفرك. أنت أكرم على وأرفع عندى من هذا الكلام.

وتقبل تحيى الخالصة

طه حسين

١٠ نوفمبر ١٩٣٤

السخف الرسمى!

ويكتب طه حسين من مصيفه إلى الهلالى رسالة يضمنها بعض الاقتراحات والأفكار الخاصة بالتعليم، وهو حين يتحدث يقسم حديثه إلى قسمين قسم خاص بالهلالى الصديق، وقسم آخر يخص به الهلالى الوزير، فكتب إليه يقول:

خطاب إلى نجيب بك الهلالى ٢٥ يوليو ١٩٣٥

أخى العزيز

أكتب إليك بعد أن انقضت ثلاثة أسابيع منذ اليوم الذى ودعتك فيه قبل سفرى. فقد أذكر أنى لقيتك مودعا فى الثالث من هذا الشهر، وأنا أكتب إليك فى الخامس والعشرين منه. وتستطيع أن تتق بأنى منذ ودعتك لم أنقطع عن التفكير فىك مرات، فى كل يوم أذكر شخصك وأذكر عمالك المعقد المختلف الشاق، وأشفق عليك بما تختمل من جهد وما تلقى من عناء. ولست غالباً ولا متجاوزاً الحسب إن قلت أنى لا أكاد أفكر فى أحد غيرك من المصريين، ولا أكاد أفكر فى شئ غير وزارة المعارف من شئون مصر، ولولا أنك وزير المعارف لما فكرت فى هذه الوزارة التى تعرف رأيى فيها منذ زمن بعيد.

ولست أرى عليك بأساً من أن تقرأ هذا الكلام الفارغ الذى أكتبه إليك فقد نجد فيه راحة من الكلام الملآن الكثير الثقيل الذى تقرأه فى ديوانيسك والذى تغلبى به حقائبك إذا

انصرفت إلى بيتك وأويت إلى مكتبك أو إلى غرفتك لتستريح فاغضبتي وقت الراحة وانفقته في هذا السخف الرسمي الذي يفرضه عليك الواجب الوطني.

وأنا أكتب إلى الصديق لا إلى الوزير، ومن هنا أصطنع الحرية فيما أكتب. وهل رأيت قبلي أستاذا يتحدث إلى وزيره بأن الأعمال الرسمية سخف، وبأن الواجب الوطني يفرض على الوزراء أن يتفقدوا أوقاتهم وجهودهم في السخف. ولكني أرجو من الصديق ألا يطلع الوزير على هذا الكلام الخطر الذي يكفى للمحاكمة التأديبية.

غير أنني أعلم أن لك ولي في الحياة العامة رأيا غريبا لا يكاد يشاركنا فيه أحد غيرنا. فنحن نرى أن الحياة العامة والحياة الخاصة سخفا كلها، ونحن نضحك من هذا السخف حين نخلو إلى أنفسنا وقلما نخلو إليها. ولكننا مع ذلك نؤمن بهذه الحياة العامة وما تفرض علينا من واجبات، ولا نبيع لأنفسنا التهاون أو التفريط فيما تفرض علينا من أعمال وانفعال. ونحن نتكلف في سبيل ذلك كل جهد، ونضحى في سبيل ذلك بالصحة واللذة والراحة معا.

خلقنا هكذا فلا نستطيع أن نغير أنفسنا ولا أن نحمل ضمائرنا مالا تطيق من المزاح حين يجب الجهد، والراحة حين يجب التعب، والأثرة حين يجب الإيثار. ومن هنا تنام أنت أربع ساعات من أربع وعشرين، وتختلف إلى ديوانيك في الصباح والمساء، وتعقد لجنة المناهج والمكتب الفني، تزور أسواق الخضار والفاكهة، ونادى المعلمين، وتسمع من هذا وتقول لذلك، دقيقا كل الدقة في كل ما تأتي كأنك تؤدي واجبا دينيا خطيرا. ومن هنا أسافر أنا للراحة فلا استريح، وإنما أقرأ وأقرأ، وأفكر فيما سأكتب، وفيما سأقول، وأمتنع على أهلي كلما هموا بنزهة أو رياضة. وأفكر في وزارتك التي لم أكن أحب أن أفكر فيها قبل أن تتولاها.

وأظن أنه قد آن لي بعد أن تحدثت إلى الصديق حديثا أراه قصيرا وستراه أنت طويلا، لأنك مشغول بالواجبات الوطنية. أظن أنه قد آن لي أن أتحدث إلى الوزير فأذن يا صاحب المعالي أن أرفع إليك ما يأتي.

أولا: كانت وزارة صدقي باشا قد كلفت وزيرنا المفوض في لندرة وهولندا حافظ عفيفي باشا أن يرأس وفد مصر في مؤتمر المستشرقين الذي عقد في "ليدن" سنة ١٩٣١، وكان لذلك أثر حسن جدا.

فمن الخير أن تكلف الحكومة القائمة وزيرنا المفوض في روما مراد سيد أحمد باشا رئاسة الوفد المصري في المؤتمر نفسه الذي سينعقد في سبتمبر المقبل، وليس على الحكومة من ذلك بأس، فلن يكلفها هذا العضو الجديد نفقة ما. وبهذه المناسبة أرجو أن تقوى

الجامعة، وقد الحكومة بتدب الثين عنها هما: أحمد أمين وعبد الوهاب عزام. وقد كتبت في ذلك إلى مدير الجامعة قبل سفرى. ويكفى أن يعلم وزير المعارف أن الوفد الألماني في المؤتمر السابق قد نيف على السبعين. فليس كثيراً أن يكون الوفد المصرى مؤلفاً من ستة أو سبعة، ومصر موئل العربية والإسلام إلى آخر هذا الكلام الكثير.

وكانت الحكومة السابقة قد دعت المؤتمر إلى أن يعقد في مصر فلم تنجح لأن إيطاليا غلبتها، فهل تجدد الحكومة الحاضرة هذه الدعوة كما تقضى بذلك التقاليد. مسألة لا أفرح فيها شيئاً وإنما أتركها لتقدير الوزير .

ثانياً: رأيت فيما رأيت منذ وصلت إلى فرنسا، أن الحكومة الفرنسية قد أقدمت على عمل كنت قد تشرفت باقتراح مثله على معاليكم في بعض الحديث فأظهرتم ميلاً إليه واستعداداً له.

فقد قررت وزارة المعارف الفرنسية أن تضم مدرسة المعلمين العليا للبنات إلى مدرسة المعلمين العليا للبين ، بعد أن زالت الفروق التعليمية بين أولئك وهؤلاء . فلعل وزارتنا تذهب هذا المذهب ، ولاسيما وليس بين تعليم البنين والبنات في مصر فرق ما.

ثالثاً: وإذا أقبل الصيف في فرنسا لم تكند تنظر في صحيفة فرنسية أثناء شهر يوليو إلا وجدت فيها الحديث عن مجلس المعارف الأعلى، واجتماعه ودرسه لشنون التعليم كلها.

وقد بدأ وزير المعارف في مصر تقريره عن إصلاح التعليم الثانوى بوجوب إصلاح الديوان قبل كل شئ . وأظن أن أول خطوة في سبيل الإصلاح الفنى لوزارة المعارف ، إنما هي إنشاء مجلس المعارف الأعلى، على أن تثقل فيه فروع التعليم كلها، وأن تكون رئاسته لمدير الجامعة، وأن يكون رأيه استشارياً ، وأن ينظر فيما يعرض عليه الوزير من المسائل الأساسية في شئون التعليم ، وفيما يعرض عليه الأعضاء من الاقتراحات التى تمس حياة التعليم، وعلى أن يجتمع مرة أو مرتين في العام اجتماعاً بطول أو يقصر حسب ما تقتضيه الأعمال المعروضة عليه.

كم أتخسى مخلصاً أن يكون صديقى نجيب هو المنشئ لمجلس المعارف الأعلى هذا، والواضع لهذا الأساس الثين من أسس التعليم الصحيح في مصر.

والآن أعترف أنى قد أطلت، ولكنى أرجو أن لا تكون هذه الإطالة مانعة لك من قراءة هذا الكتاب، وأنا أعفبك من الرد عليه، وإذا وضعت عنوانى في آخره فليس معنى ذلك إلا أنى أنتك بمكانى لعلك تحتاج إلى فى بعض الأمر.

وأنا أهدى إليك ما ينبغي للصديق المخلص من حب وإخاء، وما ينبغي للوزير الجليل
من تحية واحترام.

طه حسين

أليس غريبا أن أطيل هذه الإطالة ولا أشكر لك ما أستمتع به من الراحة في فرنسا، فأنا
مدين لك بها ، ولكن هل أستطيع أن أشكر لك ما أنا مدين لك به فهو أعظم من الشكر.

طه حسين

الجهد كل الجهد

ومسلحظ موادر أزمة بين الصديقين حين قرر طه حسين الاستقالة من جميع اللجان التي وضعه
فيها الهلالى باشا لأن طه وجدها غير محففة للأغراض التي أنشئت من أجلها. وهو حين يفعل ذلك
طن أن الأمر لا يعدو اختلافا في وجهات النظر، سيتقبله الهلالى ضاحكا، يقول طه حسين في : ٨
نوفمبر ١٩٣٥ .

أخى العزيز

ستدهش حين يصل إليك هذا الكتاب فى بيتك من صديق يستطيع أن يتحدث إليك
فى كل لحظة لأنك عودته ذلك قبل أن تكون وزيرا وبعد أن كنت وزيرا.

ولكنى مع ذلك أكتبه إليك لأنى لا أريد أن أحدثك فى موضوعه ، فقد ثقل هذا
الحديث على نفسى، وإن لم ينقل عليك لأنك علمت أن أحاديثى لا تنقل عليك مهما يكن
موضوعها.

أكتب إليك راجبا منك فى صدق وإخلاص وجاء صديق من صديق أن لا تفضب حين
تجد فى الوزارة استقالتي من اللجان التي أنا فيها، وألا تراجعني فى ذلك، فأنت تعلم حق
العلم أن أثقل شئ على نفسى وأبغض شئ إلى أن تطلب إلى شينا فأجيب بلا. وأقسم لك أن
العمل فى هذه اللجان ثقيل جدا على نفسى يكلفنى مالا أحب من الضيق ، ويضيع على ما
أنا فى حاجة إليه من الوقت، ولست أحب أن أكذبك لأنى لم أتعود ذلك ، فلو أن حالتى
النفسية كما يقولون صالحة لما اعتذرت من عمل مهما يكن شاقا ثقيلًا، ولكن هذه الحالة
النفسية بعيدة كل البعد عن أن تكون صالحة، وما أحب أن أفصل ذلك، ولا أن أطيل القول
فيها فأنت فيما أعتقد تعرفها حق المعرفة، وقد بذلت جهودا صادقة لإصلاحها فلك الشكر

خالصا متصلا.

ومهما أنس قلن أنس أنك رددتني إلى الجامعة وحملت الحكومة على أن تحاول إنصافي، وحملتني أيضا على أن تحتسب لي في المعاش أعواما قديمة، ومكنتني من السفر إلى أوروبا، وهذا كثير لا يحجده إلا رجل غريب. ولكني كنت أنتظر أشياء أو أعجل النفس بآمال لا أراها مسرفة ولا غالية، وإنما أراها متواضعة كل التواضع، فقد ظهر أنني كنت أنتظر أكثر مما ينبغي، وأعجل النفس بآمال عسيرة التحقيق. فلم يبق إلا أن أنهض بالواجب راجيا منك ألا تكلفني مالا أطيق.

وأنا أرجو أن تقبل من صديقك المخلص تحية ملؤها المودة والحب. وأرجو بنوع خاص ألا تقرأ هذا الكتاب ضاحكا، وأن لا تتم قراءته ضاحكا، وأن لا تنظر إليه كما تعودت أن تنظر إلى بعض أعمال ضاحكا. فإني أؤكد لك أنني لا أكتبه ضاحكا، وإنما هو الجدد كل الجدد.

غضبك يؤذي نفسي

وقد قوبلت استقالة طه حسين من جانب الهلال بغير ما توقعه طه حسين، الذي فوجئ بغضب الهلال ولورته التي بلغت حداً أثر أبلغ تأثير في نفس طه حسين، لدرجة أنه يكتب خطابا إلى الهلال فيرجي إرساله بعدما تصاعدت الأزمة نتيجة ظروف ووشايات تراكمت، ليعود طه حسين مستأنفا بخطابه بخطاب آخر مكمل له ليستردك ما حدث محاولا إصلاح ذات البين في خطاب أدبي يبلغ بعد من أروع ما قيل في عتاب صديق لصديق..

يقول طه حسين في: في ٢٧ نوفمبر ١٩٣٥

أخي العزيز

أثبت أن ظنك قد ساء بي وأنتك وضعتني حيث تضع غيري من الناس. فقدرت أنني حين استقلت من اللجان التي تفضلت فوضعتني فيها، إنما قصدت ألا أتعاون معك في هذه الظروف الخاصة.

والإذن لي قبل كل شيء في أن ألا حظ أنني كنت أعتقد أن مكانتي في نفسك أرفع من هذا، وأن ما بيننا من الصداقة والإخاء أرفع من السياسة وأعراضها، ومن الوزارة وما يختلف عليها من الظروف.

وإني كنت أعتقد أنك ستزى في هذه الاستقالة نوعاً من الغضب أو لونا من تمرد الصديق أو نزولا عند حكم ضرورة شخصية قاهرة ، ولا سيما وقد طلبت إليك غير مرة أن تعفيني من هذه الأعمال لأدبر من أمرى الخاص الذى تعرفه ما يحتاج إلى التدبير . ولكنك قد اعرضت عن هذا كله ، وأبيت إلا أن تضعنى حيث تضع عامة الناس، فتظن بى الظنون ، وتسير بى سيرتك مع المتقليين . فهذا فى نفسه مؤلم حقا وأنت تعرفنى أكثر مما أعرف نفسى، وأنت تعلم بعد الخبرة والبلاء أنى لست جاحدا ولا منافقا، وأنت تعلم أنى قد لجأت إليك فى وقت الشدة، واستعنت بك على الضراء أكثر مما لجأت إلى أمس الناس بى، وأكثر مما استعنت بأقرب الناس إلى .

فصدقتى إن قلت لك إن سوء ظنك بى يؤذنى فى كرامتى ويجرحنى فى مروءتى ، وليس هذا بالشئ القليل .

وأنى لأقسم بك وأنت أعز الناس على وآثرهم عندى بعد زوجى وإبنى ، ما فكرت فى سياسة ولا فى مفاضية لوزارة المعارف، ولا لوزيرها، حين كتبت إليك ما كتبت . وإنما فكرت فى أن أقتصد من الوقت ما يمكننى من أن أكتب مقالة أو أضع كتابا أستعين به على الحياة .

وأنت بالطبع حر فى أن تصدق هذا القسم العظيم أو لا تصدقه، ولكنى أعرب عما فى نفسى مخلصا، وما أستطيع أكثر من هذا ، بل أنا أستطيع أن أقيم الدليل على صدق ما أتيتك به إن كان سوء ظنك بى قد انتهى إلى هذا الحد، فأسرد استقالتي من اللجان التى لم تعين لى فيها خلفا لتعلم أنى أبعد الناس عما ظننت بى، وإنى أرفع من أن أجعلو صديقى للسياسة أو لما هو فوق السياسة .

دعنى أذكرك مودتنا وإيماننا، فقد يظهر أن السياسة وأنقالها قد أنستك مكانتى منك، وخيلت لك أنى كهؤلاء الذين ينادمونك وزيراً ، ويتجنونك إن بعدت عن الحكم .

ودعنى أقل لك فى صراحة الصديق للصديق، بل فى صراحة طه لنجيب أنى لم أخطئ معك إلا فى شئ واحد وهو أنى استقلت فى وقت غير ملائم للاستقالة، وأنا نادم على هذا الخطأ ومعذرة منه ومستعد لإصلاحه إن أردت أنت، ما وسعنى هذا الإصلاح . فأما فى غير هذا فلم أقصر فى ذاتك، ولقد ساءت الظروف السياسية فسحيت إلى مقابلتك وطلبتها إليك مباشرة وبالواسطة فلم تُرد لى .

ولست أعرف أنى أخطأت معك غير هذه المرة ، ولكنى أعرف أنك أنت ظلمتتى أشنع الظلم، فأسأت بى الظلم، وعاملتتى معاملة عامة الناس، واتهمتتى فى نفسك بخيانة الصديق،

وما كان ينبغي لك أن تفعل هذا، فبيني أن تكون الصداقة في نفسي كريمة كنفسك، أنفس من كل شيء وآثر من كل شيء وأرفع من أن تبلغها وشاية الواشين.

أسعى إلى مقابلتك فرفضها ، وأسأل عنك في التليفون فتعرض عن سؤالى. ويقول لك الواشون مسخفهم فتسمع لما قالوا . وهينى أخطأت فمن الذى يمنع الصديق أن يصلح خطأ الصديق. تسير معى سرتك مع سليم ثم ترى بعد ذلك أنك منصف ، وأنى أنا المخطئ.

كلا- إبنى لأقهر نفسى وأخذها بحزم عنيف لأنى أحبك وأوترك وأكره أن أقسو فى الكتابة إليك.

تعبت علىّ فيما يظهر بل فيما يقال أنى اشركت فى احتجاج الأساتذة المصريين فى كلية الآداب. فأحب أن تعرف قبل كل شيء أنى لم أعلم بأمر هذا الاحتجاج إلا من مدير الجامعة حين تقرر وأصبح أمرا محتوما، وأصبح التخلف عنه شيئا لا يليق ، وأحب أن تعلم بعد ذلك أنى لا أرى فى هذا الاحتجاج وقد اشركت فى كتابته عمدا شيئا يحس الوزارة أو يؤذيها ، وإنما أراه تقوية لها وتأييدا لسياساتها فى خدمة هذا البلد العس. ولكنك أيها الصديق تسمع ما يقال وما أكثر ما يقال، تسمع لقوم غير ناصحين ولا صادقين، ولو سمعت للناصحين الصادقين فانت أمور تحسبها شاقة وما هى بالشاقة.

كم أحب أن ألقاك وأن أسمع منك ألقى الحديث، وأن أتحدث إليك أرق الحديث وأعذبه ، ولكنك تعرفنى وتعرف أنى لا أريد أن أسعى إلى وزير فأرد عنه، وإن كان هذا الوزير أخى نجيب. وحسى أنى أحسنت الظن بوزير المالية، فطلبت من سكرتيره أن يأخذ لى منه موعدا فلم يرد علىّ . وحسى أن هذا نقص علىّ الحياة أياما، فلو قد سعيت للفتاتك ثم رددت عنه لبغضت إلى الحياة تغيضا.

إن كنت حريصا علىّ مودتى، مستقبيا، فمر أحد كتابك بدعوتى إليك، وإلا فلن أكلفك ما لا تحب، ولن أريك وجهى الذى قد تكرهه، ولكنى سأخلص لك دائما، وسأبقى لك دائما، لأنك لا تستحق منى سوى الإخلاص والوفاء ، وسأحفظ فى قلبى جرحا دائما دائما لأن الرجل الوحيد الذى كنت أراه الصديق الوحيد قد أساء بى الظن وعاملنى كما يعامل عامة الناس.

وأحب أن تذكر هذا البيت القديم، فهو أصدق وصف لما بينك وبينى. وانت حرق فى أن تقبل علىّ أو تعرض عنى، ولكنى أريد أن تقرأ هذا الكتاب وأن تحفظه عندك، فقد تصدقه الأيام، أما البيت فانت تعرفه، ولكن لا بأس من أن أذكرك به ، وهو:

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعني بينك فانظر أي كف تيدل

طه حسين

أعلنت هذا الكتاب منذ شهر كما ترى من تاريخه، ثم بلغتني عنك هنات فلم أرسله

إليك.

وأنا أرسله إليك اليوم لأن الناس أكثروا فيما يظهر أن تقع القطيعة بينك وبينى ، فتحدثوا بذلك وأكثروا، وسعى بعضهم عندك، وسعى بعضهم عندي ، ومشى جماعة من الأصدقاء إلى مدير الجامعة يطلبون إليه أن يجعنا عنده وأن يصلح ما بيننا فأنى ، ولكنه قبل آخر الأمر أن يمر بي ثم يسعى بي إليك فأبيت . لا لأنى أكره السعى إليك بل لأنى أكره أن يتوسط بينك وبينى ثالث مهما يكن.

ولو قد دعانا لطفى بك إلى بيته لاعتذرت ولم أحب دعوته لأنى مازلت أعتقد أن ما بينك وبينى من المودة أكرم وأصفى من أن يسعى فيه الوسطاء. وأحب أن تعلم أنى لم أرسل إليك وسيطاً، ولم أرغب أحداً فى أن يرضاك ، وأنى لست فى حاجة إلى أن ترضى عنى إذا لم يكن بد من وسيط لأبلغ هذا الرضى. فالذين تحدثوا إليك فى ذلك بين رجلين: متطوع للخير يسوءه أن يفسد ما بين صديقين، وفضولى يجب أن يسمع منك ومن ثم يذيع ما يسمعه بين الناس. وقد أثبت أنك واجد علىّ لأنك تظن أنى قد عرضت بك فى مقال كتبه عن برنارد شو. أتبانى بذلك مدير الجامعة ، فأذن لى فى أن أعتقد أن ما كنت فيه من جهد وعناء قد خيل إليك أنك المعنى بكل شى ، وأنى أقسم بك وبابنى وزوجى ما فكرت فيك حين كتبت هذا المقال ، ولا فكرت فى أحد من الوزراء القائمين ، وما كان ينبغي لى أن أفكر فيكم، لأنى كنت أعلم من أمركم فيما يظهر مثل ما كنتم تعلمون. كنت أعلم أنكم لم تخالفوا الشعب ولم تشكروا له ، ولم تنقطع الوسائل بينكم وبينه ، وإنما كنتم تظهرون الشدة وتضمرون اللين، وتخاطرون بسمعكم ، وتجهدون مع ذلك فى إصلاح الأمر، واسترجاع الدستور.

كنت أعلم ذلك علم يقين، وكنت أكنمه على كل إنسان إلا على نفسى ، فلم يكن ينتظر أن اتهمكم بما ظننت أنى أعرض به فى هذا المقال. ولقد كلمنى مدير الجامعة فى ذلك فلم أخف عليه أمام عبد الرحيم أنى إنما كنت أعرض بالأحرار الديموقريين وأشباههم، فاضطرب لذلك وضحك ضحك من لا يدرى كيف يقول.

أما بعد فأتى أعيد ما قلته لك فى الكتاب الذى كتبه منذ شهر وهو أنى هممت أن أسعى إليك فأبيت أن تلقانى. وأزيد على ذلك أن الناس قد تحدثوا بأنكم ستستقبلون،

فوطنت نفسي على أن أسمى إليك منفرداً، وأخذت أدبر السعي إليك مع الزملاء. يعرف ذلك مدير الجامعة وسكرتيرها العام. ثم أقمتم في الحكم فحمدت الله وشكرت له هذه النعمة، يعرف ذلك رئيس الوفد. ولكني لم أسع إليك لأنى لا أحب ولن أحب أن أتكلف السعي إلى الوزراء وهم يظهرون القضب والإباء . وأنا أمثل دائماً قول الشاعر القديم:

إذا أنكرتني بلسدة أنكرتها خرجت مع البازي على سواد

وقد تسألني: لم أكتب إليك ؟ فأجيبك بأنى أكتب إليك لأن غضبك يؤذيني، ولأن سوء ظنك يقض مضجعي، وأجيبك بأنى أكتب إليك لأرجو منك ألا تقبل ومساطة ومسيط بيتا، مهما يكن فلن أقبل هذه الوماسة. وأست في حاجة إلى رضاك إذا لم يصدر عن قلبك عفواً. وإذا طلبت رضاك فيأني أطلب حقاً لى ولا أستجدى شيئاً أحب أن تمنحيه منحاً. ومازلت أعتقد أن لى عليك حقوقاً ، وإن أول هذه الحقوق ألا تظن بى السوء ولا تسمع فى لئوشاة . وإذا رثى أحداً لصاحبه فإنى أنا أرثى للصديق الذى يسى الظن بصديقه ويسمع فيه كلام من لا خلاق لهم ولا غناء فيهم.

ثم أجيبك آخر الأمر بأنى أكتب إليك لأنى أحبك أكثر مما تحبني وأكثر جداً مما تظن. ومن يدري لعلك قد أبغضتني إلى حد لا تسمح معه لنفسك بقراءة هذا الكتاب أو هذين الكتابين اللذين أسرفا فى الطول. وعلى كل حال فأنا أهدي إليك نحية صديقك طه. وأرجو أن ألقاك فى يوم بعيد جداً لأنه سيكون بعد استقالة الوزارة لا قبلها ، إلا أن يدعو الوزير إليه أستاذاً موظفاً، فإن طاعة الوزراء واجبه. ليس كذلك.

٢٦ ديسمبر ١٩٣٥

أحب وأئما الاحتياط

وحين يعود الوفد إلى الحكم فى وزارة ١٩٤٢ يشغل نجيب الهلالى وزارة المعارف، فيأنى بظه حسين معه مستشاراً فنياً للوزارة ، ويضطر طه حسين فى نفس العام إلى السفر مع أسرته للمصيف، وتشغله فى سفره أمور منصبه الجديد وما تركه خلفه من أعمال يحاول أن يضع لها الحلول ، وهو لا يخفى ضيقه من عدم استشارته فى بعض الأمور بينما هو مستشار الوزارة. فيكتب أثناء سفره من:

فلسطين أكتوبر ٤٢

أخي نجيب باشا

ليس هذا كتابا رسميا. ومع ذلك فلن أتحدث فيه إلا عن شئون العمل والوزارة، فإن اشتغالك بجلسات مجلس الوزراء والمقابلات التي كنا نظن أنها ستخف بعد انتهاء الدورة البرلمانية، فإذا هي تزداد كثرة وتعقيدا بأعمال الوزارة التي تختطف ما تستطيع في النهار، وتفرغ لها حين تستطيع في الليل.

كل ذلك لم يمكنني من أن أتحدث إليك هادئين في أشياء لم يكن بد من التحدث إليك فيها. فلتسعد الكتب إذا لم يسعد اللقاء.

ولست أرى بأما من أن تقرأ هذا الكتاب وعلى وجهك ابتسامة فيها كثير من السخرية ولكن فيها كثير من المودة، وكذلك أفسر ابتسامتك لكل ما يصدر عني وإن لم أرها. فأقرأ هذا الكتاب في الوزارة إن شئت، أو ضعه في الخفية لتقرأه في البيت إن أحببت، فإنه لا يزيد إلا أن تقرأه وكفى:

١) لم أستطع أن أقترح من ينوب عني أثناء غيبي لسبب بسيط وهو أنني مستشارك، وما ينبغي أن أفرض عليك أو أن أقترح عليك مستشارا. فمستقتني عن المستشار إذن أثناء غيابي، أو ستستبدل به من شئت. ولكن للمستشار أعمالا إدارية لا بد من أن يصرفها مصرف، وكثير منها بسيط لا يبلغ أن يرفع إلى الوزير أو لا ينبغي أن يرفع إليه دون بحث، فيخيل لي أن شفيقا يمكن أن يقوم مقامى في تصريف هذه الأمور إن شئت. وإلا فالخير ألا تنيب عني غيره ففى ذلك إيذاء له لسا في حاجة إليه.

٢) طلبت وزارة الشئون الاجتماعية الإذن لفرقتها التمثيلية بالعمل في الأوبرا في موعد حددته، وللفرقة ملعبها الخاص، وكنت أريد أن أرفض الأوبرا، ولكن صلاح الدين بك ألح عليّ، والظاهر أنه كلمك وأنتك وعدته دون أن تأخذ رأي مستشارك. ولا عزاء في هذا فللفظ المستشار يجعل رأيه ثانويا، ولكن الأوبرا قد ارتبطت مع بعض الفرق الإنجليزية، ولا يمكن نقض هذا الارتباط، ولن تكون الأوبرا حرة قبل ١٥ نوفمبر. وقد اتفقت مع صلاح الدين بك على أن نجتهد في إخلاتها للفرقة ابتداء من يوم ١٢ نوفمبر. وسأترك التعليمات بذلك لسليمان بك نجيب، فأرجو ألا تغير هذا الاتفاق.

٣) وبمناسبة الفرقة التمثيلية علمت أن معاليكم وافقتم على أن الأستاذ محمد حسن مراقب

الفنون الجميلة مديرا للفرقة، ولم أعلم بشئ من هذا إلا مصادفة. ولكن رأيي في هذه المسائل ليس رأى المستشار فحسب. فمراقبة الفنون الجميلة تبعنى. ولو استشرتني لأشرت بغير ما تم الاتفاق عليه. ولكنى أقدر أنهم طلبوا إليك ذلك حين كنت فى رئاسة مجلس الوزراء يوما من الأيام فأجبت غير مكثرت بالفرقة ولا بمديرها.

والأستاذ زكى طليمات مدير فنى هذه الفرقة، فعلى وزارة المعارف إذن وزر هذه الفرقة ليس غير. أليس يمكن أن تنقلهما جميعا إلى وزارة الشؤون الاجتماعية لترقى بهما الفرقة التمثيلية إلى عتات السماء، وتدبر وزارة المعارف أمرها على خير مما هو مديبر الآن؟

٤) ومسألة أخرى ليست من شئون وزارة المعارف ولكنها من شئون الرئيس الأعلى للجامعة وقد تعمدت أن أتحدث إليك فيها تليفونيا صباح اليوم وعيد الوهاب عزام إلى جانبى. فالواقع أن فى الكلية دعايات سخيفة، وأن شئون العمادة تأخذ دورا غير مريح. ولست أدري إلى أى حال تنتهى شئون الكلية. ومن الخلق أن عنايتنا بالإسكندرية لا ينبغى أن تعرض جامعة القاهرة لخطر ما. ولست أشير بشئ ولكنى أتمنى لو تأخر الانتخاب إلى ما بعد العيد، ذلك أجدر أن يتيح لنا فرصة للتفكير والاحتياط للعام الدراسى. فلا ينبغى أن يكون العيد فى كلية الآداب ضعيفا متهاككا ولا سخيفا مضحكا. وقد كانت هذه الكلية دائما عنوان الجامعة. ويرجى أن تظل كذلك.

وأعود بعد ذلك إلى وزارة المعارف فأذكرك بما تحدثت إليك فيه من أمر مراقبة تعليم البنات. وما أشك فى أنك ستجد له دواء رقيقا رشيقا ناجعا وقد تحدثت إلى متحدثون اليوم بالتليفون زعموا أنهم من أساتذة اللغة العربية بوزارة المعارف وأبوا ذكر أسمائهم واتهموا مفتشا بعمل مع الأستاذ جاد المولى بك اسمه حمزة تهما خطيرة ولست أحب الأخذ بالتسبهات ولا الاستماع للذين يجبنون فلا يذكرون أسماءهم، ولكن أحب دائما الاحتياط. وأول ما يجب من الاحتياط هو أن أظهرك على ما أعلم وقد فعلت.

أما بعد.. فإني أعلم أنك قد أدت لى فى السفر راضيا كارها معا، فأما رضاك فلأنك تحب لى ولأهلى ما ينبغى لنا من الراحة، وأما كرهك فلأن العمل كان يقتضى بقائى فى هذه الأيام. وأقسم لو استطعت لبقيت، وما أسافر رغبة فى الراحة لنفسى. وراحتى آخر شئ أفكر فيه، ولكن فى الحياة ألقالا وواجبات يجب أن تحمل وأن تؤدى. ولستنا سعداء دائما باحتمال الألقال ولا بتأدية الواجبات.

وأنا شاكر لك على كل حال إذنك لي بالسفر، معذرة إليك من هذا السفر نفسه ، مؤمل أن لا تجد في العمل مشقة أكثر مما تجد، واثق بأن من الغياب ما قد لا يخلو من خير. ومن يسرى لعل من الخير أن يسريح الوزير من مستشاره أياما. فأرح نفسك من هذا الثقل على الأقل، واحتمل ثقل السجارة والقهوة والموظفين والمقابلات.
وتقبل أصدق تحيتي وأخلص مودتي.

لا تياس

وياسى طه حسين لما آلت إليه الأحوال بعد أن ترك ووزيره الوزارة لينهدم كل ما حاول بناءه معاً ولكنه مع ذلك يحاول أن يتسلح بالأمل في مستقبل يراه أفضل ، وهكذا يكتب إلى نجيب باشا الهلالي فيقول:

سيدي صاحب المعالي

أشكر لمعاليك هذين الكتابين الكريمين اللذين تلقيت أحدهما منذ أسابيع وتلقيت ثانيهما اليوم، وإني لأشعر بشئ كثير من الحجل لهذا الصمت الطويل الذي لزمته وكان من الحق عليّ أن أكتب إلى معاليك وأن أكثر الكتابة . وليس الذي معنى من ذلك كثرة العمل، فما كان العمل ليمعنى من أن أؤدى واجبا عزيزا عليّ محببا إلى نفسي ، وهو واجب التحدث إليك ، وإنما معنى من الكتابة إليك ما نحن فيه من سوء الحال واضطراب الأمر وفساد الجو المعنوي. وأحب أن تفهم هذه الألفاظ على معانيها الحقيقية.

فلو كنت في مصر لرأيت الناس جميعا وقد سئموا الحياة، وحساقوا بها وغلبت الحدة على أخلاقهم وأمزجتهم، فهم سراع إلى الغضب والشك، يسيئون الظن في الحق وبالباطل . ولو كنت في مصر لرأيت ما أبرمناه في السنة الماضية ينقض في هذه السنة. فقد تحول معهد الآثار الإسلامية الذي تفضلت بإنشائه في السنة الماضية إلى وظيفة يكسب منها الكتابين كترسويل، ثمهانة جنية في السنة، واستغني عن "تواس" و"موتى" لأن الدولة في حاجة إلى الاقتصاد. وعدلت الحكومة أيضا عما تفضلت بتقريره في السنة الماضية من وجوب العناية باللغات الحية لأن الدولة في حاجة إلى الاقتصاد ، وأنت تعرف معهد التمثيل وما أصابه، وتعرف أن الوزارة عدلت عما كنت قررت في السنة الماضية من قبول الفتيات في معهد التربية . فأما دخائل وزارة المعارف نفسها فلا أذكر لك عنه شيئا لأن حديثه طويل ثقيل،

كما أنى لا أذكر شيئا عن فساد الخلق فى وزارة المعارف وفى الجامعة نفسها، وتحول الناس إلى نوع من التجسس أقل ما يوصف به أنك لو شهدت لآذريت مواطنيك، ولمأت نفسك لهم احتقارا، واستصغارا لهذا كله لم أكتب إليك لأنى أعرف أنك راض عن حياتك فى أوروبا، ومن القسوة أن أنقص عليك هذا الرضى بأحاديثنا البغيضة وحياتنا المملة الثقيلة. وأنا أعرف أنك تقرأ الصحف وتفهم بين سطورها كثيرا من الأشياء، ولكن الصحف مهما تكن لا تصور حياتنا كما هى. ولعلى لا أغلو إذا أكدت لك أنى لم أر مصر فى يوم من الأيام سمجة بغيضة تملأ النفس ثورة وإشفاقا فى وقت واحد كما أراها الآن...

(... ولكن أحب ألا تياس من أصدقائك، وأن تعتقد أن ما بدأت فى السنة الماضية إن وقف الآن ليستأنف سيره غدا! وإن أصدقاءك الذين وثقت بهم أكثر شجاعة وأعظم قوة من أن يياسوا أو يضعفوا أو يستكينوا، ولئن كرهنا فإننا لنبتسم للمستقبل، فكن مثلنا مجبا لمر مشفقا عليها واتقا بسعادتها وبأن مستقبلها سيكون خيرا من حاضرها كما أن حاضرها خير من ماضيها".

بفارغ الصبر

ويكتب الهلالى باشا إلى طه حسين، وهى من المرات القليلة التى يكتب إليه فيها ليخبره بأحواله التى ساءت مع آلام الأسنان وآلام الأصدقاء الذين ظهروا على حقيقتهم، ويشير إلى بعض جهوده لاستخلاص حقوق طه حسين من مجلة الكاتب المصرى، التى استقال من رئاسته تحريها بعد اتهامها بأن موليتها صهيانية، وتلك قصة أخرى. يقول الهلالى:

١٦ شارع المارشال اللبى بمصطفى باشا بالرمل

أخى وعزيزى طه

وصلنى خطابك منذ مدة وقد عاقنى عن الرد عليك مرض شديد أصابنى فى الأسنان منذ شهر، وترتب عليه خراج كبير أعينى فتحه وما يزال المرض باقيا، وخلع الأسنان مستمرا بعضها فى إثر بعض.

وقد تأثرت بخطابك أيضا تأثر ولكن أملى فى طه أن يصمد للأحزان والمشاق وأن يؤمن بأنه كان وسيكون دائما عرضا لهذا الزمن وأهله.

وإن سألتنى عن حالى فأعلم أنه لا يختلف عن حالك، فإنى اجتاز أزمة معنوية شديدة

الأثر في نفسي، وكم كنت أحب أن تكون بجوارى لتخفف عني بعض بلواي، ولتعيّني في أمرى . وإن أخوانك ليطمنون عليك كلما قرأوا لك في الأهرام مقالات ممتعة يرقبونها بفارغ الصبر.

وأما من جهة الخامي ليتون. (خامي ريموند هرارى صاحب مجلة - الكاتب المصري-) فلم يحضر إلى الآن خلافاً للاتفاق ، وقد كتبت لرؤوف ليمر عليه بمصر ويستوضحه الحال، فإن لم يحضر في القريب العاجل كتبت إلى الشركة من جديد مسجلاً عليها ذلك وموعداً باتخاذ إجراء قضائي.

لعل مدام طه على ما أرجو صحة ومزاجاً، كما أرجو أن تبلغها احترامى وتحيتى. بلغ سلامى للسيد مؤنس وزدنى من أخباره كما أرجو أن تبلغ سلامى وتحيتى للأستاذ فريد (سكرتير طه).

ودمت للمخلص

أحمد نجيب الهلالي

المتفقيرون

ويبدو أن ظروف طه حسين والهلالي في تلك الفترة كانت متشابهة في السوء ، ويحاول طه أن يلقي في نفس صديقه روحاً من الصبر من نفسه التي احتملت كثيراً من الآلام، مستعينا بآيات قرآنية، وآيات شعرية، ومواقف تاريخية ، فيقول :

أخي العزيز:

"... وددت لو استطعت أن احتمل عنك ما تلقيت وما تلقي من الجهد كله أو بعضه ولكن هيهات، ما أكثر ما نريد وما أقل ما نستطيع. وأنا أتمنى على الله أن تكون قد برئت من عنلك وظفرت بحظ وافر من راحة".

"وقد أنبأتني أنك تلقي أزمة معنوية حادة ، فهون عليك ، فليس في حياة الناس ما يستحق أن يعرضك لأزمة معنوية عسيرة أو يسيرة.

"واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون، إن الله مع الذين آمنوا والذين هم متقون". ولعلني قد رويت لك الآية على وجهها، والمصحف قريب منك فافقرأ الآية في آخر سورة النحل إن شاء الله.

أما أنا فقد انتابني غمرة من غمرات السخط والضيق كادت أفقد لها ما عودت الناس من صبر واحتمال، وأكبر الظن أن الأعصاب كانت مجهودة مكدودة، فتلقت هذه العوارض بشئ من الضعف.

وكان قائد من كبار قواد معاوية يربط بجيشه عند حدود الروم يغير ويغار عليه، وكان إذا دارت عليه دوائر الحرب أحياناً، لا يضعف ولا يهن، وإنما يقول:
الغمرات ثم ينجليه.

فقل مثله ولأقل أنا مثله أيضاً: الغمرات ثم ينجليه.

أما زوجي فصامدة للحياة معينة على أحداثها مفرجة بعض كربها معتدلة المزاج، ترى ولها الحق كل الحق فيما ترى أن الحياة قد أتاحت لنا غيراً كثيراً وامتحننا بقليل من شر، فلنعرف للأيام حسن بلائها عندنا، ولنجاهد حتى نكون أكفاء لما لقينا من الخير ولما احتملنا من الامتحان، والمعاقبة للصابرين.

وأما مؤنس فقد أخطأه الحظ كما أخطأنا في هذا العام فأخفق في مسابقة الأجر يجاسيون، (درجة علمية فرنسية تسبق الدكتوراه) لا في اللاتينية ولا في اليونانية، اللتين كان يحشاهما، ولكن في الفرنسية التي كان يطمئن إليها، ومن مأمته يؤتى الخذر، كما يقول المثل القديم. ولكنه والحمد لله في شجاع لم يضعف ولم يهن، وإنما قال كما يقول أبوه: الغمرات ثم ينجليه... " ... هذه جملة أخبارنا وهي كما ترى ليست مشرقة ولا متألقة، كما أن أخبارك ليست مشرقة ولا متألقة، وكما أن الدنيا كلها ليست مشرقة ولا متألقة. وقد لقيت كثيراً من الناس يختلف أجناسهم وطبقاتهم وصناعاتهم فلم أجد منهم رجلاً واحداً مشرق النفس متألقة. والناس مع ذلك يعضون كما تعودوا أن يعضوا ساهين لاهين. فلنمض معهم كما تعودنا أن نمضي غير ساهين ولا لاهين، وإنما نعرف الحق ولحتمل ألقاله، ونعرف الواجب وننهض بأعبائه ما وجدنا إلى ذلك ميلاً، فأما ما يكون بعد ذلك فعلمه عند الله وأمره إليه. واقرا معي قول أبي تمام، ولا تسخر على طريقتك من فعل جاء فيه آخره السين بعد الراء المشددة، وتوشك أنت في بعض عشك أن تجعل السين صاداً فتكون الكارثة. أما شعر أبي تمام فهو:

وركب كأطراف الأسنه عرسوا على نطها والليل تسطر غياهبه

لأمر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه

"... وإني لأعشى أن أكون من الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيهم: إلا

أخبركم بأبغضكم إلى وأبعدكم مني مجالسا يوم القيامة: الفرثاؤون المتفقهون"
وأنا أتمنى أن يجدك كتابي على أحسن ما أتمنى لك من راحة الجسم والقلب والعقل،
فأما راحة الضمير فحظك منها مولود.
وأنا أهدى إليك تحيتنا كأصدق ما تكون التحية، وودت لو أحملها بعض ما يهدى
النسيم إلينا من هذا الأريج الذي تسريح إليه الأجسام والنفوس جميعا.

طه حسين

خاص جدا

من سبیر القلماوی إلى طه حسین

بدأت علاقة سهير القلماوى بطه حسين بعد أزمة حادة مع العميد الإنجليزي لكلية العلوم
لقد حكمت لى فى نوفمبر ١٩٨٨ فى حديث لم ينشر بعد ، كيف أن هذا العميد أطاح بأحلامها
لدخول كلية الطب حيث كان من الضروري أن تقضى السنة التمهيدية للطب فى كلية العلوم ولما
كانت سهير فتاة والفتيات ممنوعات من دخول الجامعة آنذاك فضلا عن أن شهادتها الثانوية لم تكن
مصرية فقد كانت خريجة مدرسة الأمريكان الثانوية للبنات" - كلية رمسيس الآن - ورغم توسط
سهير القلماوى لمدير الجامعة أحمد لطفى السيد الذى وعدها بعرض أمرها على مجلس الجامعة إلا
أن عميد كلية العلوم هدد فى اجتماع المجلس بالاستقالة إذا والقوا على قبولها فى "كلية العلوم" ،
ولم يتخذ سهير من اليأس إلا أحد أقاربها الذى ذهب بها إلى طه حسين الذى اصطدم باللائحة التى
تقول "يدخل كلية الآداب قسم اللغة العربية الحاصل على البكالوريا أو ما يعادلها" وكان لظه
حسين قدرة فائقة على تفسير النصوص واللوائح بمنطق مقبول ومعقول، فالحاصل على البكالوريا
يدخل فيها الطالب والطالبة ، و"البكالوريا وما يعادلها" تنطبق على الثانوية التى حصلت عليها
سهير من مدرسة أمريكية، وفى الوقت الذى دخلت به سهير من باب اللائحة بتفسير طه حسين
لقد دخلت أيضا من باب المغامرة التى أقدم عليها طه بالاتفاق مع مدير الجامعة أحمد لطفى السيد،
بالسماح بدخول الفتيات الجامعة من وراء ظهر الحكومة ومن وراء ظهر تقاليد المجتمع التى لا
تسمح بذلك ، ليكتشف الجميع الحقيقة بينما فتيات الجامعة على أبواب التخرج، ولم تدخل قسم
اللغة العربية فتاة بعد سهير القلماوى إلا بعد حصولها على الليسانس، وأثناء امتحانها فى
الليسانس سألتها طه حسين عن معنى كلمتى "الويل والثبور" .. فقالت له : إني أستطيع أن أعرف
معنى "الويل" أما كلمة "الثبور" فلا أعرفها. فقال لها ساعرا: لماذا يا هانم لا تعرفينها ألم تقرنى
"ألف ليلة وليلة" ١٩ وطلب منها قراءتها وقال لها : إنها ستكون موضوع رسالتك للدكتوراة .
وقد سافرت إلى فرنسا واجلسنا للبحث والدراسة مع المستشرقين وفى المكتبات لجمع مادتها
العلمية عن "ألف ليلة وليلة"، وفى أثناء رحلة البحث لم تنقطع صلتها بطه حسين من خلال
الرسائل التى كانت أسلوبا للحوار بين التلميذة وأستاذها من قبل سفرها وأثناء سفرها وبعد

عودتها من السفر .. وقبل الدخول إلى نشر هذه الرسائل ينبغي الإجابة عن سؤال أراه ضروريا وهاما وهو : كيف وصلتني هذه الرسائل؟

وقد تأخرت الإجابة على هذا السؤال بأكثر مما يجب خاصة بعد الضجة التي أثيرت حول^(١) كتابي "أوراق مجهولة للدكتور طه حسين" منذ حوالى سنتين والتي نشرت فيها لأول مرة خطابات متبادلة بين طه حسين والرئيس أنور السادات مما دعا إلى التساؤل : من أين للمؤلف بهذه الخطابات ، ثم تكرر السؤال مع ظهور كتابي "أيام العمر.. رسائل خاصة بين طه حسين وتوفيق الحكيم"، وزادت حدة السؤال بعد نشرى للخطابات الخاصة بين النحاس باشا وطه حسين على صفحات مجلة الإذاعة والتلفزيون ، وترجع قصة حصولي على أوراق طه حسين إلى عدة سنوات مضت عندما غنيت أن أعيش عصر طه حسين ، ولما كان ذلك مستحيلاً بحكم الواقع فقد رأيت ممكناً بمعايشة تلاميذ طه حسين الذين التقيت بهم ليصوروا لي حياتهم معه، ومنهم "سهير القلماوى، ود. الزيات، وقبل التلاميذ كانت توجد أسرة طه حسين - حفيدته سوسن ومنى، وكانت "منى" هي التي تحفظ بأوراق جدها طه حسين ورحبت بي بعد أن اطلعت على مؤلفاتي لتعهد إلى بنشر تراث طه حسين ماعدا ما يسى إليه وأسرته، ويشمل هذا التراث العام منه والخاص حتى إصالات الكهرباء ، وإصالات تبرع طه حسين للجمعيات الخيرية ، والجهود الحربية، ومعونة الشتاء، وعقود القصص التي تحولت إلى السينما، وكراسة محاضرات أهداها أحد تلامذة طه حسين إليه سجل فيها محاضرات أستاذه، هذا فضلا عن محاضرات أخرى مكتملة لما نشر في "الشعر الجاهلي"، وغيرها من الأوراق التي تصور حياة طه حسين كأدق ما يكون التصوير، ونحسار من أوراقه في ذكراه تحية له ولذكرى تلميذته، خطابات د. مهير القلماوى إليه"، وأهميتها تكمن من أنها تحكى تجربة أول فتاة مصرية تغادر الحدود من أجل بحث علمي، فضلا عن أنها من أولى الفتيات اللاتي دخلن الجامعة، وأول امرأة تحصل على الدكتوراة في الآداب وأول أستاذة في قسم اللغة العربية وأول رئيسة لهذا القسم، ليس هذا فقط بل ارتبطت التلميذة بالأستاذ بعلاقة اجتماعية فكان شاهدا على عقد زواجهما، ولكن أهمية هذه الرسائل أيضا رغم لغتها العربية غير المحكمة وبساطتها التي لا ترقى إلى مستوى الرسائل الأدبية، تكمن في أن نشرها الآن حسم جدلا ثار في وقت قريب حول نوعية العلاقة بين طه حسين وتلميذته وهل تجاوزت تلك العلاقة مجرد كونها خطابات من تلميذة إلى أستاذها؟

سنترك الخطابات لتجيب على كل الأسئلة قطعاً لشكك باليقين.

(١) "المصور" ٢٩ أكتوبر ١٩٩٩.

أقصدك

الرسالة الأولى قبل سفر سهير القلماوى وفيها تكشف عن صفة رأت أنها مشتركة بينها وبين أستاذها طه حسين وهى كتابة المحاضرات فى آخر لحظة! ذلك رغم أن د. سهير فسى حديثها معى عن طه حسين تشيد بحرصه على مذاكرة محاضراته التى القاها كثيرا من قبل، وكان ينصحها "بإعادة قراءة المادة التى تحاضر فيها باستمرار على ضوء تغير القيم وما أنت فيه الآن فلا تدخلنى الدرس قبل التحضير له" ولا يمكن لصاحب هذه النظرة أن يكون من أنصار الذين يقومون بالتحضير لأعمالهم فى اللحظة الأخيرة وإلا ما كان طه حسين هو عميد الأدب العربى، على أية حال نقرأ الرسالة المكتوبة بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩٣٥.

أستاذى العزيز

كنت أحب لك أن نقضى هذا الصيف فى راحة تامة لا يعكر صفوها كتاب تكتبه أو جواب تقرأه منى، ولكن أردت أن تنفى غضبى فكنت، وأحببت أن أعلمك أنى لا يمكن أن أغضب من عمل كهذا فأجبت. وكيف أغضب وأنا أشد الناس كسلاً فى كتابة الخطابات وأنا أشد الناس تقديراً لأيام الراحة تلك التى يحتفظها الإنسان خفياً ويود فيها لو استراح من كل شئ حتى من نفسه إن استطاع.

تسألنى هل شق علىّ الصيف فى مصر وأى شئ لا يشق علىّ فى مصر وخاصة فى هذه الآونة التى تقوم فيها الأمم جميعاً وتعد وتحن وزعماءنا كأنما فى دنيا أخرى. كأنما نتحدى العالم كله بلهونا وطمئنتنا.

أخاف أن أكتب مثلك فصلاً أدبياً، وأنا أحب أن أوفر جهدى لأكتب الآن محاضرة للراديو طال عليها التأخير، فلعل أكثر ما أقلدك فيه وأتقن تقليده هو كتابة المحاضرات والفصول فى آخر ميعاد بل فى آخر لحظة.

لنا حديث سيطول بلاشك عن الجامعة والأدب، أرجئه إلى أن تعود، وأما الآن فأرجو أن ترفع احترامى وسلامى إلى السيدة الجليلة وإلى "جيجيت وكلود" وأن تقبل منى ومن والدتى وأخى وراجية وخالى سامى أخلص تحية وأصدق احترام. وإلى اللقاء القريب إن شاء الله.

سهير القلماوى

بكل صراحة

وحيثما تسافر سهير القلماوى إلى باريس بصيها الضجر وتعجل العودة، وسوف يتكرر ذلك المعنى فى معظم رسائلها بعد ذلك، رغم أنها كانت تعجل البعثة وطه حسين يردها عنها بعد حصولها على الليسانس لكنى تستكمل أدوات البحث حين حصولها على الماجستير فى "أدب الخوارج" بتوجيه من طه حسين على وعد منه أن تذهب بعدها إلى فرنسا لمدة أربع سنوات، ولكنها لم تتمكن إلا سنتين بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية التى اضطرتها للعودة مما اتفق مع رغبتها فى العودة سريعاً، تقول سهير القلماوى من:

باريس فى ٥ إبريل ١٩٣٨

استاذى الكريم

لنا زمن لم نلتق على صفحات خطاب، فىأتري ما هى أخبارك وكيف حالك وحال
أسرتك التى أرجو لك وما كل السعادة والصحة.

كنت أعزم كثيراً على أن أكتب إليك ولكنى كنت أقول دائماً وأبى جديد سأخبره به
؟ وما أحسن أن يسكت المرء عندما يجد أن الكلام سيكون معاداً مكرراً. كنت أريد على
الأقل أن أطمئن على أخبارك ولكن الوسيلة الوحيدة لذلك فيما تعلمت أخيراً أن أسأل الغير
عنها فيجيب .

سأسافر غدا صباحاً إلى بروكسل ومنها إلى برلين لقضاء عشرة أيام ثم أعود إلى باريس
آخر هذا الشهر . وسرى من ذلك مبلغ تقدم تلميذتك فى مسألة الأسفار، فقد كنت أحجم
منذ شهور عن السفر إلى بلد أعرف لغته فما أنا ذا أقدم على السفر إلى بلد أجهل لغتها، ولا
تصحبنى إلا صديقة لى، بثينة الغمراوى، تعتمد على أكثر مما تعتمد عليها بل الواقع أنها
معتمدة على تماماً. فما رأيك فى كل هذا التقدم يا ترى وهلا أحسست أنك فى لما أنا إلا
تلميذتك.

أرجو أن تكون أعمال آخر العام وكثرتها وتنوعها غير مرهقة لك ولا متعبة كل
وقت. كما أرجو أن تنتهى منها عاجلاً حتى تتمكن من الجئى إلى باريس فى أوائل الصيف أو
أواخره لست أدري لأنى أريد أن أراك فى باريس عند وصولك إليها ولست أعرف موعد
جئتك وأكبر ظنى أنك لا تعرف أنت أيضاً.

لم أعود أن أطلب منك شيئا كتابة ولكن ما السبيل وبيننا بحر وسفر أيام. أحب أن
الفصل من البعثة في أوائل يونيو وأن يلتحق نجيب بها من الصيف حتى يتسكن هو من الخبي
هنا صيفا فيعتاد الطقس والأهل واللغة ويبدأ عمله أول العام غير محتمل لكل هذه المشاق
فهل لي أن أطمع في هذا. إذا كان لابد أن أبين الأسباب فهي بكل صراحة أنني لا أريد البقاء
هنا أكثر من آخر مستمير وليس هناك أي داع أن أظل محسوبة على العشة صيفا دون أي
عمل ما دمت سأعود متى بدأ العمل إلى مصر. أليس هذا عدلا وحقا. فإذا اردت أسبابا
أكثر إقناعا إداريا فإن الأستاذ "دى منبيل" الذى جئت من أجله أولا مريض قد اعتزل العمل
فى السوربون وهو لا يقوى على أى عمل ولا أجرؤ أن أطلب منه أى مساعدة لأنه لا
يستطيعها لا لمرضه فحسب بل لبعده عما أنا فيه كما أسلفت لك.

كلى أمل أن أراك فى الصيف فتحدث طويلا عما أريد حقا أن أكتبك فيه فهل يا
ترى سنسمح لنا الظروف بذلك. أرجو ذلك كما أرجوك أن تقبل منى احترامى وإخلاصى
وأن تبلغ السيدة الكريمة حى وودى وأن تبلغ كريمك أطيب تمنياتى لهما أن يهبهما الله
السعادة والصحة أولا وأن ينجحوا فى امتحاناتهما أشرف نجاح وأحسنه ثانيا.
تلميذتك

سهير القلماوى

التفاهم بلغتين

ومن لندن كتبت إلى طه حسين نتحدث عن الصعوبات التى لاقينا هناك فتقول:

لندن فى ١٨ أغسطس ١٩٣٨

أستاذى الكريم:

وصلت أول أمس إلى اكسفورد بعد أن قضيت بها نحواً من أسبوع أرى كلبانها
ومكاتبها وأبحث عن ألف ليلة وليلة فى مكتبة "البودليان" أتريد أن تعرف أثر هذه الرحلة فى
نفسى إذا (هكذا كتبت كلمة إذن) فاسمع. المكتبة فى منتهى القدم والبلى و... أظن أنني لا
أجد الكلمة التى تعبر عما شاهدته بها من عنكبوت ، وغرفة المطالعة توحى الموت أكثر مما
توحى أى شئ آخر. على كل حال لم أجد بها أكثر مما كنت أنتظر.

وبدأت أمس المرور على ما فى مكتبة المتحف البريطانى وكان أول وجهه مألوف رأيته

هناك وجه الكابتن "كرسويل" وقد جلس أمامي ينظر إلى كالأرنب الخائف لأنه فيما يظهر قد صور له ذكائه أنه رأي من قبل وإلى الآن لم أجد في قهارم المتحف من الكتب المطبوعة أكثر مما رأيت في مكتبة اللغات الشرقية هنا، أما المخطوطات فعبارة عن نسخ حديثة نسبياً من ألف ليلة وليلة . وكفى الله المؤمنين القتال.

كل الذي بعزيتي في أمر هذا البحث أني أعصل قدر المستطاع وأجبا قد ألقى عليّ وقبله لأسباب أخرى.

ترى إلى أين وصلت أنت في أي العلاء ومذا كان من أثره قبك. أرجو ألا يكون قد بلغ بك الإذعان لأمر القدر إلى درجة أنك لا تريد أن تراني لأنني سأذيع محاضرة يوم الثلاثاء ٢٣ أغسطس ثم أسافر بعدها في أقرب فرصة إلى باريس لأراك رغم حرصك على أن أمضي عقدي مع محطة الإذاعة.

هل لي أن أطمع في أنك ترسل لي عنوانك في باريس في أقرب فرصة أم أني إذا سألت عنك في بنك مصر أصل إليك في سهولة.

إلى لقاء قريب إنشاء الله وأرجو أن ترفع احترامى وودى إلى السيدة الفاضلة وأن تهدي ولديك أركى سلامي.

مع أطيب تمنياتي وأخلص ودى

سهر القلماوى

وفي رحلة العودة إلى باريس عن طريق البحر تكتب عن رفقاء الرحلة المزعجين ما بين مستظرف ومستخف لدمه فتكتب:

الاثنين ظهراً ١٢/١٢/٣٨

أستاذى العزيز

أنتهز هذه الفرصة فرصة هدوء البحر قرب برنديزى لأكتب لك فمن يدري ما الذى ينويه هذا البحر بعد ساعة.

إنه لم يهدأ إلا ساعات محدودات ، وأمس (الأحد) من الساعة الثالثة ظهراً إلى نحو نصف الليل كان في غاية الفظاعة . كل العزاء أنه لم يبق إلا يوم أو أقل قليلاً وتنتهى رحلة البحر، أما رحلة البر فلست أدري ماذا نجبى لي ، على كل حال "ربنا موجود".

مأصل إنشاء (هكذا كتبت: إن شاء) الله إلى فينيسيا غدا ظهراً (الثلاثاء) وسأخذ أول قطار إلى باريس والظاهر أنه سيكون الساعة السابعة والنصف مساءً، وعلى ذلك فعسدى سبع ساعات أرى فيها فينيسيا وهي أحسن من لا شيء.

المركب أنت أدري بها . وأما أهلها فهم قلة من مختلف الأصناف. وكانت تجلس معي على مائدة الطعام سيدة أرمنية تعيش في طهران وهي متزوجة من فرنسي، وهي تسي طريقها إلى روما لتشهد حفلات الأعياد فيها، وستسافر إلى باريس في أواخر يناير.

وقد توعدنا على اللقاء بها ولست أعرف إن كان البحر يمحو وعود البحر ؟ على أي حال حبذا لو فعل لي ولها . وكان من أبادي هذه السيدة البيضاء على أنها عرفنتني بشاب عراقي يسير في نفس الطريق الذي سأخذه فقالت ليكون رفيقا لك في السفر. كدبت أقول لها : أن أسافر وحدي خير لي . ولكن الشاب كان واقفا أمامي متظرفا إلى أقصى حد. عسى أن يكون في فينيسيا متسعا للخلاص من رفاق السفر. أكبر الظن أنه سيكون ميسورا . وهذا شامي مسافر إلى "ليون" يستخف نفسه ودمه إلى أقصى حد، والظاهر أنه تاجر وقد انضم إلينا لأنه يعرف هذه السيدة الأرمنية من أين لست أدري.

أهم صديقة لي على ظهر هذه الباخرة هي خادمة الغرفة. ألمانية فيها كثير من غفلة الألمان ويساطعهم. ولما كنت في فراشي يومين متتالين فقد كانت تأتي لتسأل عني ولتفريسي بالطعام مدعية أنه أحسن دواء لمرض البحر، وهي تتكلم قليلا من الإنجليزية وأقل من ذلك من الفرنسية، فباللغتين مجتمعتين تفاهم تفاهما تاما.

مالك وهذه "الدوشة" ! إن هي إلا غاذج مما يمر على في حياة البحر لعل فيها شيئا يعجبك، والآن إلى اللقاء في خطاب طويل من باريس إنشاء الله. أمني أن يصلك هذا وأنت في أتم صحة وأوفر سعادة وسلامي ونجياتي أرفعها إلى السيدة الكريمة وإلى أمينة وكلود.

سهير القلماوى

لست أفهم الديوانى

وتواصل سهير القلماوى حديثها إلى أستاذها طه حسين عن بعض متاعبها في البعثة، وتؤكد نظرتها التي لازمتها طوال حياتها عن عدم اعترافها بشيء اسمه المرأة والرجل فالكل سواسية وكلاهما إنسان ، ولذلك تنظر بسخف إلى مخالفة كتاب عن "حركة النهضة النسائية" تقول في خطابها:

الثلاثاء ٢٠/١٢/١٩٣٨

استاذي الكريم

اكتب لك هذا من تريبانون حيث كان ينزل الأستاذ أحمد أمين هذا الصيف. وقد جئت إليه مؤقنا حتى أتفق مع السيدة التي كنت عندها ولكن البرد القاسي منعني من أن أغادر غرفتي وأخيرا كلمتها اليوم بالتليفون واتفقنا على "العزال" غداً . وفقنا الله .

كان أمس واليوم من أظبح ما رأيت من البرد لما الحرارة نحو ١٥ أو ١٨ درجة تحت الصفر والهواء قاس يلفح الوجه ويكاد يدميه حقاً لا خيالاً كما كان يقول شعراء العرب ، وعلى ذلك قررت عدم الخروج من الغرفة إطلاقاً مهما يكن السبب، وكان المسيو مرسيه اعطاني كتاباً قال عنه إنه سخيف وهو فعلاً سخيف عن "حركة النهضة النسائية" لأستاذ اسمه أو اسمها "أوليزيو" وها أنا قابضة جنب المدفأة أقرأ وأقرأ.

محاضرات المسيو مرسيه (وقد حضرت منها أربعة إلى الآن) عبارة عن تابلوهات صور للمرأة في ألف ليلة ، قصورة للمعجوز في "ألف ليلة" وأخرى للفتاة فيها وثلاثة للأم وهكذا ، وهو يستعين بالنصوص كثيراً لرسم هذه الصور بالطبع. لا أستطيع أن أحكم إلى الآن ولكن الظاهر أنها ستكون مسلية إن لم تكن مفيدة. وقد كلفني أن ألقى درساً عن الأخت في ألف ليلة محتجاً بأنى قرأت في الموضوع أكثر منه، وبعد أخذ ورد لأنى كنت أؤثر أن أوفر هذا الوقت ليحكي الشخصى قبلت هذا العرض على أن يكون بعد العيد على الأقل إن لم يكن بعد ذلك أيضاً.

أما محاضرات الأدب المقارن فقد شاء الحظ السعيد أن يظهر في صدرها متجلباً كعادته فإذا المسيو "كاريه" مريض لست أدري بأى شئ ، والذي يدرس مكان أستاذ (.....) أهيب بحظي السعيد أن يتزوى قليلاً في هذا الموضوع عسى أن يكون الأستاذ عظيماً.

لم أعمل أكثر من أن حضرت دروس المسيو مرسيه يومى الجمعة والسبت. وقد ذهبت أمس صباحاً إلى الديوانى بك لأسلم عليه ولأعطيه شهادتى: الماجستير التائهة بعد أن أحضرتها معى من مصر كي يرسلها إلخاقاً بطلب كنت قدعته إلى السوربون أن يسمحوا لي بتقديم الدكتوراه دون الحصول على شهادات فرنسية. والطلب قدم في مارس الماضى والرد إلى الآن لا أعرف أين هو ولا ما هو . لقد وعدنى الديوانى بك خيراً فى صدره وهو إن يكن غير مهم إطلاقاً إلا أنه شكل لا بد أن يستكمل ، وكنت أحب أن أفرغ منه.

وكان الديوانى بك معى فى منتهى المظرف إلا أنه استاء فجأة لما علم أنى لم أمر على

إدارة البعثات ... "ولو مرة واحدة . ولما قلت له أنه ليس لي أى عمل هناك قال لا . كان يجب على الأقل أن نسوى حسابك معهم قبل مجيئك فقلت له إن الحساب يسوى فى أى وقت . وعلى أى حال فقال : وماذا قال الدكتور طه ؟ فقلت : وما شأن الدكتور طه فى الموضوع . إن كان هناك خطأ فأنا التى أخطأت وأنا مستعدة لتحمل مسئولية هذا الخطأ مهما تكن . فإذا هو فجأة أمام حماسى التى لا أرى الآن فما أى سبب ، فإذا هو يتفجر ظرفاً قاتلاً : لا لا المسألة أبسط من هذا . كدت أقول ولما هى أبسط من هذا ففيم إذن كان كل هذا الاستياء . على كل حال لست أفهم الدكتور الديوانى إلى الآن وأكبر ظنى أنى لن أفهمه . وهذه المسألة فى نظرى أنا أيضاً أبسط من كل هذا .

عسى ألا تكون مرهقا وأن تكون صحتك وأخبارك كلها فرح وسعادة . سلامى إلى اسرتك الكريمة .

سهير

فليتغفر لى

وتحدثت سهير القلماوى عن متاعبها فى المسكن وتراها "تجربة مضحكة" ، وتتاول رحلتها مع أساتذتها الفرنسيين وتشير إلى كتاب بالفرنسية أراد طه حسين أن يكتب مثله عنه أو عن أسرته باللغة العربية ، والفاصل فى رسالتها التى كتبها من باريس فى :

٣١ يناير ١٩٣٩

أستاذى الكريم

أبدأ بتهنيتك بالعيد . فهذا أول يوم له عندنا ولست أعرف ماذا يكون عندكم لأن أهلى كتبوا لى أنه أمس . على أية حال هذا لا يكلف شيئا من حرارة التهنئة والدعوات لك بما أنت به أعرف .

أما بعد .. فلنك أن تضحك منى ما شئت فى هذا الخطاب لأنى مررت الأسبوع الماضى بتجربة مضحكة أخطئى فى أول الأمر وأضحكنى آخره . فقد طفت الحى اللاتينى وما حوله من أحياء أربعة بحثا عن أسرة تأوى الذين لا مأوى لهم فى باريس ، وبعد بحث أسبوع وتحريات وأسئلة ولقت إلى أسرة كل ظاهرها مفر جميل ، وحزمت المتاع ونزلت فى الأسرة العزيزة ، وإذا أنا لا أطيقها أكثر من أسبوع وإذا أنا أحزم أمصتى من جديد وإلى الفندق ثانية . وكانت غرفتى أجرت بالطبع أثناء الرحلة السعيدة ، وما أنا ذى فى غرفة مؤقتة من هذا

الجناح حتى نخرج إلى غرفة من الجناح الآخر حيث الهدوء والاستقرار . لست أحرص عليك شيئاً من ضوضاء الأسرة والتصادمات الشديدة في التدفئة والأكل وحتى الماء . ولكن يكفى أن تعرف أنني أثناء "المعاينة" وجدت مساحة واسعة تحت نافذتي أو شرفتي ففرحت بها لأنها تدير الغرفة بينما هي بعيدة عن ضوضاء الشارع . أتعرف ماذا انتهت إليه هذه المساحة - هي لأربع مدارس مقسمة أربعة أقسام، و"الفسح" بين الدروس فيها لا تنقضي من الساعة صباحاً إلى الرابعة بعد الظهر .

وفي حماس "العرف" ذهبت إلى الديوانى بك ورجوته أن يجد لي حلاً في مسألة السكن، فوعد أن يعلن في الجرائد عن هذا . فطبعاً لم أستطع إلا أن استبشر خيراً وأشكره .

ولقد حجب إلى الديوانى بك سكن الجناح الثانى من "تريانون" فهو كينسيون تماماً لأن الأكل في مطعم الفندق، ولأن الغرف فيه معدة حقاً للتلمذة والكسب والقراءة ، ولكن لازلت أفضل الأسرة ولازلت مصممة على البحث وإن يكن فى شئ من الهدوء بعد خيبة الأمل هذه وخوفاً من ضياع وقتي لأبنى مآعود بإنشاء الله وشئت أنت في يونيو إلى مصر .

ذهبت لزيارة الأستاذ دى مونييه في منزله لأجده اعتزل العمل في السوربون وهو في "المعاش" الآن، وحصل أن تم التفاهم المدهش بيننا وتبادل الإعجاب بالطبع، وحصل أن تنازل وأمضى لي الموافقة على موضوعي الرسالة، وهو سعيد جداً بمعاونتي وبأن تكون مكتبته تحت تصرفي إلخ .

(...) أما الموضوع الأول فهو موضوعات ألف ليلة وليلة ، وأما الثانى فهو مخطوط "جانلا نوفر" ، والرائع حقاً أنه كالمرّة السابقة لا يفهم ماذا أريد بالموضوع الثانى ولكن أمضى الموافقة "لأنه تعود أن يفهم منى ما لا يبدو للعين ظاهراً من أول مرة" أليس هذا فضل من الله كما قلت لك . وعلى ذلك أصبح عندنا الإذن الذى يسجل أنى جئت إلى فرنسا واشتغلت .

أما محاضرة الأستاذ "مرسييه" فقد ألقيتها بالفرنسية إكراماً لك أنت لأنك قلت لي على لسان "راجية" في المرة السابقة لما ألقيت درساً عند الأستاذ "ماسينيون" إنك كنت تود أن يكون بالفرنسية . ولست أذكر لك المدح الذى كان، فقد كان أكثره تورطاً وذوقاً . تصور أنه يتحدث فرنسيته ثم حاول بعدها أن يقتنعني بشئ مما قاله عن البحث نفسه .

أقرأ الآن كتاباً اسمه "منزل" Une maison مؤلفته M. vivan "ليفان" فهل هذا هو الكتاب الذى كنت أشرت إليه مرة أثناء حديث لنا في باريس . إن لم يكن هو فهل لي أن أطلب إليك أن تذكر لي اسم هذا الكتاب الذى وصفت فيه مؤلفته أسرة تريد أن يكتب

عذك أو عن أسرتك مثله، لست أستطيع تحديداً أكثر من هذا لأن هذا هو كل الذى قلت
عنه، ولى طلب آخر عندك فانت تعرف أنك أنت الذى تطمعتى فى كل ما أثقل فيه عليك.
وذلك أن مختار القمراوى الشاب المتخرج من القسم الفرنسى عندنا من كلية الآداب والذى
حدثك عنه مرة أنه يريد أن يعمل الماجستير ويريد أن يكون أقرب ما يكون إلى الكلية ،
والذى قلت لى فيما أذكر أنك تفضل أن تسمى له فى بعثة فرنسية فى باريس، من السوزارة ،
لقد كتب إلى يروجونى أن أذكرك به، وأن هناك فى المكتبة فيما يقول وظيفة خالية يرجو أن
يتقل إليها حتى يتمكن من الاتصال بالأساتذة والكتب لعمل رسالته.

أردت بكل حديثى السابق أن أبعدك عن كلية الآداب فقد عرفت من أخبار إضرابها ما
ضايقتنى من أجلك وها أنا ذى أتورط فى الكلام عنها فأرجو أن تنسى ما قلت إن ضايقتك
منه شئ.

وصلنى اليوم العدد الثالث والرابع من مجلة "الثقافة" فلم أجد لك فى الرابع مقالاً
فحسى أن يكون المانع "كالعادة" انشغالا عن الأهم بالمهم".

(ويعد أن تذكر د. سهير القلماوى عدداً من الأساتذة الذين يدرسونها، تلفت نظرنا
إلى أنه ليس كل ما هو أجنى مفيد وليس كل أستاذ "خواجه" ينبغي أن نتعلم منه فتذكر أن
الأستاذ "هنرى هيان" هو الوحيد الذى يفيد فى درسه أما الأستاذ "فان تويكان" فهو ملخص
لما فى الكتب لا أكثر ولا أقل ، فالأفضل أن أقرأ نفس هذه الكتب فى الأدب الإبطالى
والأسباني وآثارهما "فيما أظن"، المعروفة فى فرنسا أو التى عرفت على الأصح".

وتختم رسالتها إلى طه حسين "لقد صدعت رأسك فيما أرى إذ وجدتنى فرغيت من
أربع صفحات لتتغفر لى هذا، ولأختم ختاماً بدء الساعة الحادية عشرة مساءً. لك إخلاصى
وتحياتى وسلامى إلى ابنك واحترامى إلى السيدة الكريمة

سهير القلماوى

أقاوم بينى وبينى نفسى

وفى خطابها القادم يبدو غملم سهير القلماوى من بحثها، واضحا، بينما هى تحاول التخفيف
عن زميلتها فى البعثة ، فى الوقت الذى تكتم فيه آلامها ، فهى تنصح زميلتها وهى أولى بالنصح
بالصبر والاحتمال، تقول فى خطاب ٢٧ فبراير ١٩٣٩:

أستاذى العزيز

لست أعرف ما للشياطين ومائنا فهي ساعة تحطف خطابك إلى ، وأخرى تحطف خطاباتي إليك. ولعل في الأمر شيئا أجمل مما كنت أقدر، لقد كنت أقرأ في كتاب عن "الفوكلور في الإنجيل" (لعلها تقصد الفولكلور) وكنت وصلت إلى نقطة متمعة وهي البحث عن الشجرة التي أكل منها آدم أكانت شجرة الخلد أم شجرة الحكمة، والحية التي أخرجت آدم من الجنة ماذا كانت مهمتها وكيف تظهر في الفوكلور عند بعض القبائل على أنها كانت مكلفة بتليغ آدم سر الخلود وكيف احتفظت به لنفسها . بينما كنت غارقة في هذا إذا بخطاب من الست راجية تقول فيه أثناء الثثرة التي لا يباريها فيها أحد والتي تسمح لها بكتابة صفحات عن آتفه شيء ثم تنسى أهم شيء وهو إخباري عن صحة والدتي إذا بسى أجد وسط هذه الثثرة خيرا هاما وهو أنني لم أكتب إليك أشكرك على كتابك الذي أرسلته إلى فتعجبت ثم شككت وأخيراً تأكدت من أنسى كتبت لك ساعة استلامى الكتاب أشكرك وأخبرك أنني سأبعث إليك بنقد طويل، وكان هذا بالطبع قبل أن أقرأه، وأذكر أنني شكرتك في نفس الخطاب على خطابك الوحيد (إلى الآن) الذي وصلني. ثم كتبت إليك بعد ذلك خطابا آخر على الأقل إن لم يكن خطابين. فهل في مصالح البريد حيات كحية آدم لا يحتفظن بسر الخلود وإنما بعد مضي هذه القرون أصبحن يقمن بحفظ خطاباتي لأنفسهن؟

ومع ذلك فلاسجل لك شكرى مضاعفا لا على إرسال الكتاب فحسب ولكن على ما جئت من ساعات أنفقتها في قرائته. ولعل حيات البريد تقع بخطابي الأول وتعف عن هذا حتى يصل إليك.

لعلك قد أخذت فكرة ما عما أنا غارقة فيه هذه الأيام. بحار واسعة لا نهاية لها عن تافهات لذينة إلى حد بعيد ولو أنى لا أريد أن أضيع فيها. وأمامى الآن بحث في المجلة الآسيوية أعطاه لي الأستاذ مرسية لأقرأه وعنوانه "هل الواك. الواك هي اليابان؟"، والأستاذ مرسية يورطنى لا في القراءة فقط ولكن في استجداء الكتب أو التقارير الصغيرة من أصحابها، فقد حرصنى أن أكتب للأستاذ "كانار" الأستاذ بجامعة المغرب لأطلب منه بعض مقالات نشرت له على حدة، وأصبح من المتعذر أن أجدها في المكاتب لأنها نشرت في تقارير مؤتمرات ومجلات محلية" (وبعد أن تتحدث سهر القلماوى عن بعض المبعوثين وأحوالهم في عجالة تتوقف عند ابنة أحمد أمين المفكر والمؤرخ الإسلامى المعروف صاحب موسوعة "فجر الإسلام"). تقول سهر القلماوى "وأما ابنة الأستاذ أحمد فهي مشكلة أيضا لأن كل شيء قد حللته لها إلا السكن وهو الأهم فقد مكثت عند أسرة وجدناها خير ما عندنا

بعد البحث ولكنها بعد يومين عادت لنا وطلبت أن نقل لها "عزافا" . وكتم من مرة ثور العاصفة للرجوع إلى مصر ثم يهدأ البحر في سينما أو متجر أو حتى في الهواء الطلق. والآن فقط عدت من إحدى هذه الفورات .

ولكن فيها من الأستاذ أحمد أمين الشنشي الكثير، ولذلك أحببتها وعملت وأرجو أن استمر أعمل وأن أتحج في أن أحب إليها الإقامة في أسرع وقت في الأسبوع القادم أو الذي يليه لأن ثورات العودة إلى مصر نضت كثيرا جدا في الكم والكيف كما يقول والدها. كانت صديقتي بنية الغمراوي في حالة نفسية عسيرة من يومين وذلك لتقرير الأطباء بأنها لا بد أن تعمل "ابنديسيت" (الزائدة الدودية) قرأيت أن أرفه عنها بأن ذهبت معها إلى "باليه رويال" وراينا معا رواية طريقة جدا فلهجت في أن ترفه عنها كثيرا. واسم الرواية "أدركيني" ، وأنت أدري بكل ما يضحك هناك وبتوع هذه الروايات.

وأما أنا فقد أكون أخرج الجميع إلى من يرفه عني في هذه الحياة الجمادة الباردة التي أحيها ، ولكن لعل الألم النفساني إذا ازداد كبت بعضه بعضا وإني لأضحك من نفسي كثيرا أثناء إلقاء المحاضرات لفاطمة أمين عن الحياة وكيف يجب أن نلقاها وعن طفولة التفكير في العودة إلى مصر ، بينما أقوم بيني وبين نفسي هذا الإحساس وهذه الرغبة عشرات المرات كل يوم، ولعلها تجد في العودة إلى مصر فرجا ولكني لا أرى فيها إلا تغييراً لظاهر أمور الحياة ، وأما الحقيقة فليس الخلاص منها في أي مكان . لست أحب أن أسرسل في هذا الكلام بالفرار من الكلام عن نفسي. فلأختم خطابي إليك كما ختمته مرات من قبل لأبعث إليك بأشواقى وإخلاصى.

سهير القلماوى

كسدت أجس

وبعد شكوى سهير القلماوى من ضياع بعض خطاباتنا إلى طه حسين متهممة الشياطين تارة بخطفها، ومتهممة حبة آدم بخطفها مرة أخرى تعود في الرسالة التالية لترسم في صدرها مربعا به أرقام لا معنى لها أحبها الطلسم الذى تؤمن به وصول رسائلها إلى طه حسين ، ثم تتحدث عن أحوال بعض تلاميذ طه حسين وكيف يواجهون الأبناء التي تنذر بانفلاق الحرب.

فتكتب من : باريس ٢٦ إبريل ١٩٣٩ .

استاذى

وهكذا يزين الطلسم خطاباتنا كما تزين خطابات الملوك شاراتهم فتصبح مراسلتنا فى
مأمن من الشياطين.

لى شهران تقريبا لم أكتب لك فيهما مع انى انتويت الكتابة مرات فى مناسبات عدة
ولكن كنت أشفق عليك مما أنت فيه من مشاغل وأقول لنفسى ماذا عندك من جديد تقوليسه
فلا أجد شيئا فأتشجع بذلك على الصمت

انتهت دروس الأستاذ مرسية منذ أوائل هذا الشهر وقد ذهب إلى جنوب فرنسا ولن
يعود قبل منتصف يونيه فيمكث نحواً من عشرين يوماً فى باريس قبل أن يسافر فى اجازته.
ولذلك ربما قابلته فى يونيه قبل عودتى إلى مصر وربما عرضت عليه مشروع رسالتى أو
مواضيع رسالتى على الأصح لعل له فيها رأياً وإن كنت إلى الآن لا أعرف من أمر هذا
المشروع شيئاً.

لقد قلت لك عن الموضوع الذى اتفقت عليه مع الأستاذ دى منيين وفى ظل هذا
الموضوع العام سأضع مشروع المواضيع التفصيلية . هذا طبعاً لا شأن له جدياً فيما أعمل
معك فى مصر لأن الموضوع الذى أحرته مع الأستاذ دى منيين وما سأعرضه على الأستاذ
مرسيه ليس إلا ناحية من الموضوع العام قد أعمل فيها فى المستقبل إذ لا قدر الله
واضطرت أن أتقدم هنا لشهادة وهذا ما أستبعده ولكنى أعمل هذا لأنه لا يمكنى أن
أشتغل مع هؤلاء الأساتذة إلا على أساس هذه الفكرة. فلأسر فيها إلى أن يمن الله علينا
بالفرح. وليس هذا السير ضاراً فى شىء بل هو نفع كله إنشاء الله.

ماذا تركت عندك أنباء الحرب من آثار؟

كم كنت أود أن تكون هنا لترى عجباً فى شخصيات تلاميذك من جراء إشاعات
الحرب. كم هم مضحكون حقاً فيما يفكرون فيه وفيما يضطربون من أجله . على أية حال
لقد هدأ الموقف قليلاً وأظن أنك مقدم على السفر إلى فرنسا كعادتك هذا العام أيضاً. أما أنا
فمن يدري أين أكون إذ ذاك.

من أخبارى الهامة هذه الأيام مشكلة ضرس العقل وما يستتبعه من حالات . فقد كدت
أجن منه نحواً من شهر، وأخيراً ثارت الشجاعة الزكية الكمينية فى "قلعتى" من أسبوع.
ولست أحدثك عن الآلام بعد هذه العملية الجراحية الخطيرة وإنما يكفى أن أخبرك أنها
ألزمتنى الفراش أسبوعاً ولا ينتظر أن أكون فى حالة جيدة قبل أسبوع آخر أو أقل قليلاً.

وأما المزاج الشريف فقد لطف الله بمن حولى وأنزل عليهم من العطف والحسب كمية وفيرة جعلتهم يحتملون هياجى وتوتر أعصابى.

وصلتني من جمعية "الفوكلور" في إنجلترا نشرة عما ينشرون من "مجلات" وكتب ، ومن هذه الكتب ما هو طريف ففكرت أن أطلب منك أن تفكر في أن نشرى مكتبة الجامعة شيئا من هذه المؤلفات وأن تشرك في مجلة الجمعية . لأنى لن أستطيع أنا إلا الاشتراك فقط وهذا بالطبع ما يسمح به الجيب المتواضع الذى تأثر أيعا تأثر بنصائحك الكريمة للست الوالدة في العام الماضى. ولكن لا تخشى شيئا فإننا لم نفقد إلا اليسير من الأثر. وستستغل الأساليب "إياها" منذ الشهر القادم إنشاء الله.

وصلتني أخبار أن أمينة ستقوم بتمثيل رواية فى الأوبرا فى حفلة الكلية فإن تكن الأخبار صحيحة، فماذا كانت يا ترى؟

كم آسف أنى لم تنح لى فرصة رؤيتها . أرجو أن تكون راضية عن نفسها بعد التمثيل وأرجو أن تكون أنت راضيا أيضا وإن كان هذا الرجاء الأخير أصعب.

اظن أنه قد آن لى أن أقدر ما أنت فيه من عمل واختم خطابى برجائى أن ترفع لى السيدة الكريمة تحيتى وسلامى وأن تقبل منى إخلاصى وحبى، ودعواتى أن تكون أمينة وأن يكون كلود فى أتم صحة. وأوفى هناء.

سهير القلماوى

مضحكات مؤلمة

ولا تزال سهير القلماوى طالبة البعثة تردد رغبتها فى العودة إلى مصر لا فى أجازة بل العودة الدائمة، وكيف أن رسالة الدكتوراة بالنسبة لها كانت فى البداية تسلية، ثم صارت واجبا، فتكتب من باريس فى ٧ مايو ١٩٣٩:

استاذى الكريم

لست أعرف فيم أنت غارق هذه الأيام ولكنى أعرف أن خطابى سيكون على أية حال نقما غير الذى تسمعه حولك وسيكون نوعا من التغيير.

كانت ظروفى فى العمل هذا العام على غير ما كنت أتمنى فقد شغلنى الأستاذ مرسية أكثر مما قدرت وشغلت شواغل أخرى أنت أعلم بها، وأعلم بأنى لا أحب أن أذكرها ، ثم

جاء ضرس العقل فكان مسك الحتام كما يقال في ألف ليلة، ولذلك تجددني هذه الأيام
أحاول تعويض ما فات بكل ما أستطيع لعلى أظفر بشئ لا يفضيك حين أعرض عليك ما
طلبت منى وما أنجزت من هذا المطلوب.

أشار على الدكتور الديوانى بك من يومين كما أشار على كل أعضاء البعثة أن نرسل
إليه طلباً أن تسمح لنا الوزارة بقضاء جزء من أجازة الصيف بمصر ولما أخبرتني بأن ظروفى
غير هذه وإنى أريد أن أرجع لا فى أجازة ولكن على ألا أعود . قال لى : إن هذا لا يمنع وأن
وجود الإذن معى يكون آمن فإذا لا قدر الله وقامت حرب أو اضطرتنا إلى السفر السريع
فإن الإذن يكون معنا دائماً . ولم أجد فى كلامه إلا المقبول، فكتبت هذا الطلب، وكنت
أحب أن استشيرك قبل كتابته لولا أن وجدته نطفه من كل هذا.

ترى ما ذا أعددت لى من مشاريع ومنى ستأذن لى بالرجوع إلى مصر . أنا لا أطلب شيئاً
وأنا أترك كل هذا لتقديرك لأنك عالم بكل ظروفى.

ليس عجيباً أن أبدأ العمل فى الدكتوراه مجرد التسلية فإذا بى الآن لا أقدر أن أفكر
فى عمله إلا وقلت لما أنتهى منها أعمل كذا وكذا كأنما قد أصبحت شيئاً لا بد من أدائه
أولاً، والفضل فى هذا يرجع إليك بالطبع وإن كانت هناك الفضل أكثر من هذا.

لست أكتب إليك بها، وإنما سوف أحدثك عنها فى أول فرصة تلقى . أين سيكون
هذا؟ لست أدرى وأظنك أنت ستقول ولا أنا .

وأخيراً استقرت ابنة أستاذى أحمد أمين ، فإن لها فى هذا البيت الذى هى فيه شهراً
وهذه أقصى مدة أقامتها فى مكان واحد . فلم يكن لها خمسون يوماً أحصيت لها عدد
الأمكنة التى سكنتها فإذا هى تفوق الخمسة . ولولا أن والدها أرسل إليها أن تحكث حيث
هى لكنت الآن فى مكان سابع أو ثامن لست أدرى لأنها فعلاً كانت متفقة (ربل قد اتفق لها
الديوانى بك على هذا المكان) فإذا خطاب والدها يضع حداً لهذا التجول والتقلقل.

أظنك الآن لا تخاف الحرب مثلى فقد هدأت الحال ولاضك وأصبح الأمل فى السلم قوياً.

ماذا يفعل السيد كلود، إنى أتمنى له أبهر نجاح. كما أتمنى أن يسهل الله له كل أمر بعد
فى سبيل إعداد مستقبله المجيد إنشاء الله . وأمينة ماذا هى فاعلة فى امتحانها ؟ إنى أتمنى لها
أطيب التمنيات.

لقد ضقت ذرعاً بهذه "اللوكاندة" وأصبحت لا أطيع السكن بها، وليس عندى وقت
للبحث فرمما أذهب إلى مصيى كما يدعونها أى "اللوكاندة" التى كنت بها فى سبتمبر

الماضى. وقد تكون "اللوكاندة" مظلومة فيما أحسه الآن نحوها ولكن ما العمل.
ترى ماذا فى جو مصر السياسى من مضحكات مؤلمة. إن الأخبار تصلنا مشوهة إلى
حد ما لأن الجرائد المصرية وخصوصا الأهرام وهو أكثر ما نقرأ هنا لم تصل بعد إلى التجرىد
من كل أثر ضار بالمصلحة العامة.

أخاف أن أبداً أحدثك فيما لا تحب أن تسمع"

ولا تصرح سهر القلماوى بمقاصدها إلا أن تحدث طه حسين بأحوال تلاميذه المضحكة
كما ذكرت من قبل وهو لا يريد أن يسمع عن تلاميذه ما يسوؤهم.

البلغيشى

وتواصل سهر القلماوى تسجيلها لمشاعرها بين الأمل والأمل فى الوقت الذى تحاول فيه
التسرية عن غيرها كعادتها، وغيرها هنا هو د. طه حسين نفسه الذى كان قد أعيد انتخابه عميدا
لكلية الآداب فى مايو ١٩٣٩ غير أن حكومة محمد محمود باشا وقفت دون إعادة تعيينه مما
اضطره للاستقالة ليُفرغ للعمل كأستاذ ، وهو ما تراه تلميذته خيراً بل وتهنئه عليه ، ولها أسبابها
فى ذلك ، فتكتب إليه من باريس ١٧ مايو ١٩٣٩ :

أستاذى الكريم

لأول مرة أكتب لك خطابا ولست أعرف لماذا أكتبه . ليس عندى شيئا معينا أقوله لأن
الأقوال والأفكار مزدحة مختلطة فى نفسى.

عرفت اليوم أخبار كلية الآداب الأخيرة. فأود أول قبل كل شئ أن أهنئك من أعماق
قلبي لأنك ستوفق (إنشاء الله) إلى حد بعيد فى أن نظفر لنفسك ولما هو أهم بالوقت الذى
كان يضيع منك فى أشياء أقل ما يقال فيها أنها لم تكن تستحق ما كنت تبذله فيها. ثم أردت
أن أخبر لك عن فرحى بأنه متاح لك فرصة (إنشاء الله) تعوض فيها شيئا مما جنته هذه
السنوات الأخيرة على صحتك . ولكن ولست أدارى ، ولا أكنمك شيئا، كم كنت أود أن
تصل إلى هذه النتائج بطريق أحسن من هذه، طريق كلها فرح وبشر وليس فيها هذه
الابتسامة الساخرة التى أكاد أراها مرسومة على وجهك والتى تريد بها التعبير عن شعورك
نحو أمر لا يستحق منك أكثر من الاستخفاف ولكنه مكدر لاستحقاقه هذا الأزدراء.

وعمد بنا التفكير من المسائل الشخصية إلى العامة، ويرجع بنا التفكير حيث بدأنا -

وماذا بعد كل هذا ؟ سنعود على مصر . وأكاد أغرق من تفكيري في بحار من ظلام اليأس
ولكنني أحس آخر الأمر إحساساً حقيقياً أن هذا كله سطحي، وأنه في أعماق نفوسنا لا يزال
وتر الأمل يتبصق قويا نشطاً.

إن الحياة لا يمكن أن تكون أملاً حلواً كلها بل إن الأمل لا يخلو إلا بجانب هذه
الظلمات من اليأس.

أراك تيسم من هذه الفلسفة الساذجة التي نعرفها كلنا ولكنها تغييب عنا أحياناً. بل
أراك تكاد تنطق "ماذا تحاول أن تقول آخر الأمر. ألم أقل لك في بدء الحديث بيننا أنني لا
أريد أن أقول قولاً معيناً وإني أحس إحساسات غامضة مضطربة تدفعني إلى الكتابة إليك،
وتقف عند هذا الحد فلا تبين لي ماذا أكتب.

دعنا من هذا كله ولنتحدث في الأهم: ماذا انتويت لهذا الصيف وأي مشروع أعددت
للمؤلف المجيد الذي سيخرج في أكتوبر القادم إن شاء الله. أظنك لم تفكر بعد حتى في
عنوانه.

أما أنا فغارقة في ألف ليلة أحاول أن أعرض ما قد فات ولعلني أوفق أخيراً إلى أن
ترضى عن مجهودي حينما أعرضه عليك.

أكاد لا أحضر شيئاً من الدروس الآن إلا للأستاذ ما سنيون الذي يصمم على إلقاء
دروس إلى الآن ولست أصف لك ما أعاني من سماع هذه الدروس ، فلعلك تقدر شيئاً منه
عندما تعلم أنه يلقي درسين من خمسة عن مؤلف مراكشي فيما أظن أو مغربي في أدب
التلميذ، تأليف تعس، يدعى "البلغيتي" ، وهو لا يعمل في درسه أكثر من أن يختصر فصول
الكتاب فصلاً فصلاً وكثيراً ما تكون محاولة الاختصار أثناء الدرس نفسه، هل أصدحك بشيء
مما في الكتاب أم أبق هذا مع كثير أريد أن أطيل الحديث معك فيه عندما نلتقي.

لست أعرف إلى الآن شيئاً عن هذا اللقاء، وأظنك أيضاً لا تعرف . ولكن هل لي أن
أطمع في أن تحبرني متى عرفت ؟ وهل أباغ في الطمع فأطلب أن أعرف متى تريدني أن
أعود إلى مصر.

وأخيراً أصطنع الذوق فأختم خطابي. ولكن بعد أن أبعث إليك بأحر تمنياتي وأخلص
دعواتي أن يجذب هذا الخطاب في أتم صحة وأوفر هناء. أرفع تمنياتي الصادقة إلى السيدة
الكريمة، وأبعث تمنياتي بنجاح باهر لكل من أمينة وكلود، ولك مني أسمى ود وأوفى حب.

تلميذتك

سهير القلماوي

لا أبرح العشة

وتعود سهر القلماوى لتوافى أستاذها بأولى خطاباتها من القاهرة بينما هو يقضى مصيفه فى الخارج، لتعرف على الفرق بين حالها هنا وحالها فى الخارج ، فتكتب فى ١٢ اغسطس ١٩٣٩ :

أستاذى الكريم

كان هذا الخطاب أن يكتب من زمن بعيد ولكن شاءت الظروف ألا أكتب وذلك خوف أن أعكر عليك صفاء راحتك بما كنت فيه. تصور أتى قضيت فى باريس نحو شهر بعد آخر لقاء لنا. وأن هذا الشهر كان أكثره فى الفراش . وما كدت أحس شيئا عن الصحة حتى بادرت بالسفر وها أنا ذى فى القاهرة لى أربعة أيام والحس لا يمكن أن يطابق. كم أود أنى كنت معك فى الجبل".

وتضيف "ولقد أصبحت الآن لا أطيق الوحدة التى كنت أستطيعها ، وليس لى صبر على قراءة شئ حتى القصص، أربعة صفحات من أى كتاب كالية أن تضايقتى.

ليس عندى أى أخبار فقد عدت إلى أهلى فوجدتهم بحمد الله فى صحة جيدة وإلى الآن لم أخرج من منزلى قط".

ومن المصيف تكتب سهر القلماوى إلى طه حسين فى المصيف أيضا، فى ٢٩ اغسطس ١٩٤٠ لتواصل التعرف على حالها بعد حوالى سنة من عودتها فتقول :

أستاذى الكريم

نحية واحتراما . من أسبوع وأنا أريد أن أكتب إليك فى كل يوم ، وفى كل يوم يتغلب على الكسل العظيم الذى يأتى إلا أن آكل وأنام، فقد كنت صممت على ألا أسرح القاهرة ولكن شاءت ظروف الأسرة أن أبرحها فسى طرف ساعات لأمكث هنا إلى أن يشاء زوج أختى أن ينهى أعماله ويعود إلى رأس البر . ولى اليوم ثمانية أيام ولست أدرى متى سأعود ولكن الذى أدرى به بعد أن أنلرت إنذارا نهائيا أن موعد هذه العودة لن يتأخر عن أوائل الأسبوع القادم.

أمل بعد عودتى أن يجلى هذا الكسل عن نشاط عظيم أنا والثقة من أنك مستعجب فى تنظيمه ولكنى والثقة أيضا من أنه سيخرج شيئا ما على كل حال.

سألت عن الأستاذ أحمد أمين وأسرته فعلمت أنه عاد نهائيا إلى القاهرة.

أكاد لا أبرح العشة وأخاف أن أقول إني أكاد لا أبرح السرير كسلاً أو تقديراً لمساهج
راس البر. ولولا أطفال أختي وضجتهم لكنا إلى الأموات أقرب.
ترى ما وقع الأخبار الدولية عليك وماذا ترى فيها، أما أنا فبإني أنتظر غير النتائج أو
شرها لا في خوف ولا في اطمئنان وإنما في شعور هو إلى حب الاستطلاع أقرب".
ثم انتهى خطابها بالتحية والسلام كالمعتاد.

وسنخرج من هذه الرسائل متألمين لسهر القلماوى التي لم يكن يرد عليها طه حسين إلا قليلا
ولعله قصد أن نخوض تلميذته التجربة لتعلمها الحياة بأكثر مما تتعلمها في الكتب.



جامعة

طه حسين

أحمد أمين صاحب موسوعة فجر الإسلام

سندخل الآن مع طه حسين إلى الجامعة لنراه ونرى زملاء له وتلاميذ تجاوزت شهرتهم أسوار الجامعة وسيكون لنا معهم شأن خاصة في حياتهم الجامعية واتصافهم بطه حسين داخلها وخارجها، وهذه العلاقة تمثل جزءا من تاريخ الجامعة المصرية العريقة في طورها الأول حين كان مجلس الكلية ومجلس الجامعة يضم أساتذة مصريين وإنجليز وجنسيات أخرى كأنه عصبية أمم كما يقول أحمد أمين، وما تزال تهمر شيئا فشيئا حتى صارت الأغلبية للمصريين، وسنبدأ بالحديث عن المثلث الذهبي بالجامعة المصرية: طه حسين، وأحمد أمين، وعبد الحميد العبادي الذين اتفقوا على كتابة تاريخ الإسلام: عقليا، وسياسيا، وأديبا، فقاموا بما لم تقوم به وزارات بأكملها بعد ذلك.

يحدثنا عميد الأدب العربي طه حسين عن أحمد أمين فيقول: "كان المرحوم الدكتور أحمد أمين يعمل بالقضاء الشرعي، وكان يضيق من هذا العمل، لأنه كان يضطر إلى الذهاب إلى بعض المناطق النائية، وقد سعت لنقله إلى كلية الآداب" يستكمل أحمد أمين الصورة من جانبه عن أحداث تلك الفترة التي صار فيها عضوا من أعضاء هيئة التدريس الذين عمل طه حسين على أن يقوى بهم الجامعة، فيقول (*):

أذكر أنه قد دق جرس التليفون يوما، وإذا المتحدث الدكتور طه حسين بك يعرض عليّ أن أكون مدرسا في الجامعة المصرية وكنت قاضي محكمة الأزكية الشرعية، فاستأذنته أن أفكر، وذرعت الشارع الذي أسكن فيه ذهابا وجيئة مرارا أفكر: هل أقبل أو أرفض وأخيرا قبلت.

كان ذلك في سنة ١٩٢٦، وكلية الآداب إذ ذاك في قصر الزعفران بالعباسية، وكان عدد طلبتها كبيرا، إذ كانت تضم أيضا فوق طلبة كلية الآداب، السنة الأولى من كلية

(*) الهلال يناير ٥١.

الحقوق.

وعهد إلى أن أدرس للسنة الأولى، وقد تعبت جدا إذ كانت المحاضرة تلقى على عدد كبير، واضطر في ذلك إلى رفع الصوت ما أمكن وإلى مجهود كبير في ضبط الفصل ما أمكن، وقد درست فهم درسين، درسا في البلاغة اعتمدت فيه على كتب البلاغة الإنجليزية ، وكتب البلاغة العربية ، والتوفيق بينهما ، ودرسا في الكامل للميرد. وكانت الكلية كالأزهر في عدم الصلة الكبرى بين الأساتذة والطلبة، وعدم التوفيق في الحضور والغياب، فمن شاء حضر ومن لم يشأ لم يحضر، ولم أكن ألح في هذا العدد العديد أي فناة مصرية إلا بنات المرحوم الدكتور على إبراهيم رامز، فإنهن كن من أم المانية ، فكان بذلك نصف مصرية.. وكن يحضرن مع النساء والفتيات الأجانب دروس الأدب الفرنسي في الجامعة.

ويضيف أحمد أمين متحدثا عن هذه الفترة الجوهرة في حياة الجامعة المصرية:

ولم أكن بحكم منصبى عضوا في مجلس كلية الآداب إذ كنت مدرسا، والمجلس قاصر على الأساتذة المساعدين ، والأساتذة من الأجانب والمصريين، وبعد ذلك رقيت إلى أستاذ مساعد فأستاذ فعميد فأمكننى الاتصال بالمجلس.

وكان المجلس كأنه عصبة أمم فيه الألماني والفرنسي والبلجيكي والإنجليزي والمصري، وكان العميد الأستاذ "كويجوار" البلجيكي.. وكانت المسائل المهمة التى تعرض تترجم عادة من الإنجليزية إلى الفرنسية والعربية، ومن الفرنسية إلى الإنجليزية والعربية ، ومن العربية إليهما، وما تزال تقصر شيئا فشيئا حتى كانت الأغلبية من المصريين.

وكان يتقاسم الرئاسة فى أقسام الكلية جنسيات مختلفة ، فقسم الفلسفة مثلا وقسم اللاتينى، يتزعمه الفرنسيون ، وقسم اللغة الإنجليزية يتزعمه الإنجليز وقسم التاريخ يتزعمه البلجيكيون ، وقسم اللغة العربية يتزعمه المصريون ، وهكذا.

وكانت الكلية مفككة الروابط بهذا التقسيم من جهة، وباشتمالها على طلبة الحقوق وطلبة الآداب وعلى المدرسين من كل صنف ولون.

وقد حررت فيما بعد من التدريس لطلبة الحقوق، واقتصرت على طلبة قسم اللغة العربية، ودرست أيضا درسين: درسا فى البلاغة ودرسا فى المعاجم العربية، ثم تخصصت فى الإسلاميات ، وكان من نتيجة ذلك فجر الإسلام، وضحى الإسلام.

الدهشة

ويتذكر طه حسين كيف "توثقت علاقتنا في الجامعة ، وكان بيتنا تعاون علمي، وأذكر أنني كتبت مقدمة لكتابه الأول في موسوعته عن فجر الإسلام وضحاها وظهره".
وقد أثنى طه حسين ثناء عطرًا على فجر الإسلام. لأحمد أمين الذي يرى أنه أخذ

"يحلل هذه الحياة العقلية العربية تحليلًا ليس أدق دقة واستقصاء من تحليل صاحب الكيمياء في معمله" فقد "نهض بهذا العبء من درس الحياة العقلية العربية كأحسن ما ينهض الرجل ذو الضمير العلمي الخي بعصب من الأعباء". "لقد كنا نعرف له كفايته ومقدرته كعالم وأديب، جد حتى نتقف بالثقافة الأجنبية الأوروبية، ولكننا لم نكن نقدر أن يكون قد أخذ من هذه الثقافة بأدق حظ وأقربه إلى الإتقان والكمال" ولست أخفي أنني لم أكن أعرف هذا الدهش الذي كنت أجده حين أرى "أحمد أمين" يتصرف في المسائل الأدبية والفلسفية واللغوية بقدم ثابتة ويد صناع وعقل يعرف كيف يفكر" ويمضي طه حسين في ثنائه "ومهما أعمل من ذلك فلن يكون ثنائي شيئًا إلى جانب هذا الأثر الذي سيركبه في نفوس الناس بحسه الذي أقدمه إلى الجمهور سعيدًا مفتيظًا بأنه أول ما يقع في أيدي الناس من كتاب "فجر الإسلام".

الصفحات

وتتصل العلاقة بين طه حسين وأحمد أمين حين يسافر أحدهما للخارج فيتراسلان ، وبين أيدينا مراسلات أحمد أمين لطه حسين التي تكشف عن جانب من جوانب الحياة العلمية في تلك الفترة المجهولة من الحياة الجامعية، فنقرأ في الرسالة التالية بعض ما يخص أحمد أمين والجامعة ، وعصر، فكتب من :

مصر في ٢٦ يونيو ١٩٣٠

أخي الدكتور طه

عليكم السلام ورحمة الله

هينا لك بفيينا وجمالها، وباريس ومناظرها ، والجبال وهوائها - أما أنا فأقعدني عن السفر مرض والدتي ثم مرض ابني الكبير بحمي انتابته، وقد بدأ يتحسن ، فإذا تغلبت على

هذه الصعاب سافرت إلى رأس البر، إما وحدى أو مع العائلة ، فقد منمت جدا من حياتي المتكررة التي كأنها يوم واحد.

والآن أقص عليك مسألة بسيطة.

ذلك أن الأستاذ أحمد إبراهيم عرض علىّ أن أكون أستاذا مساعدا للشريعة في كلية الحقوق في الدرجة الثالثة، فقلت له: إذا أردتم الإعلان عن الوظيفة لأكون أحد المتقدمين لها، لا أستطيع ذلك، أما إذا حصرت الاختيار فيّ فهذا أبدي رأيي ، فقبل ذلك وأخبرني أنني المرشح الوحيد، ترددت أولا واستشرت كثيرا من إخواني فمنهم الذى استحسنتها لى كالدكتور منصور والأستاذ الخولى ، وغيرهما ، ومنهم من لم يوافق كالأستاذ عزام، وأخيرا لاعتبارات مختلفة ملت إلى قبولها، وانتظرت أخذ رأيكم مع رجائي لك فى الموافقة ، فلست أحب أن أخرج وأنت غاضب.

أظن أنه قد بلغك استقالة كوبلانند وشين وبذلك أصبح التاريخ المتوسط بلا أستاذ ولا مدرس له ويجب تدبير هذه المسائل من الآن حتى لا تفتح الدراسة والكلية خالية ممن يقوم بتدريس هذا الفرع".

"أما مسألة الأساتذة الزائرين فقد كان الأستاذ بهسى الدين بك رفض الموافقة عليهم ويحتاج لتنفيذها لعرض المسألة من جديد على الوزير الخالى - لذلك يحسن ألا تتفق مع أحد نهائيا حتى يتجلى الموقف".

"أظن أنه قد بلغك الانقلاب الخطير الذى حصل فى مصر، والناس هنا يوجسون خيفة من تغير الدستور ويتوقعون حوادث خطيرة فى الأشهر المقبلة، ولا أدري متى ترتاح مصر اليائسة التعسة من هذه النكبات.

عبد الحميد العبادى قد مات والده وسافر إلى الإسكندرية لقضاء أيام ثم يعود ليستأنف العمل فى فجر الإسلام (رغم أنه من عمل أحمد أمين إلا أنه والعبادى وطه حسين اعتبروا أن كل عمل يقوم به أحدهم كأنه عملهم جميعا لأنهم كانوا يراجعون مادته ويقرأونها أيضا جميعا) ولعل حظه هذه الأجازة يكون خيرا من حظه فى الأجازة الماضية أما أنا فأحييت أن أكتب بابا فى الحياة الاجتماعية فى العصر العباسى الأول، ورأيت الأغاني (للاصفهاني) خير ما يعين على ذلك ، فبدأت بقرائته من أوائل مايو، والآن وصلت إلى الجزء السابع عشر، فإذا أتمته بدأت فى كتابة هذا الباب".

السنبورى ورائى بالكرباج!

ومن لندن فى ٢٩ يوليو (بدون سنة) يكتب أحمد أمين

أخى العزيز

سلام عليكم ورحمة الله

سررت مما استفدت من لندن، سهل لى إخوانى هنا سبيل الإقامة - جزاهم الله عنى خيرا - ولكن لم أحقق كل غرضى فلم يصبر لى الإقامة فى عائلة إنجليزية لقصر المدة التى أقضيها هنا ، ولأن العائلة التى كانت أعدت لى قررت قبيل مجيئى أن تسافر إلى شاطئ البحر".

"كتاب المختارات وضع فى جزعين لا فى ثلاثة ، واحد للسنة الثالثة وآخر للرابعة والخامسة معا ، وقد اخترنا ما اختاره الأعضاء للسنة الثالثة. وتركنا الباقي للسنتين الأخيرتين، وأنا موافق على المعانى التى ذكرتها فى خطابك لتكون مقدمة للكتاب ، ولكن أرجو الإسراع فى إرسالها إلى الشايب. مع خطاب الوزارة ولك الشكر .

أحس فى كتابك بشئ من الضجر والقلق فأرجو أن تكون فوق الحوادث كما عهدتلك، وأن تنظر إليها نظرة الرائى لرواية، ومثلك خير من يستخرج من الفلسفة ما يجعله يستهين بهذه الصغائر".

ومن القاهرة فى ١١ سبتمبر ١٩٣٠ يكتب أحمد أمين إلى طه حسين:

يجزئنى أن تكون خطابتك الأخيرة كلها مملوءة بالأسف والحزن، وكان بودى أن تكون كلها نعمة سرور وفرح حتى يعوضك عما لقيت من نصب فى السنة الماضية، ولكن شاء القدر أن تخرج من فصل محزن إلا لتستقبل فصلا آخر يتصل به ، على أنى أرجو أن يتم شفاء السيدة وأن تستقبل رواية من نوع الكوميديا تنحو بها كل أثر للتراجيدى السابقة".

"اجتمع مجلس الجامعة فى الأسبوع الماضى وكان يدور كله حول مقترحات كلية الحقوق، وأهم ما يخصنا المصادقة على ضم القسم الإعدادى إلى كلية الحقوق.

وبهذه المناسبة يريد كامل بك أن يختار مدرسين من قسم اللغة العربية لنقلهما إلى الحقوق ، وقد وقع اختياره شفويا على أمين الخولى وأحمد الشايب، ولا أدري من أين استقى معلوماته، ولكنى أرى الاحتفاظ بهما ، وأن نرشح له عبد الوهاب حمودة، وطه إبراهيم. فما

رايك - سأقابل لطفى بك لأكلمه فى وقف النقل حتى أعرف رأيك - أما مسألة العميد والانتخابات وما إلى ذلك فأظن أن الكلام فيه قبل أوانه لأن شيئاً فى هذه الموضوعات لم يتم.

سلامى عليك وأتمنى لك راحة الضمير

ويذكر أحمد أمين أن كلية الآداب كانت تقوم كل سنة برحلات فى أجازة نصف السنة، فاستفدت من هذه الرحلات ورحلت إلى الشرق والغرب، ومرة رحلنا إلى الشام وأخرى إلى العراق وثالثة إلى الحجاز، ومرة إلى هولندا وإنجلترا وبروكسل، وكانت هذه الرحلات موضعاً للاستفادة منها حينما رحلنا.

ويكتب أحمد أمين عن إحدى تلك الرحلات وكانت رحلة صعبة فيقول من:

دمشق فى يوم ٥ فبراير ١٩٣١

أخي العزيز الدكتور طه

سلام عليكم ورحمة الله

وصلنا بحمد الله إلى دمشق وقد كان فى طريقنا من طرية إلى دمشق بعض الصعوبات لأن المطر انهمر علينا وكثر الضباب حتى لم يستطع الرائي أن يبرى على بعد متر، وأمسى علينا المساء ونحن فى منتصف الطريق، وبينما نحن سائرون ارتطمت سيارة فى أحجار وتهشمت وجرح ثلاثة من ركابها، ففزعنا جميعاً إذ ظننا أنها إحدى سياراتنا خصوصاً وقد جاءنا الخبر أولاً بأنها كذلك، ثم حمدنا الله كثيراً على أنها لم تكن لنا، وأنها لجماعة من دمشق فخفف علينا بعض الشئ وقع المصاب، ونقلنا المصابين معنا إلى المستشفى فكان فصللاً مؤثراً أثر فى بعضنا الخوف وفى بعضنا الحذر وفى بعضنا الاتكال على الله - منقوم غدا إن شاء الله إلى بغداد وسنقطع ٩١٥ كيلو متراً من دمشق إلى بغداد. وكل أعضاء الرحلة يشكرون لك - أولاً تمهيدك السبيل للرحلة والسعى فى إتمامها - وثانياً توديعك لنا على الخطأ، ويحيونك ويتمنون لك أجازة طيبة.

والسلام

أحمد أمين

... ست الرحلة التالية إلى فرنسا أكثر استمتاعاً وكان بصحبة أحمد أمين، د. عبد الرازق السنهورى الذى كان محافظاً على تنفيذ برنامج الرحلة كحفظه للقائون فلم يترك فرصة لصديقه لالتقاط أنفاسه، يقول أمين لطفه حسين:

قضيت خمسة عشر يوما في فرنسا رأيت بعض متاحفها وملاعبها، وحضرت اول أمس رواية عابدة في الأوبرا، وعملت رحلات في ضواحيها وشهدت كثيرا من مظاهر جوها وهواها، وقضينا أمس في فرساي فأعجبتني، ودعينا ونحن في ليون لرحلة تبعد نحو ١٥٠ كيلو فقضينا يوما جميلا شهدنا فيه جمال فرنسا وكثيرا من مناظرها الطبيعية، وبالاختصار أصبحت عندي صورة لا بأس بها، ولكني لم أرتج مطلقا فالدكتور السنهوري كان وراني بالكرباج من الأوتيل حوالى الساعة العاشرة صباحا فلا نعود إلا الساعة الواحدة - لهذا لم يكن عندي زمن لأهضم ما أرى. فوطنت نفسي على أن أكون كالحمل المحتر يأكل بسرعة ثم يجز في الوقت المناسب ما يأكل، وأنا متوقع أن يكون هذا حالى في لندن - لذلك سأضطر سريعا إلى الهرب إليك بعد نحو عشرين يوما لأقضى أياما أستريح فيها.

استحضرت معى من مصر رديحوت وسموكنج فلم أحتج إلى الالتجاء إلى خياطى باريس، وقد رأيت عنك أمانها وأنا متأكد أن القماش لايد أن يكون ردينا حتى يفصلها بخمسة جنيهات قياما على ما سمعت لى ورأيت.

هذه الشلل

ويكتب أحمد أمين في ٢٥ أغسطس (بدون سنة)

وقد سررت جدا من رأى الأستاذ مرسيد في "فجر الإسلام" وشجعنى على المضى فى "ضحى الإسلام" وقد كدت أنتهى من قراءة ما أحببت قراءته لتحضيره ووزعت المذكرات التى أخذتها على الدوسيهات ، ولم يبق إلا الكتابة، وأرجو أن تعود إلينا بجزء صالح من كتابك لأنى أشك كثيرا أن ينتهى قسم العبادى هذا العام.

بعثت إلى العبادى أول أمس خطابا اعتذر فيه عن قبولى لعمودية الكلية فى شهر سبتمبر واقترحت عليه أن يكلها إلى الأستاذ شفيق غربال أو حسن إبراهيم لأنى رأيت أنها ستشغلنى فى أمور تافهة لا تقدم الكلية ولا تؤخرها، وأفضل أن أسافر أو أكتب جزءا من ضحى الإسلام.

"اهتم المدير فى هذه الأيام بإصلاح كلية الحقوق وقد تم فعلا إخراج (.....) وانتداب نجيب بك الحلالى ورأفت العشماوى للتدريس مع بقائهم فى وظائفهم، وعين سيد مصطفى .. الخ.

وقد أخبرني المدير أنه سيتفرغ لكلية الآداب بعد . لعلك تستطيع أن تحضر قبل انتهاء
الإجازة لتشارك في الإصلاح المنوي إن كان.

أزمة الثقافة

ويذكر طه حسين "لما أنشأ الدكتور أحمد أمين مجلة الثقافة كنت أكتب فيها بدون أجر". وفي
خطاب أحمد أمين ، التالي حديث حول أزمة تواجهاها مجلة الثقافة، وفيها يعتب على طه الذي
"نسيها" ويكتب عن مواقف بقية الكتاب منها، فيقول :

أخي الدكتور طه

سلام عليك ورحمة الله

وصلني خطابك وألت لوصفك لنفسك ولكن خفف المني علمي أن الأديب لي كل
عصر لا ينتج إنتاجا فيما إلا إذا احترق ورحم الله أبا الطيب الذي اكتشف أن كل بعيد المهم
فيها معذب.

أما أنا فقد سافرت إلى الإسكندرية في حالة إعياء شديد وصحة متدهورة، فلم أكد
أسريج بعض الشئ حتى واجهت حالة الثقافة المتعبة، فقد نسيها طه حسين وأخلى بنا عوض
وقد وعد أن يتابع الكتابة حتى وهو على ظهر المركب فلم أسمع منه الآن ولا كلمة، وكذلك
قبل توفيق الحكيم وقد وعد أن يكتب في رحلته إلى سويسرا فلم يصلني منه إلى اليوم شئ.
وكذلك فعل بعض أعضاء اللجنة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ولست ألد على مواجهة
الجمهور بالخيبة ، فاضطرت أن أحول بريد الثقافة إلى بالإسكندرية واختار ما يمكن نشره
وأكتب في كل عدد طوعا أو كرها ، ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما رضيت
بإخراج الثقافة ولكن كيف الحرب.

ومع ذلك انتهزت فرصة وجودي في الإسكندرية فأرحت نفسي من مقابلة فلان
وفلان وأرحت سمعي من الحديث عن الجامعة وكلية الآداب . وكلفت أن أعمل كتابا لمطالعة
السنة التوجيهية فرفضت واسترحت، ومكنتني فرصة الوحدة من أن أستعيد الماضي القريب
في الجامعة فوصلت إلى نتيجة تشبه تلك التي وصل إليها أبو العلاء حين عودته من بغداد
وهممت أن أكتب منشورا كذلك المنشور الذي كتبه إلى أهل المعرة ولكني اكتفيت بنية
التفويض ، فاعتزمت أن أترك مجلس الجامعة وأترك مجلس الكلية إلا عند نظره في مسائل

تعليمية مهمة، وأن أنفض يدي إلا من تحضير درس وإلقائه، ولو كانت ظروفى كظروف أبى العلاء فى جنازة أبىه وعدم جنايته على أحد لسرقت الوظيفة أيضا، لقد ظفرت أنت فى أجازتك بالجزء الثانى من الأيام أما أنا فلم أظفر إلا بتسيير الثقافة سرا أعرج، وتفكير بسيط فى الأدب العربى المصرى.

والآن قد تشبع جسمى من جو الإسكندرية فتضايقت منه وكرهت منظر البحر من أجله واعتزمت العودة إلى القاهرة يوم ٢٠ أغسطس، فاحتمال الحر مع الجفاف أهون من هذه الرطوبة المفضية، ولولا الإشفاق على الأولاد لعدت من زمان أو لركبهم وسافرت إلى لبنان.

وأكتب إليك والجو السياسى مضطرب أشد الاضطراب فلا بد أن قرأت استقالة محمد محمود باشا وشائعة إسنادها إلى على ماهر باشا وعزمه على الاستناد إلى حزبى السعديين والأحرار الدستوريين، وتمسك هؤلاء بأن يمثل كل حزب منهم خمسة أعضاء، وعدم موافقة ماهر باشا على هذا، وقد يصلك خطابى هذا وقد أجمت الغيوم ولو إلى حين.

وبالأمس كنت أجلس فى "تريانون" فهذا هو عوض إبراهيم فى شلة من الموظفين ونجيب افلالى فى شلة أخرى والقهوة مزدهجة بهذه الشللى، و"الشيخ روتر" يذهب ويجى من وندسور إلى تريانون ومن تريانون إلى وندسور، والمسرح مزدهم بالمناظر وأهم منها ما وراء الستار.

ولا أطيل فسلامى عليك ورحمة الله

أحمد أمين

المسؤامرة

وكما لاحظنا فقد ضاق أحمد أمين ذرعا بمجلس الجامعة ومجلس الكلية فقرر عدم المشاركة فيهما إلا للضرورة العلمية القصوى، ومحدثنا عن خلاصة تجربته فى مجلس الجامعة، فيقول: "وكان المجلس يضم إنجليز ومصريين، وأحيانا يكون الجندل والمناقشة بالإنجليزية وأحيانا بالعربية. ومن أغرب ما لاحظت أنه إذا كانت المناقشة بالإنجليزية قل الاستطراء وتحدد الغرض ودلت الألفاظ على معانيها بدقة، ولم يعرض الجادل أو المناقش لرأى سبقه به أحد إلا إذا كان جديدا، وعلى عكس ذلك كله إذا كانت المناقشة باللغة العربية.

وقد تعلمت من هذا المجلس أني رأيت الكبراء والعظماء يفكرون كما يفكر الناس، ويخطنون في التفكير كما يفكر الناس، ولهم شهوات وأغراض كما لسائر الناس، وكان قد وقر في ذهني أنهم من طينة أخرى ولا يعملون إلا للحق والمصلحة العامة.

وتعلمت أن الناس ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: متكلمون بالحق، ومجرمون لا يعينهم الحق في قليل أو كثير، وهؤلاء، وهؤلاء أقلية، وأكثر الناس جنباء تقصهم الشجاعة، فإذا نطق بالحق أحد تبوه ونصفوه، وإذا لم يتكلم به أحد ضاع الحق وفسد الميزان.

وإذا كانت العلاقة بين طه حسين وأحمد أمين قد توثقت بينهما حينما أتى الأول بالآخر إلى الجامعة وتعاونوا في المسائل العلمية وكتابة تاريخ الإسلام، كما تعاونوا في أمور "الثقافة" واشترك طه معه في لجنة "التأليف والترجمة والنشر". فإن العلاقة قد امتدت بين الصديقين إلى ما هو أبعد إنسانياً، كما يتذكر طه حسين "وكان الدكتور أحمد يلجأ إلي في علاج مشكلات أبنائه في التعليم. وكنت أعاونه ما استطعت وأذكر أني يسرت لبعض هؤلاء الأبناء فرصة السفر إلى الخارج للدراسة على حساب الدولة، غير أن الدكتور أحمد أمين مع هذا تكسر لي وانضم إلى الدكتور السنهوري في التآمر ضدي"^(١)!

ولم نعتز بعد على أثر تلك المؤامرة إلا في هواجس وشكوك طه حسين الذي محب تلك الشكوك التي استخدمها في منهجه العلمي، على أصدقائه حيث أن سوء الفهم كان يصور له أحيانا أشياء لم تحدث، وربما لعبت بعض الوشائيات دورها في الإيقاع بينه وبين أصدقائه، ولم يكن طه حسين من ذلك النوع الذي يكشف أصدقائه ويواجههم بل كان يكتفم شكوكه وهو اجسد في نفسه ولا يصارح بها أحداً إلا في حديث عابر كتلك الأحاديث التي دارت بينه وبين سكرتيره، بينما تكون الحقيقة شيئاً آخر غير تلك التي تقيها في نفسه، وستكتفى بواقعة واحدة وإن لم تكن الوحيدة في التذليل على صحة ما ذهبنا إليه في تفسير تلك المؤامرة التي لم تقم سوى في خيال الدكتور طه حسين، وهذه الواقعة يذكرها سكرتيره. فيقول "أما عن تطور العلاقة بين العميد والزيات فإن العميد كان لا يجد لها سبباً، وكان يقول لي: إن الأستاذ الزيات لم يعد يزورني أو يتصل بي كما كان الحال بيننا من قبل، وكان إذا لقيني في الجمع اكتفى بتحيتي قائلاً: إزيك يا باشا.

وسألت المرحوم الأستاذ الزيات - وكنت أعمل معه في لجنة المعجم الوسيط بالجمع اللغوي - لماذا فرت العلاقة بينك وبين العميد أخيراً؟ وكان جواب الأستاذ الزيات: إن

(١) طه حسين يتحدث - السابق.

العلاقة لم تفسر ، ولكن زوجة الدكتور هي المسئولة عن ابتعاد أصدقاء الدكتور عنه، وأنت تعلم أنه لا يستطيع إغضابها، فقلت كيف تكون زوجة الدكتور مسئولة؟ قال: كانت تحول بينه وبين لقاء من يود، وكنا إذا ذهبنا إليه ورغبنا في اصطحابه معنا، فإنها كانت لا تتمكن من ذلك بحجة أن صحته لا تساعد على الخروج، ولهذا ابتعد أصدقاء الدكتور عنه شيئا ، فشيئا حتى انقطعت صلته بهم تقريبا.

وهكذا يلعب سوء الفهم وغياب المعلومات الصحيحة دورا في تنمية شكوك طه حسين وهو اجسه، وإن كان ذلك عيبا في شخصيته إلا أنها أبدا لن تنسى بقية جوانب العظيمة في تلك الشخصية الفريدة التي دارت حولها كل الشخصيات العظيمة في القرن العشرين.

عبد الحميد العبادى

مؤسس المدرسة العلمية فى التاريخ الإسلامى

كان د. عبد الحميد العبادى أحد الذين استعان بهم د. طه حسين لتقوية الجامعة الوليدة وتغذيتها بالعناصر المصرية أمام الكثرة الغالبة من العناصر الأجنبية والتي لم يكن لها بديل آنذاك حتى استطاع طه حسين بالتعاون مع لطفى السيد أن يحصر الجامعة بتلك البعثات المنتجة للأساتذة الجامعيين فى جميع التخصصات، وحتى يحدث ذلك كان على تلك القلعة من العناصر المصرية أن تقوم بالعبء الأكبر ليس فقط بالتدريس للطلبة المصريين بل لتأسيس مناهج علمية جديدة تقوم عليها النهضة الجامعية والثقافية المصرية الحديثة، وكان من هؤلاء المؤسسين د. عبد الحميد العبادى الذى اشترك مع طه حسين وأحمد أمين فى مشروع انفقوا عليه لإعادة كتابة العصر الإسلامى برؤية عصرية جديدة، فتناول طه حسين الجانب الأدبى، وعهد إلى أحمد أمين بالجانب العقلى والاجتماعى، وتحمل د. العبادى عبء كتابة التاريخ الإسلامى برؤية علمية كان هو مؤسسها الأول والذى سار على نهجه كل مؤرخى التاريخ الإسلامى حتى اليوم.

ود. العبادى أحد أضلاع مثلثنا الذهبى فى الجامعة المصرية، ومراسلاته لطه حسين مهمة لأنها تؤرخ لحقبة مبكرة من تاريخ هذه الجامعة بما اعترضها من مشكلات وصعوبات.

نصف الممات

ومصدرنا فى المعلومات المتاحة عن العبادى هو تلاميذه: عبد الوهاب عزام، د. جمال الدين الشيال، ومحمد عبد الهادى شعيرة.

ولد د. عبد الحميد العبادى بحى الأنفوشى سنة ١٨٩٢ لأسرة سكندرية عريقة تنتمى لأصل مغربى، تخرج فى مدرسة المعلمين العليا ١٩١٤، وعمل مدرسا بالجمعية الخيرية الإسلامية، ثم أستاذا للتاريخ بمدرسة القضاء الشرعى التى شاركه العمل فيها أحمد أمين - الذى اشترك معه فى دراسة المخطوطات العربية باستانبول - عاطف بركات، الشيخ محمد الحضرى، ومن تلاميذ العبادى بتلك المدرسة: أمين الحوتى وعبد الوهاب عزام، وحين افتتح الجامعة المصرية ١٩٢٥

اختير أستاذاً للتاريخ الإسلامى. والتدب للتدريس فى مدرسة دار العلوم، والجامعة الأزهرية ودار المعلمين العالية ببغداد، ثم صار عميداً لكلية الآداب بجامعة الإسكندرية ١٩٩٠، وعضواً بمجمع اللغة العربية بمصر، وعضو المجمع العلمى بدمشق، وعضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، وكان له اهتمام بالأدب والشعر، فجمعت المنتديات الأدبية بالإسكندرية، بينه وبين أصدقائه من أدباء النثر أمثال عبد الرحمن شكرى وإبراهيم مصطفى وعبد اللطيف النشار. ولذلك كان "أستاذاً موهوباً، وفتاناً لذا جمع بين الأدب والتاريخ فى آن واحد، فله من الأدب جمال الصورة، وروعة الأسلوب، وله من التاريخ منهجه العلمى الدقيق"، ولذلك لم تعجب إذا علمنا أنه فى الجامعة المصرية القديمة "كان يشارك فى اللجان العلمية لمناقشة الكثير من رسائل الدكتوراة والماجستير فى الأدب العربى" بل إن كتاب "نقد النثر" لابن قدامة، اشترك العبادى فى نشره والتقديم له والتعليق عليه مع طه حسين. والعبادى واحد من طلاب نهضة العلمية الثقافية الحديثة حيث اتفق مع مجموعة من الزملاء التوايغ فى جيله أمثال: محمد حسن الزيات، أحمد زكى، عبد الوهاب عزام، أحمد أمين، على إنشاء لجنة لوضع كتب علمية حديثة يساهمون بها فى إرساء النهضة الثقافية المصرية على قواعد سليمة، وتأسست اللجنة ١٩١٤ وصار اسمها "لجنة التأليف والترجمة والنشر". وكانت الاجتماعات الأولى التى تمخض عنها مولد هذه اللجنة تعقد فى منزل عبد الحميد العبادى الطالب بمدرسة المعلمين العليا، وكان أحد المؤسسين لهذه اللجنة، التى امتد نشاطها من مصر إلى العالمين العربى والإسلامى لنشر الفكر والثقافة.

وعندما عين العبادى مدرسا بقسم اللغة العربية بكلية الآداب كان له الفضل الأول مع طه حسين فى إنشاء هذا القسم، وتثبيت دعائمه، وتخصيص فى التاريخ الإسلامى. وكان أول من أدخل دراسة تاريخ المغرب والأندلس فى مناهج الجامعة، فكان أستاذاً جليلاً ومؤرخاً محققاً من الطلائع الذين أقاموا الجامعة والحياة الجامعية فى مصر على أسس قوية، كما يقول تلميذه جمال الدين الشيبان أستاذ التاريخ الإسلامى والذي يؤكد أن التاريخ الإسلامى كان "قبله رواية تروى، أو قصة تحكى، أو نكتة تقال، أو بيتا من شعر ينشد، وكان العبادى أول من ارتفع به إلى مرتبة العلم فجعله فكرة محص، وتحليلاً ونقداً ومقارنة ودراسة دقيقة على أسس ومناهج علمية ثابتة، فإذا كان فى مصر اليوم من يفهم التاريخ الإسلامى حق فهمه، ومن يجيد بحشه ودراسته، فإن الفضل الأكبر فى هذا إنما يرجع إلى العبادى وطريقته وجهوده".

ويضيف تلميذه د. محمد عبد الهادى شعيرة "والعبادى من غير شك صاحب مدرسة جديدة فى التاريخ الإسلامى فعالجه على نحو خرج به عن نطاق السطحية والمسرد والأساليب الخطابية الجوفاء إلى الدراسة المنهجية والتعمق فى سير أغوار الحوادث والوصول إلى أصولها واستنباط

نتائجها مع تصوير أجوائها تصويرا يعين على فهمها وعنايتها".

وقد نعاه صديقه عبد الوهاب عزام عندما سمع نبأ وفاته وهو بعيد خارج مصر يعمل دبلوماسيا في سفارتنا هناك، أنشد قول الشاعر:

راعنى فى العباد نعى صديق كان فى غمرة الحياة شقيقى
علمتنى مصيبة المسوت فيه أن نصف الممات موت صديق

* * *

حالة حضرة صاحب العزة

تصل الآن إلى مجموعة الرسائل التى كان يرسلها العبادى لطفه حسين أثناء سفر الأخير فى أجازته السنوية، وكان العبادى يقوم مقامه كعميد لكلية الآداب أثناء غيابه، وذلك بالتبادل مع بقية الأساتذة، فبعث من القاهرة فى ٣ أغسطس ١٩٣٠م. متحدثا عن مشكلة خلو مكان الأساتذة الأجانب بعد انتهاء مدة إعتدائهم، واعتذار بعضهم عن تجديد الإشتداد، والعبادى فى رسالته يحاول بالتفكير مع طه حسين البحث عن بدائل قبل بداية العام الجامعى الجديد لحل هذه الأزمة نظرا لنقص الكوادر المصرية فيقول:

صديقى المفضل

اليوم فقط أستطيع أن أتحدث إليك فى شئون الكلية، وأما قبل اليوم فلم يكن ذلك مستطاعا لأن كل أمور الكلية تقريبا كانت معلقة لا يمكن لإنسان أن ينتهى فيها إلى نهاية واضحة .. ولاشك أنك عارف بما فى ذلك التعليق وسببه .

وصلتنى منك خطاب تكلمت فيه عن مسألتين:

الأولى: مسألة الأستاذ برجسواسر

الثانية: مسألة عيد الهادى شعيرة

وبمجرد وصول هذا الخطاب ذهبت إلى الإدارة ولبتت أتردد عليها أياما متوالية أحاول إنهاء هاتين المسألتين كما طلبت، أو على الأقل الوصول فيهما إلى غاية ما فلم أفلح، وأخيرا انفرجت الأزمة أو قل أخذت تفرج، فقد جاءنا نطقى بك السيد مديرا للجامعة وقد قابلته

اليوم وكلمته في هاتين المسألتين، فأما مسألة الأستاذ برجستراسر فقد وعد أن يسلك في حلها الطرق السياسية التي اقترحها الأستاذ واقترحتها أنت. وهو مسافر غدا إلى الإسكندرية وسيقابل الوزير الألماني وسيكلمه في ذلك. كما أتسى أنا من ناحيتي سأقدم مذكرة إلى الإدارة أطلب فيها نذب الأستاذ برجستراسر للتدريس بالكلية في فصلى الدراسة القادمين (أكتوبر إلى مايو) نظير مكافأة قدرها ١٠٠٠ جنيه من ضمنها مصروفات السفر.

وكانت الإدارة من قبل ترى أن تكون المكافأة ٩٠٠ جنيه فقط بناء على طريقة اتباعها في الحساب أصرح لك أنى لم أدركها بسهولة. على أن لطفى بك وافق على التقدير الذى قدرته.

وأما مسألة شعيرة فقد رأى لطفى بك وجوب استصدار قرار من مجلس الجامعة بنقله إلى السوربون ، وقد قدمت مذكرة بذلك سيطاف بها على أعضاء المجلس ليوقعوا عليها، واطن أن الأمر سينتهى إلى ما تريد.

هناك مسائل أخرى خلفها لى العميدان السابقان وأنا ذاكرها لك وذاكر ما اتخذته فيها من الإجراءات لعلك تمدنى برأيك فيها.

أولاً: مسألة أستاذ التاريخ الحديث. هذه لا تزال قائمة فقد كتبت لجنة اتحاد الجامعات البريطانية تلوم وزارة المعارف والجامعة على تأخرها فى طلب من تريد من الأساتذة إلى ما بعد مايو، وقد ردت الجامعة تعذر باستثنائية الظروف وتطلب مواصلة البحث.

ثانياً: مسألة أستاذ التاريخ المتوسط، قدم الأستاذ "كوبلند" استقالته إلى الجامعة فى النصف الأول من يونيه، فأرسلت إليه إدارة الجامعة رسالة برقية وأخرى بريدية تطلب إليه فيها العدول عن استقالته فلم يرد، وأخيراً كتب إليه مدير قلم البعثات يطلب إليه الرد عن الرسالتين المذكورتين فجاء رده بالبرق فى هذا الأسبوع فقط بتصميمه على الاستقالة، ويعد أنه سيرسل خطاباً يفصل فيه ما أجمل فى رسالته البرقية، هنالك كتبت إلى الإدارة أطلب إليها مكتابة لجنة اتحاد الجامعات البريطانية فى ترشيح أستاذ لكرسى التاريخ المتوسط، على أن يكون ذلك بعقد لمدة سنتين وبمرتب قدره ١١٤٠ جنيه.

ثالثاً: مسألة خلف المسز شينى، رأيت ألا أطلب الآن تعيين خلف أجنبى للمسز "شينى" فقد بلغنى أن بجامعة "ليفربول" شاباً مصرياً يدرس التاريخ المتوسط. واسمه (مصطفى زيادة) وأنه سيؤدى الامتحان (....) فى سبتمبر القادم على الأرجح والأستاذ شفيق غربال يشئ على هذا الطالب، لذلك أرى أن تحتفظ له بمحل شينى ، فلعلك موافق على ذلك الرأى.

رابعاً: مسألة من يخلّف "السير توماس أرنولد" ، أبرقت إلى الأستاذ "نيكلسن" في ذلك فرد يعتذر عن عدم استطاعته قبول طلب الكلية، فأرسلت برفية أعرض عليه انجني إلى الكلية بصفة أستاذ زائر ، ولكنه لم يرد بعد.

هذه هي المسائل المتعلقة بالأساتذة ، وهناك مسألة أخرى تتعلق بأحد طلبة البعثة الذين سافروا في الشهر الماضي إلى أوروبا، فقد كتب قلم البعثات إلى الكلية يخبرها أن الطالب نجيب بلدى ليس مصرياً ولكنه يوناني الجنسية بنص شهادة ميلاده، ويطلب تحقيق هذه المسألة. استدعيت ولي أمر الطالب المذكور فقال إن ما ذكر يشهادة الميلاد من حيث الجنسية غير صحيح وواعد أن يقدم إلى الكلية المستندات التي تثبت مصرية "نجيب بلدى" وقد قدمها فعلاً فأرسلتها إلى قلم البعثات عن طريق إدارة الجامعة للنظر في قيمتها، ويمكنك أن تصور حالة حضرة صاحب العزة السكرتير العام للجامعة وقد وقف على هذا الاكتشاف الغريب!! (....) ودمت للمخلص.

عبد الحميد العبادى

الابتناء

ويشكو العبادى من ابتلائه بمنصب العمادة المؤقتة نظراً لمشاكلها التي لا تنتهى، وذلك فى رسالة من "القاهرة فى ٢٥ أغسطس ١٩٣٠":

صديقى المفضل

(....) لاشك أنك تحب أن تعلم شيئاً عن أحوال الكلية التي ابتليت بالإشراف عليها، ويحاول د. أحمد أمين التخلص منها فى الشهر القادم ، وإلقاء ذلك على عاتق غيره.. ولست مطيل التحدث إليك فأنا اليوم على ميعاد مع المدير وكامل بك مرسى للبحث فى نظام يوضع للقسم الإعدادى للحقوق - والظاهر أن النية متجهة نحو جعل الدراسة بكلية الحقوق بالفرنسية دون العربية، ونحو جعل القسم الإعدادى مدرسة شبه مستقلة يدرّس الطلبة فيها اللغتين العربية والفرنسية فقط، وسيعهد إليك أنت بالإشراف على هذه المدرسة (لأنى عاوز أبت فى الطلبة روح طه روح البحث والجدل والحناق العلمى) كما يقول أستاذنا لطفى السيد.

(....) لم يرشح بعد مكتب اتحاد الجامعات البريطانية أحد للكوميسين الحاليين بالكلية :

كرسى أستاذ التاريخ المتوسط وكرسى التاريخ الحديث، غير أنه بلغنى أن المفاوضات لا تزال جارية بين الإدارة وبين المسر كويلند بقصد حمله على العدول عن استقالته. هذا وقد قدم الأستاذ كويلند إلى المدير تقريراً عن إصلاحات يرى إدخالها على نظام الكلية، ولم أطلع على هذا التقرير ولا بلغت الكلية مضمونه.

يظهر أن الوزارة مفسر المادة الخاصة بتعيين عميد كل كلية بأن لوزير المعارف أن يعين عميد الكلية بعد أخذ رأى مجلس الكلية فى غير تقيده، ويظهر أنها ستأخذ بهذا التفسير فى تعيين عميد كليتنا ويلوح لى أن النية متجهة نحو تعيين عميد أجنبى (....).

لقد تقدم للامتحان بالكلية (قسم الآداب) ٥٩ طالباً منهم ثلاث طالبات، و ١٨ طالباً من حملة تهييضية العلوم، وللالتحاق بالقسم الإعدادى للحقوق ٥٤ طالباً منهم طالبة واحدة، وقد تم الكشف الطبى على المذكور منهم فى هذا الأسبوع، وأما بالنسبة للإناث فسيكون ذلك فى الأسبوع القادم بواسطة طبيبة تتدبها الإدارة.

لقد أوقفت لجنة البعثات البت فى أمر بعثة كلية الآداب وطلبت إلى الجامعة بيان الطلبة الذين يدرسون بالخارج والعلوم التى هم متخصصون بها، وعدد من يدرسون بالكلية من المصريين وبيان مؤهلاتهم وما ينتظر أن تحتاج الكلية إليهم فى المستقبل من المدرسين المصريين، وقدمت إلى الإدارة مذكرة بينت فيها وجهة نظر الكلية وضرورة الموافقة على إرسال من رشحهم الكلية لبعثتها (....).

خالص احترامى

المخلص

عبد الحميد العبادى

البدار . البدار

ولمى الوقت الذى كانت تعاني فيه الجامعة من صعوبات توفير أعضاء فى هيئة التدريس، كانت بعض المناصب ذات الرواتب الوفيرة تجذب أو تكاد بعض الأساتذة الموجودين بالفعل بكلية الآداب، ويعرض د. العبادى فى رسالة طريفة لهذه المشكلة التى أغضبت طه حسين، ويظمنسه أنه لا يزال صاعداً، فيكتب إلى طه حسين من الإسكندرية فى ١١ سبتمبر ١٩٣٠، فيقول:

صديقي الفضال

ليت عزاما لم يفض إليك بشئ مما هو جار، وليته إذ فعل كان أفضى إليك بكل الأمر حتى لا يتجزأ غضبك بل يقع دفعة واحدة ثم يعقبه سكون الرضا بما هو كائن أو ما لابد أن يكون.

إن كلية الحقوق بعد أن صرفت النظر عن أحمد أمين أو بعد أن صرف هو النظر عنها عادت تنو إليهم، وعاد يرنو إليها، تلوح له بالدرجة الثالثة ومن ورائها الثانية فيميل إليها كل الميل، والدرجة الثالثة ومن ورائها الثانية مرجح لعمرك يرجح كل شئ ولو كان حلم السيد أحمد أمين. أما العبد الفقيه كاتب هذه السطور فقد عرضوا عليه منصباً إدارياً مربوطه الدرجة الثالثة، غير أن صاحبه لا يياس من الثانية. إحم! فكاد يستخف له ويتزلزل يقينه.

حفا إنها لفتنة يا طه لمن كان أبا لأولاد يوشكون أن يكونوا حسة، ثم هم لا تشيع لهم بطن ولا تنقض لهم حاجة، هذا إلى أنه ليس من بين القائمين بأمر الجامعة من يصلح أن يكون عضواً بجمعية رعاية الأطفال.

وذكرت حفظك الله وأنت غضبان آسف، الكلية، والصدافة، وخدمة العلم. أما الكلية فلها رب يحميها كما حتى الكعبة من قبل. وأما الصدافة فباقية ونامية بإذن الله. وأما خدمة العلم فإها ولكن ألا يمكن خدمة العلم خارج الكلية، أظن ذلك غير مستحيل على الله. أعود فأقول ليت عزاما أفضى إليك بكل الحقيقة، ولكنه سامحه الله أفضى إليك ببعضها، بحسبها إن أردت الدقة في التعبير. ذلك بأنه هو نفسه مرشح لمنصب (ملحق أدبي) بالمفوضية المصرية ببلاد العجم. وهو فرح بهذا المنصب لأنه سيعينه على التصلح من الآداب الفارسية، وليقال عنه في المستقبل (عزام الأعجم) كما قيل زياد الأعجم، وليقال أيضاً عنه (إنه سابق المصريين إلى الأدب الفارسي) كما قيل عن سلمان (إنه سابق العجم إلى الإسلام). ثم إن أخانا الشيخ أمين الخولي قد عرف الأزهر له استقراره في ثيابه الشرقية الأزهرية، وهاهو يعرض عليه سكرتارية المشيخة الجليلة.

وزميلنا السيد إبراهيم مصطفى قد وقع اختيار الأزهر عليه لقراءة سيوييه، به، لأن الأهريني علموا أنه سيد من يقرأ سيوييه في هذا الأوان، على أنهم شرطوا عليه أن يعود إلى سابق ملبسه وإلا صرفوه. وها هو يجتهد في استيفاء هذا الشرط. فياسيدي طه البدار! البدار! قبل أن يصيب قسم اللغة العربية الاستعجام. قد أعتز من أنتز، والسلام.

المخلص

عبد الحميد

تسرب الامتحانات

ويبدو أن مشكلة تسرب الامتحانات مشكلة قديمة، ففي رسالة العبادي إلى "سيدى العميد" من القاهرة في ١٩ يونيو ١٩٣١م يقول بعد أن يتحدث عن مشاكل الجامعة والكلية مما سبق تناوله:

أما عن غيرهما فلاشك في أنك قد سمعت بفضيحة الامتحانات العامة. فقد تسربت إلى الطلبة أسئلة الشهادة الثانوية بقرتها وكذلك بعض أسئلة الابتدائية وقد ألغت الوزارة امتحان الشهادة الثانوية واستعيده في يولييه القادم.

وأخيراً يسرك أن تعلم أن علاقتي بالأخ أحمد أمين قد عادت إلى ما كانت عليه من الصفاء، والفضل في ذلك يرجع إليك ثم إليه.

وفي خطابه يوم الجمعة ٩ يوليو ١٩٣١، يتحدث العبادي إلى طه حسين عن استخذاء الإدارة وتدخّل المالية في استقلال الجامعة، فيقول: "أما سفري وسفر الأستاذ سامي (جبرة) فمما لم توافق عليه المالية، وذلك راجع كما قيل إلى أن الإدارة لم تشجع المالية على الموافقة على سفر سامي. كما أنها من ناحية أخرى لم تعرض طلب انتدائي بما يفهم المالية وجه الغرض منه، وعلى ذلك فليست أدري ما يؤول إليه الأمر، أسفر أم إقامة. وعلى كل حال فهذا التصرف من الإدارة استخذاء منها للمالية وإهدار لاستقلال الجامعة الإداري، ولو كنت عضواً بمجلس الجامعة لاحتججت على هذا التصرف احتجاجاً شديداً".

المرشحون للتدريس العراق

ويتعرض د. عبد الحميد العبادي إلى ما أحدثته الوزارة الجديدة بالمجازاة الوزارة السابقة، في رسالته المؤرخة بأغسطس ١٩٣١، فيقول:

قد يهملك أن تعلم شيئاً عن بعض ماجد في البلد.. فاعلم أن النظام القديم لمعهد التمثيل قد أُلغى وأن المعهد استحال إلى قاعة محاضرات عامة في التمثيل يحضرها من يشاء، والناس في ذلك بين حامد وناقم، فالصحف الوزارية تسيح بحمد الوزير وتهنئ للشيخ أبو العيون، وصحف المعارضة تعندى بذلك على وزارة المعارف وتعدّه رجوعاً منها إلى الوراء في

أمر كان يجب عليها المضى فيه.

وقد نشرت صحف الصباح في هذا اليوم أن وزير المعارف يرى وجوب الفصل بين البنين والبنات في جميع معاهد التعليم حتى الجامعة وأنه كلم في ذلك لطفى بك*.

* * *

وتقفز السنوات منذ إبعاد صدقي باشا لطفه حسين عن الجامعة لرفضه الكتابة في صحيفة حزب الديكتاتور ، لتصل إلى سنة ١٩٣٦ بعد عودة طه حسين، حيث يكتب العبادي في السادس من أغسطس من نفس السنة حول بعض أمور الجامعة كعادته، فيقول:

سيدى الأستاذ العميد

تحية وسلاما إليك وإلى أهل بيتك الكريم، وبعد.. فقد وصلنى خطابك الذى تظهر فيه موافقتك على اقتراح معالى الوزير، ولكنى أخبرك أن هذا الاقتراح لم يرق الراسين من طلبة الجامعة فسعوا لدى الحكومة ورجال البرلمان فى أن تكون النسبة المثوية المنجحة ٥٠٪ بدلا من ٦٠٪ وأن يسرى ذلك على دورى امتحان هذا العام، وقد وفقوا فى سعيهم، وصدر مرسوم بذلك عرض على مجلس النواب، فوافق عليه بإجماع الأصوات، وهو الآن فى مجلس الشيوخ ولا يمضى يوم أو يومان حتى يصبح قانونا واجب التنفيذ.

أما المرشحون لوظائف التدريس بالعراق من خريجي الكلية فقد تجاوز عددهم الأربعين وقد أرسلت أوراقهم إلى وزارة المعارف حسب طلب الوزارة الرسمى وموافقة المفوضية العراقية على أن تكون الوزارة هى المتولبة لهذه المسألة...".



من أمين الخولى الى طه : لن يختلسونى !

من الذى يعلم أن^(١) الشيخ أمين الخولى خريج مدرسة القضاء الشرعى، والذى لم يتخسل أبداً عن النزى الرسمى لرجال الدين، كان مؤلفاً مسرحياً لفرقة أولاد عكاشة ، فألف عدداً من المسرحيات من أشهرها مسرحية^(٢) "الراهب المتكبر" ، التى عرضت فى مسرح الأزبكية وقدمت على خشبة الأوبرا بغير اسم مؤلفها، فقد اختار الشيخ لنفسه اسم "كاتب متكبر" لأنه لم يكن فى استطاعة شيخ من قضاة الشرع أن يكتب للمسرح أو يكتب اسمه فى إعلانات مسرحية".

وهذا الشيخ المعمم "أصبح إماماً للمفوضية المصرية بروما، وإماماً للسفارة المصرية فى برلين، وتعلم الإيطالية والألمانية وكان ذلك بين عامى ١٩٢٣ ، و ١٩٢٧ عندما عاد إلى مصر مدرساً فى مدرسة القضاء الشرعى، حتى عين مدرساً بكلية الآداب فى جامعة القاهرة فى ٣ نوفمبر ١٩٢٨ بعد أن أغلقت مدرسة القضاء الشرعى أبوابها".

"ثم كان العمل العظيم الذى قام به الشيخ فى حياتنا المعاصرة ولخص فكرته فى: مناهج التجديد.. وظل طوال حياته يدعو إلى تأصيل هذه المناهج فى دروسه الجامعية ودراساته" وهناك قضية أهم وأخطر.. وكان للشيخ فيها رأى.. وهى قضية تجديد الإسلام، وكان آخر كتبه هو كتاب "المجددون فى الإسلام".

و"الشيخ هو صاحب منهج تجديد الدراسة القرآنية على أساس علمى عصرى" وهو صاحب منهج تجديد البلاغة والنحو" وكانت جماعة الأمانى التى أنشأها الشيخ أمين الخولى فى عام ١٩٤٤ برئاسته وعضوية أبنائه وتلاميذه من طلبة كلية الآداب قسم اللغة العربية قد لعبت دوراً مؤثراً فى الأربعينات، والخمسينات والستينات، كما يقول الأديب فاروق خورشيد^(٣) "لا يشك أحد أن مجلة الأدب التى صدرت فى إبريل عام ١٩٥٦ عن جماعة الأمانى" قامت بفتح آفاق النشر أمام أجيال جديدة بالفعل من الأديباء الشبان أو الصاعدين" ، "ولعل هذا الاتجاه كان يكمل اتجاه أمين الخولى إلى تأصيل فكرة تواصل الأجيال من ناحية، وفكرة فتح الأبواب أمام كل المواهب من ناحية أخرى، لقد أوجد الخولى مدرسة بتلاميذه، حملت المجلة أفكارها وكان الشيخ أمين الخولى بأفعاله وأقواله نموذجاً لرجل الدين المستنير.

(١) مواليد أول مايو ١٨٩٥ بقرية شوشى بمحافظة المنوفية.

(٢) الجليلد ١٥/٣/١٩٨٠ عن مقال لتلميذه عبد التعم شمس.

(٣) المصور ٣٠/١٢/١٩٨٣.

وفي الجامعة حيث عمل الخولي مع طه حسين يقول^(٣) "كنا نفهم أن البيئة الجامعية هي بيئة
الدرس المتكرر الموصول بالحياة وصلا إيجابيا، فكنا نعمل على تحقيق ذلك ، وعلى إرساء فكرة
الدرس الحر المتجدد في نفوس طلابنا".
وفي رسالة الخولي إلى طه حسين يبيد شكوكه حول الأخبار التي وصلتته حول اعتزام تركه
التدريس في الجامعة. فيقول:

تحريرا في ١٩٣١/١/١٠ مصيف ساحل البرلس

إلى الصديق النبيل

تحية وتمنيات طيبة. وصلتني رسالتك العذبة ، فكانت نفحة من جو فرنسا لطفت بجوى
الغار الجاف في جميع مناحيه ، وصلتني حين أنهيا للكتابة إليك بعدما حرمت من رؤيتك في
المنزل في اليوم الذي تواعدنا عليه . لكن كادت مشاغلي تحول حتى بينى وبين أيام علي
الشاطي لولا مغالبة شديدة طويلة، لقد حال سفرى مع مرض ابني الكبير دون مسارعتي
بالرد. وزاد ذلك نسياني العنوان في مصر ، فمعلومة عن هذا التأخر كله، ولي في جميل
تلفظكم وكرم خلقكم ما يشفع لي ويقدر حالتي.

ذكرت ايها الصديق النبيل أمر اختلاسهم لي من الجامعة - كما سميت - وتركت لي
الرأى في ذلك، وأنا في هذا أجرى علي ضرب من الإيمان أو الفلسفة أو الغرب من
المسئولية أو كما تسميه فلا أقدر ولا أحكم ، وكذلك لزمته مذهبي في هذه المسألة
العرضية فلم أعد أعرها اهتماما ولم أجد فيها ما يستحق إخبارك فلم أفعل، وإنما كان كلام
من هنا وهناك ورد فيه ذكرها، ولا أزال أرى ألا أعيرها عناية ما، وقد أحسنت كل
الإحسان إذا لم تقف عندها ولم تكثرت بها.

وذكرت المحاضرة وأنت من أجلها تفكر فيّ ، فانا سعيد أتم السعادة بهذا التفكير ،
ظافر بأكثر مما يستحق عملي من جزاء، وأن في لسدة الدرس والبحث كما تعرف - لسدة
وسعادة كانت تكفي جزاء بل تربى، ولكنك بما عودتنا من نبل وكرم خلق تأتي إلا أن تجزيما
أو في الجزاء بل تزيد. أتمنى أن تكون والأسرة الكريمة على أتم ما يكون من صحة وطمأنينة
بال حتى تنال حظك من الرياضة وتنهض به من عمل عظيم في تلك الأجازة، وإنى أرسل
إليك وإلى الأسرة أطيب تحية وأصدق سلام من صديق مخلص.

أمين الخولي

(٣) الإذاعة والتلفزيون ١٤/٤/١٩٧٩.

عبد الوهاب عزام خادم الإسلام

د. عبد الوهاب عزام الذى خدم العروبة والإسلام مفكرا وأديبا وأستاذا جامعيا ودبلوماسيا ومترجما ، قدم إلى العربية شاعر الإسلام محمد إقبال وقيل إنه أول من حمل إلى الناس كافة وإلى المسلمين خاصة في هذا العصر رسالة الأمل والقوة الروحية والحياة، ومن الآثار التى تركها عزام "النفحات والشوارد" "محمد إقبال حياته وشعره" ، "مهد العرب" ، "رحلات" ، "التصوف" ، وترجم الكثير من الشعر الفارسي والتركي، وعمل مراقبا عاما لجمعيات الشبان المسلمين حتى وفاته، وكان عضوا بمجامع سوريا والعراق وإيران ، فضلا عن عضويته لجمع اللغة العربية، ولن نجد أفضل من طه حسين ليحدثنا عن عبد الوهاب عزام صاحب الحياة العريضة القصيرة، منذ ولده في أول أغسطس ١٨٩٥ بقرية الشويك محافظة الجيزة، ووفاته ١٩٥٩ ، وقد نعاه طه حسين في مجمع اللغة العربية فقال عنه^(١).

عرفته حين كان طالبا في مدرسة القضاء وكان يختلف إلى دروسى في الجامعة المصرية القديمة، وأشهد لقد كان أنجب الذين كانوا يختلفون إليها. كان من تلاميذ هذه المدرسة التى تعلم فيها المعمون من طلاب الأزهر إذ ذاك، كان يحسن لغتين أجنبيتين، ولست أنسى عجبى حين أردت أن أقرأ مع تلاميذى في الجامعة كتابا من كتب أرسطاطاليس في النظام السياسى لمدينة أثينا، ولم يكن هذا الكتاب قد ترجم إلى العربية ، وأردت أن يقرأ أحد التلاميذ فتقدم عبد الوهاب يقرأ لى وأفسر أنا له ولزملائه. ومرة أخرى أردت أن أقرأ معهم مسرحية من مسرحيات أرسطوفان بالفرنسية فكان عبد الوهاب الذى يتقدم للقراءة دائما.

ثم انفقنا، ذهب إلى لندن فى المفوضية المصرية هناك ، وفى أثناء ذلك اختلف إلى دروس الجامعة البريطانية - جامعة لندن - وتخرج فيها بعد أن تخرج فى مدرسة القضاء وبعد أن سمع الدروس، وإذا لم تخنى الذاكرة فقد ظفر بالليسانس من كلية الآداب القديمة من الجامعة المصرية الحرة.

ثم استدعيناه إلى كلية الآداب فى الجامعة المصرية الحكومية فرأيناه وقد كان تلميذا لى يصبح زميلا لى فى كلية الآداب، بدأ مدرسا فى الكلية وما أسرع ما رقى إلى أستاذ مساعد ثم إلى أستاذ ثم أصبح عميدا لهذه الكلية، ثم انفقنا مرة أخرى حين اختطفه السلوك السياسى من بيننا فمضى

(١) جلسة المجمع ١٩٥٩/٣/٢٥.

هو يطوف في أقطار الأرض كما يقول المسعودي:

تيمم أقطار البلاد فتارة لدى شرقها الأقصى وطورا إلى الغرب

فكان في البلاد العربية وفي الهند وفي باكستان. كنا نلتقى من حين إلى حين في الجمع اللغوي حين يتاح له الإمام بمصر. واعترف بأنني لم أعرف أحدا كان أعف روحا ولا أسمح نفسا ولا أسجح خلقا ولا أرجح حلما من عبد الوهاب عزام. كان حديثه ظرفا كله حين يمزح وحين يجده، وكان إلى هذا كله صاحب نزعة عربية حرة، سمحة مع ذلك، لا تعصب فيها ولا إلحاح. كان مؤمنا بأن وطنه هو أرض العرب كلها، لم يكن يؤمن بأنه مصري فحسب، وإنما كان في كل البلاد العربية مواطنا، كان يرى نفسه مواطنا عربيا ينزل في قومه حيث حل من هذه البلاد، ثم اقتضت به الأسباب السفر، فسافر إلى الهند وباكستان وألم بإيران وزار تركيا. وتظهر فيه نزعة أخرى فهو مسلم مخلص في إسلامه، سمح مع ذلك فيه، وهو مؤمن بأن كل دار الإسلام وطن له كما كانت الحال في العصور الإسلامية الأولى. وكذلك كان عبد الوهاب مسافرا قبل أن تشغله ظروف السياسة، وكان كثير الأسفار إلى البلاد العربية وإلى إيران وإلى تركيا، وكان يشهد بعض المؤتمرات العلمية - مؤتمرات المستشرقين بنوع خاص - وتشرفت بأن يكون زميلا لي حين شهدنا مع صديق لنا رحمه الله، أحمد أمين.. شهدنا جميعا مؤتمر المستشرقين في مدينة بروكسل في بلجيكا. وأشهد الله فقد كان الوهاب مؤنسا في تلك الأيام بدعاباته الحلوة، وإن أنس فلن أنس مداعبته لأستاذه وزميله أحمد أمين حين ذهب أحمد أمين إلى الحلاق في بروكسل ليصلح له من شعر رأسه وكان أحمد أمين يتكلم الإنجليزية ولا يتكلم الفرنسية، فجعل الحلاق يعث في شعره وكلمنا ألقى عليه سؤالا أجاب عليه "Yes"، حتى إذا فرغ الحلاق نظر أحمد أمين في مرآته فلم ير في رأسه شيئا وإنما كان الحلاق قد أتى على ما كان في رأسه من شعر، وتندر عبد الوهاب بهذا في أبيات لا أذكر منها مع الأسف إلا هذا البيت الذي لا يستقيم عربية لأنه لم يكن يريد أن ينظم شعرا عربيا:

ونظر الأستاذ في المرايه فلم يجد في رأسه شعرايه

وكانت حياة عبد الوهاب عزام بين أصدقائه فكاهة متصلة ودعابة حلوة، كان هو الذي يؤنس جلساته، سواء زارهم أو زاروه، كان حلو الروح عذب الحديث مشرق اللفظ محببا إلى النفس لا يستطيع الإنسان أن يفر من هذه الجاذبية التي كان يمتاز بها.

وهو قبل كل شيء كان يمتاز بين زملائه جميعا في الجامعة لعنايته الشديدة جدا باللغات الشرقية. كان أستاذا للغة الفارسية في كلية الآداب وهو أول أستاذ مصري علم هذه اللغة لا في كلية الآداب فحسب بل في مصر في هذا العصر الحديث. وكان متقنا للتركية ثم لم يلبث أن تعلم الأوردية، كان حريصا أشد الحرص على أن يحسن اللغات الشرقية الإسلامية ولم يكن علمه بهذه

اللغات علم رجل ذى أثر، يخص نفسه بالعلم ولا يفيض منه على المصريين والعرب شيئا، وإنما كان رجلا ذا إثار يتعلم لنفسه من جهة ويتعلم قبل كل شيء لينفع قومه من جهة أخرى، وما رأيت في يوم من الأيام الا مشتغلا بترجمة كتاب من كتب الأدب الفارسية أو التركية أو الأردية .

وبفضل عبد الوهاب عزام، استقر تدريس اللغة الفارسية والتركية في جامعة القاهرة وانتقل منها إلى جامعات أخرى ومعاهد أخرى للتعليم. وبفضل عبد الوهاب عزام أخذنا نعرف أدب الفرس ونعرف من آثارهم وأمورهم شيئا غير قليل.

ويكفي أن أقول أن عبد الوهاب عزام هو الذى أحيا "الشاهنامة" وكانت الشاهنامة قد ترجمت في أيام المصاليك أو في أواخر أيام الأيوبيين إلى اللغة العربية ثم أهملت ونامت في المكتبات، ولم يذكرها أحد ولم يعرف عنها شيئا حتى تنبه عبد الوهاب عزام فأحيها وأتم ما نقص منها وأعاد النظر في الترجمة القديمة فصحيحها وجعلها ملائمة حقا للأصل الفارسي وتقدم بهذا الكتاب "شاهنامة" وبدراسة عنه ليظفر بدرجة الدكتوراه من كلية الآداب في جامعة القاهرة.

ثم مضى في ترجمة الآداب التركية والفارسية والأردية. والأمة العربية مدينة لعبد الوهاب عزام أولا: بإحياء الشاهنامة، وثانيا: بأنه نشر في اللغة العربية شعر إقبال سواء منه ما نظم في اللغة الفارسية وما نظم في اللغة الأردية.

والأمة العربية مدينة له قبل هذا كله وفوق هذا كله بأنه وهب للأمة العربية تلاميذ نجباء يعلمون الفارسية في جامعاتنا الآن ويمضون على سنته في تعريب الأدب الفارسي ووصل الأسباب بين المسلمين من العرب والمسلمين من غير العرب. ولست أريد أن أسمي أحدا من هؤلاء التلاميذ ولكنكم ستسمعون الآن لتلميذ من تلاميذه هو الأستاذ الدكتور يحيى الحشاش وهو خليفته على كرسي الأدب الفارسي في كلية الآداب.

ولم يكن عبد الوهاب عزام يشغل نفسه بما يشغل المسافرون به أنفسهم، ولكنه دائما مفكر، وكان دائما باحثا، كان دائما مفكرا فيما ينفعه وينفع به أمته. يذهب إلى البلاد العربية السعودية فيحاول أن يعرف موقع عكاظ ويقف عند دار خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ويذكر لنا أشياء كثيرة فلما كان الناس يذكرونها في هذه الأيام عن البلاد العربية. ويذهب إلى الهند وإلى باكستان فيفرغ لترجمة إقبال ويترجم له طائفة صالحة من دواوينه.

وكان أغلب شيء على عبد الوهاب عزام في حياته كلها منذ عرف اللغة الفارسية دراسته للمتصوفة وشعرهم وعلومهم، ولم يستطع أن يخلص من هذه الدراسة فقد غلب عليه التصوف وأصبح هو نفسه صوفيا إلى حد ما، كان يعيش الناس وكأنه واحد منهم ولكنه كان نجيا فيما بينه وبين نفسه حياة خاصة جدا لا يعرفها إلا الله وحده لأن هذه الحياة الخاصة كانت موقوفة على

معرفة الله، موقوفة على التفكير في الله، موقوفة على الاتصال بالله . ولا يكاد كتاب من كتب عبد الوهاب يخلو من هذه النفعات الصوفية، وهو إذ يترجم لإقبال إنما هو يترجم لصوفي مثله. ولم تكن صوفية إقبال صوفية انقطاع عن الناس والدنيا وإنما كانت صوفية إصلاحية يريد بها أن يصلح من حال المسلمين جميعا.

فهمون أن عبد الوهاب عزام مع أن حياته لم تطل كما نرجو أن تطول ، قد أتاحت له حياة عريضة كأعرض ما تكون الحياة ولكنها لم تكن كحياة ابن سينا تلك التي كان يؤثرها على الحياة الطويلة فقد كان ابن سينا يقول أنه يؤثر الحياة العريضة على الحياة الطويلة، ذلكم أن حياة ابن سينا كانت عريضة لنفسه وجسمه فهو قد ملأ الدنيا فلسفة ولكنه قد أخذ نصيبه من الدنيا ونعيمها ، وعسى أن يكون هذا هو من الأسباب التي قصرت حياته. أما عبد الوهاب عزام فقد كانت حياة عقله وحدها هي العريضة، كانت عريضة ياتناجه الذي لم يهدأ في يوم من أيامه منذ فرغ من طلب العلم - وأريد منذ فرغ من طلب العلم على ذلك النحو النظامي المؤلف في المعاهد والجامعات، فقد عاش طالبا للعلم ومات وهو يطلب العلم.

ولقد رأيت آخر مرة معنا في الجمع اللغوي يجادل عن اللغة العربية ويجادل في إصلاح الكتابة العربية ويحاول ما استطاع أن يتم هذا الإصلاح دون أن يحس هذه الكتابة العربية التي بلتها العصور. كان ذلك يوم الخميس ثم سافر إلى الحجاز وبعد ذلك بيومين إلى نجد ثم لم يمكث إلا أياما قليلة حتى عاد إلى وطنه، ولكنه عاد إلى وطنه جسما بلا روح، أما روحه فليس لها وطن في هذه الدنيا وإنما وطنها هو ذلك الوطن الذي عاشت له وعاشت به ، ولم تفكر حين كانت تخطو إلى نفسها إلا فيه وهو هذا الوطن الروحي القدسي الذي لا يتاح إلا للأخيار الذين سبق قضاء ربهم برضائه عنهم أبدا.

برحم الله عبد الوهاب عزام ويعزى فيه أهله ويعزى فيه زملاءه ويعزى فيه الأمة العربية كلها، وما أراني مبالغا حين أقنتى على الله أن يعزى عنه الأمة الإسلامية كلها فقد كان عبد الوهاب عزام فوق هذا كله خادما مخلصا للإسلام في حياته كلها.

سررتي أن خسرتُ الصدق

وفي رسالة لعبد الوهاب عزام إلى طه حسين يعلق فيها على ما أسماه العميد مكرة العام الماضي، والتي تدور حول إخبار عزام للعميد بنية أحمد أمين ، وأمين الخولي، التخلي عن التدريس بكلية الآداب لإغراءات مادية أمامهما، ولكنهما كذبا هذه الأنباء التي أقلقست طه حسين عميد

الآداب، بينما الذي ترك التدريس هو عزام نفسه، بعد أن أغراه السفر للعمل الدبلوماسي ، يقول
عزام:

سيدي الأستاذ الجليل

أقدم لك وللسيدة والتجلىين أخلص تحية، وأدعو لكم بكل عافية وسعادة
جاء الكتاب الكريم وأنا في غمرات من فهرس الشاهنامه ومقدمتها وبما ورطت نفسي
به من العمل في كتب الأمير إبراهيم حلمي، ومن حر الصيف، فكان كتاب سيدي روحا
خففت بعض الآلام ، وجلا بعض الغمرات فأنشدن مع مهباز:

أذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نوحا

ولسيدي الشكر العظيم على هذه الذكرى

وبعد فإن ما سيموه مكرة العام الماضي كانت صدقا ولكني حدث الله على أن انقلب
الأستاذان عما عزموا عليه، فانقلب الصدق كذبا، وقد سرتني أن خسرت الصدق وربحت
الأستاذين الصديقين. وفي كلية الآداب هذا العام أختار وأختار "وما معنا أن نرسل بالآيات
إلا أن كذب بها الأولون" وستعلم حين تقدم أني لو أردت لأرسلت.

ضاق علينا زمن الأجازة ولا أزال ناصبا ، وأقصى ما أرجوه أن أظفر بأسبوعين قبل بدء
الدراسة ، فادع الله أن يظفرني بهما.

ثم أختتم بتكرار التحية والتسليم وتقديم أوفر الشكر

١٣ أغسطس ١٩٣١

المخلص

عبد الوهاب عزام

حسزن وحنين

وفي رسالة تنقصها السنة التي كتبت فيها يستعيد عبد الوهاب عزام حنينه وذكرياته مع طه
حسين ، بعد أن فارقه إلى عمله الدبلوماسي في الخارج ليقول:

أستاذنا الدكتور الكريم

السلام عليكم وكل عام وأنتم بخير

ولعلكم كما أرجو عافية وسروراً.

وبعد.. فقد سمعت صوت أستاذنا يتحدث عن الأدب العربي وما يأخذه المحدثون عليه،

فعادت بي الذكرى إلى سنوات هي أحسن ما في العمر ، وأحبته.. وأوغسل فكري في ذكر
كثيرة لسنوات طويلة، منذ جلست إليك لأستمع تاريخ اليونان، وأقرأ عليك كتاب تسيديد
إلى أن تركنا الجامعة أو افترقنا في الجامعة.

ويعلم الله أني لأشاق إلى مجلسك وحديثك حيثما كنت من الجزيرة العربية أو أرجاء
الهند.

وقد منعتني من الكتابة إليك بعد تجشمك المشقة للتكلم في احتفال أهل الجزيرة أن
نفسى من هذه الذكريات ، وأخذها من الحين ومن الحزن ما جعلها تهاب الكتابة وتشفق من
إسائك القلم لتخط إلى الأستاذ بعض ما جال في خاطري ، بل صعد من زفرائي وسأل من
مأقبي.

إن عز شئ في هذه الدنيا ذكرى خلآن اجتمعوا على طلب العلم فجمعهم الحب حينما
ثم افترقوا ، ولست أدري أهذه الذكرى أعظم لذة في الحياة أم أشد ألم.
لقد قلت مرة إن عيب الدكتور طه في معاملته إخوانه أنه لا يرضن عليهم بما يستحقون
وما لا يستحقون ، وأنه يسرف في رعايتهم، ويستحل المحاباة بهم.
اعترف بهذا من اعترف وججده.

وكذلك صدقت كلمتي يوم احتفال الجزيرة. ويشهد الله لقد عزمت على أن أزورك
بعدها، فلما فاتتني الزيارة عزمت على الكتابة فما نسيت وما تهاونت ، ولكن لم أجرؤ على
الكتابة قبل هذه الساعة. وفا. أقدمت عليها وفي النفس حنين وفي العين دموع. ثم ختمتها
عجزاً عن المضي فيها. وحسبي هذا العجز شكراً وثناء.

والسلام على أستاذنا الكريم ورحمة الله

المخلص

عبد الوهاب عزام

كراچي ١٩ رمضان

٢٣ مايو

الإسلام وأصول الحكم يبين على عبد الرازق وطه حسين

يعرف^(١) الشيخ على عبد الرازق بكتابه القنبلة "الإسلام وأصول الحكم.. بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام" والذي حطم به آمال الملك فؤاد في تنصيب نفسه خليفة للمسلمين بعد إلغاء خلافة أتاتورك. حيث قرر على عبد الرازق أن الإسلام دين فقط وليس نظاما للحكم، وأن الخلافة لا أصل لها في الدين ، وبإبعاد من الملك تم اضطهاده وإخراجه من زمرة العلماء، وإخراجه من وظيفته كقاضى فى محكمة المنصورة ، وبعد فصله حصل على الدكتوراه" فى الاقتصاد من جامعة أكسفورد، وبعد وفاة الملك فؤاد بدأ يعود إلى الحياة العامة وتولى وزارة الأوقاف.

وقد ارتبط طه حسين بأل عبد الرازق وكان دائم التردد على دارهم بل والإقامة فيها، وهم الذين ساعدوه كثيرا فى بعض المحن والأزمات المادية التى واجهها. ولم يتردد طه حسين فى الوقوف إلى جانب الشيخ على عبد الرازق فى محنته وراح يكتب "إيه أيها الطريد من الأزهر تعال نتحدث ضاحكين عن هذه القصة المضحكة.. يجب أن نحمد الله على السلامة.. فلو أننا فى تلك العصور التى يحكم فيها الأحرار والكههان لحرقت مع كتابك".

وقد كان طه حسين على موعد مع محنة شبيهة عندما أخرج كتابه "فى الشعر الجاهلى" ، ولم يعبأ "برأس الذئب الطائر" ، مما جعل البعض يظن أن طه حسين نفسه هو مؤلف "كتاب الإسلام وأصول الحكم".

والعلاقة بين طه وعلى عبد الرازق قديمة كما يقول^(٢) "عرفت الأستاذ على عبد الرازق منذ أيام الطلب فى الأزهر، ولم تقتصر علاقتى به وحده فقد شملت الأسرة كلها، وكانت لنا جلسات ممتعة فى بيت آل عبد الرازق فى عابدين ، وأذكر أنى رئيسة والدة على عبد الرازق وكذلك والده وكان هذا الرثاء شعرا ونشر ذلك فى "الجريدة" "إن صلتى على عبد السرازق كانت وثيقة جدا، وأذكر أن عليا وهو طالب فى الأزهر قد استأجر حجرة قوب الأزهر ليستريح فيها بين الدروس ، نظرا لبعده منزل الأسرة عن الأزهر، وكان يصبر على أن أذهب معه إلى هذه الحجرة

(٢) مواليد ١٩٠٨ بقوية أبو جرح بمحافظة المنيا.

(١) طه حسين يتحدث عن أعلام عصره - د. محمد الدسوقي.

طوال فترة بقائه فيها، وكنا نقضى الوقت في مذاكرة بعض العلوم وقراءة كتب الأدب" وبعد صدور الحكم على الشيخ على عبد الرازق "كُتبت مقالين في "السياسة" عن هذا الموضوع، وهاجمت شيوخ الأزهر لتجريدهم الشيخ على عبد الرازق من درجة العالمية وإبعاده من القضاء الشرعي، وخاصمت بعض هؤلاء مع اعترافي بفضلهم على مثل الشيخ سيد المرصفي، بسبب اشتراكه في محاكمة الشيخ على" "والواقع أن الملك كان وراء محاكمة الشيخ على، كما كان من وراء ما أثير حول كتاب "الشعر الجاهلي"، وأذكر أن المرحوم عبد العزيز فهمي كان وزيرا للمعدل حين صدر الحكم ضد الشيخ على فاستقال احتجاجا على هذا التصرف^(**)، على أني قرأت أصول كتاب الشيخ على قبل طبعه ثلاث مرات، وعدلت فيه كثيرا^(***).

وسوف تدلنا الرسالة التي كتبها الشيخ على عبد الرازق إلى طه حسين على عمق الصداقة بينهما، وطرافة الجدل بينهما حول قضية: من أولى بالاهتمام: السياسة أم العلم؟

ملوك الشاي

يقول الشيخ على عبد الرازق في رسالته:

عزيزي طه

أحبك وأحبي زوجتك العزيزة وأجالك وأبلغكم جميعا تحية عائلتي وأرجو أن تجدوا في مصيفكم من الراحة والمتاع ما يزيدكم عافية وصحة وسعادة، ولعل أختانا مصطفي، وأصل إليكم قريبا، فقد أنبأني أنه اعتزم أن يبحر من مصر يوم ١٧ الجاري وأظن أنه ذاهب مباشرة إلى "لندن" عن طريق باريس، أما أنا فمصيف بالإسكندرية مع زوجتي في منزل استأجرناه، وقد وجدنا والحمد لله مقنعا في هذا المصيف المتواضع وغنينا بمنظر البحر وهوائه وعميشتنا القاعة المهادنة فوق ربوة تشرف على البحر من قريب، وترينا حركة السيارات وتسمعنا صوت الأمواج، ونجد عندهما سكنا ودعة واغنيانا، وهنينا لقوم آخرين المصايف الأخرى. وجميع العائلة تقريبا في أبو جرج. وكلنا بخير والحمد لله.

لقد سرنى كثيرا أنتى خطرت ببالك، وسرنى أكثر أنك كتبت إلي وأعجبتني هزلتك وجدتك، ونصحك ولومك، وخطاك وصوابك، وكل ما كتبت، فشكرا لك وهات زدنا من

(**) وانهار الائتلاف الحكومي وقتها.

(***) ربما هذا ما حدا بالبعض إلى الاعتقاد بأن مؤلف الكتاب هو طه حسين.

هذه الأحاديث، على أن شكرى إياك وإعجابى بك، وسرورى من أنك تفضلت فذكرتسى ، وكتبت إلى، لا تمنعنى من مخالفتك على بعض ما قلت خطابك، لا أبالى ضاق صدرك بهذا الخلاف أم اتسع، فقد أخذ الله علينا نحن الزعماء ألا نفر الناس إلا على الحق. ونحن نعلم أنكم يا رجال النبوغ العبقري أخرج الناس صدراً بمن يخالفكم أو ينقدكم، واليههم أذنا لسماع المديح والتعليق ، ولكن الذى بنى على هذه الصفة نفوسكم، بنى نفوسنا على حسب الخلاف والجدل واستكراه الملق والمديح، فأقام بذلك أسباب التفاوت كبراً بين الزعامة الحقيقية والنبوغ الحقيقى حتى لا ينبغ زعيم ولا يتزعم نابغ ، ولا يتعارف نابغ وزعيم . ولولا أن الله حرق لك القاعدة وجعلك بين رجال العبقريّة شاذاً فجمع فيك بين النبوغ والزعامة ، لما كان للتعارف بيننا من سبيل، ولكن الزعامة دوحه تضمنا معاً، ثم يميزك بعد ذلك النبوغ المعبر، فإذا نحن مختلفان ، وإذا بعض الذى قلت فى خطابك الأخير يشير فى نفسى إنكاراً عليك وبغريها بالشغب والجدل. ولقد يكون من اللغو أن آخذ الآن فى مناقشتك بعد إذ تبينت فيك اجتماع العبقريّة النابغة والزعامة ، وأنت تضيق صدراً بالخلاف والنقد، وتلين أذنك لسماع المديح والتعليق، ثم يتسع صدرك فتحب الخلاف والجدل، وتكره الملق والمديح وأن الله ألف فيك بين الغريب والغريب، والتقيض والتقيض ، فأنت تخلص ملجداً، وتلتحد مخلصاً، وأنت تجد هزلاً وتهزل جدّاً، وأنت تطول أيامك فى باريس وتقصّر، وأنت عن أصدقائك راضٍ ساخطاً وساخط راضياً. وبعد فهل يكون إلا من تخليط النبوغ بالزعامة أن يجد المرء شيئاً من اللذة المرة فى أمر من الأمور.

ولقد نعرف نحن الزعماء فقط أن المرء يكون على نوع من التساهل للذي ، فأما اللذة فلا تعرفها إلا حلوة ولا نستطيعها إلا كذلك فإذا أمرت فأنحرف والعباد بالله فى الصحة وشئى فى الذوق، فأما أنتم أيها الزعماء النابغون فمذاهبكم فى الأمور غير مذاهبنا، وحكمكم عليها غير حكمنا، فعندكم البارد والحر، والمربع والمدرور، والسرور والحزين والبكاء الضاحك، ثم هل يكون إلا من تخليط النبوغ بالزعامة أن تريدنى على أن أفرغ وإياك "لهذا الجهاد العقلى الذى يخلو ويمر ويلد ويؤلم ، ولكنه يفيد الناس ويفيدنا نحن على كل حال" وأن أترك السياسة لأصحابها وأصرف نفسى عن هذا التجو من اللعب المصنى إلى شئ من الجد فى العلم والدين" إلخ. لو أريت أيضاً أن أجعل هذه الدعوة موضع جدل بيننا بعد الذى قلت لك من قبل فلعل ذلك كلام جمع الله فيه بين أسرار الزعامة وأسرار النبوغ مما لم نصل إليه ولم نهتد بعد إلى حكمته ومعناه، ولكن الذى يستطيع أن يفهمه أمثالى من فقراء النبوغ والعبقريّة هو أن مجال السياسة خير من مجال العلم وأجدى، وإلا فتلكن

السياسة والعلم على حد سواء. أما أن يكون هذا الجهاد العقلي الذي ذكرت خيرا من السياسة فشيء تقولون به أنتم نوابغ العلماء وحدكم - إلا فقولوا - لقد أخشى أن أكون من الملحدن في العلم بأشد من إحدك في السياسة ، وأن يكون إنكارى عمل العلماء أكثر من إنكارك عمل السياسيين.

سألت مرة بعض الإخوان: ماذا يعيب الكون لو أن الله أرسل في لحظة واحدة شيئا يدمر كل ما في المكاتب العامة والخاصة من كتب قديمة وحديثة مطبوعة ومخطوطة، فلم يترك كتابا ولا صحيفة؟ أفهل يرجع ذلك بالعالم إلى الوراء، وهل يغير من نظامه شيئا؟ والآن أوجه إليك هذا السؤال وأزيد فيه، لو أن الله جمع أولئك العلماء وأعنى فطاحلهم - وقطاحل العلماء عندكم هم المنقطعون للعلم لا يريدون غير العلم - فرفعهم إلى السماء في لحظة واحدة، أو خسف بهم الأرض حتى لم يبق فوق ظهرها كتاب ولا عالم من أولئك العلماء ، أفترى هل يضطرب لذلك شيء من نظام الكون وتنحط درجة هذا التمدن الحاضر، أم يمضى كل شيء في طريقه قديما كأن لم يحدث حادث ، ولم ينقص من الدنيا عنصر من عناصر كمالها وبهجتها؟

وهل سيتعطل سير المراكب أو التراموايات أو البواخر أو الأتومبيلات أو الطائرات، وهل تتأثر أثمان القطن وأسعار البورصة، وهل تسقط وزارة أو تتغير حكومة، أم ماذا يحصل في الأرض أم في السماء؟

إن غاية ما يمكنكم أن ترفعوا إليه قدر هذا العلم أن تجعلوه حشيشا كالذي يحرقه الحشاشون، أو دخانا يدخن، أو أفيونا يتلع، أو حمرا تشرب، وغاية ما تصل إليه دور الكتب أن تكون غرزة أو قهوة أو حجارة ، وغاية أولئك العلماء ، وإياهم أعنى - أن يكونوا في طبقة ملوك الشاي وأهل الكيف البارعين تطاردهم وتقاومهم وتنايذهم ، فإذا ما ناهم أذى بكينا عليهم وقلنا كانوا جمال الأرض ومظهر التجليات الفنية ، وغدا الأرواح، كما بكست الجارية السجوز عمر بن أبي ربيعة لأنه كان أمير الغزل وشاعر التشبيب والنسيب.

فأما السياسة فأقل شأنها في مصر أن ترفت عمدة أو تعينه، وأن تقدم موظفا أو تؤخره، وأن ترهب حاكما أو تؤمنه ، وأن ترضى أناسا أو تغضبهم ، فإذا ما ارتقت عن ذلك شيئا، ففسر كات تنسأ، وفاضر تبنى واحتكارات تعطي، ومشروعات ... أعزك الله - قد تفيد الناس وتفيدنا نحن على كل حال . فإذا ما ارتقت عن ذلك فتمت من النعيم والملك الكبير ما تعرف وما لا تعرف، وما تفهم وما لا تفهم من لذة غير مرة، ومن جهاد مجلوا فلا يمر ويلذ فلا يؤلم.

وبعد فأنت تشكك كثيراً في أن الزعامة السياسية مخصصة منتجة، فهلا شككت كذلك في أن الجهاد العلمي محصب أيضاً ومنتج؟ وهلا تأذن لي أن أشكك أنا ذلك الشك وأن أستعير بعض عباراتك وطريقتك في التدليل، فأشفق عليك من زعامتك العلمية، فهي ثقيلة شاقة لا تخلو من مرارة، وربما شككت كثيراً في خصيبتها ونتاجها لا لأنك عاجز عن أن تأتي بالمعجزات وتغير الحال بين مشرق الشمس ومغربها، بل لأن بلادنا لم تنضج بعد ليشتغل فيها أمتالك بالعلم، فمثلك إنما ينتج بشرطين: الأول أن يشتغل في بلد حر حقا يحب الحرية كما يحب الحياة، ويحرص عليها كما يحرص على الهواء أو الماء، وما تزال امام مصر مسافة بعيدة جداً يجب أن تقطعها قبل أن تبلغ هذا الطور. الثاني أن يشتغل في بلد قد بلغ الرشد وجاوز الصبي، ومازلنا والحمد لله في العلم أطفالاً وصبياناً، فلو تركت العلم لأصحابه وصرفت نفسك عن هذا النحو من اللعب المضحى إلخ. إلخ. وأراني قد أطلت ولما أبلغ من القول ما أريد، ودون أن أبلغ المراد مسافات أخرى طوال قصار، ومتعبة مريحة، وخفية واضحة، أو لعلني قد بلغت بك الغاية من حيث تدرى ولا تدرى.

فإن كنت لا تدرى فذلك مصيبة. وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم.

ففكر في هذا وسأفكر فيه أيضاً حتى إذا التقينا إن شاء الله فقد انتهى إلى قرار.

والسلام عليك ورحمة الله

٨ أغسطس ١٩٣١ بالإسكندرية

على عبد الرازق

الشيخ مصطفى عبد الرازق صاحب أول عمامة في مجلس الوزراء

الشيخ مصطفى عبد الرازق^(١) "هو أول وزير يدخل مجلس الوزراء وفوق جسمه الحبة وليس البدلة الأفرنجية ، وعلى رأسه العمامة وليس الطربوش، وفي داخل رأسه مزيج رائع من خلاصة أفكار الأفغانى وآراء الشيخ محمد عبده، لقد كان وزيراً للأوقاف، تعلم فى الأزهر، والتحق بجامعة السوربون ، وألقى محاضرات فى جامعة ليون، وعمل أستاذاً للفلسفة بآداب القاهرة، وصار شيخاً للأزهر فكان أول من أدخل اللغات الأجنبية إلى الجامعة الأزهرية، ويسرى د. عبد الحميد يونس أنه "رائد الفلسفة الإسلامية فى مصر".

وندع د. طه حسين ليحدثنا بأسلوبه القريد عن صديقه ، حين رثاه متذكراً مواقفه فى المروءة والصبر على أذى الناس.

يقول طه حسين فى رثائه الذى حرص على الاحتفاظ بنصه بين أوراقه:

العقاب على المروءة

"فما أعرف أن أحداً شكاً منه أو أضمر له شراً أو احتفظ له فى نفسه بموجدة أو ضغينة؛ لأنه كان مكفوف الأذى عن الناس جميعاً، مبسوط الخير للناس جميعاً. وأكثر ما يسيى بعض الناس إلى بعض حين يعجلون فى الرأى والقول والعمل . ولم يكن يعجل فى شئ من هذا ؛ فلم يكن يسيى إلى أحد. وقد كان الناس يعجلون عليه فيلقوناه بالكلمة النابية أحياناً، ولكنه كان يعرف كيف يستأنى بهم ويكلم عليهم ويردهم إلى الحياء من أنفسهم قبل أن يستحووا منه. وفى الطبيعة الإنسانية شر كثير ؛ فقد كان بعض الناس يكيدون هذا الرجل الذى برئت نفسه من الكيد، ولكنه كان من طهارة القلب وصفاء النفس ونقاء الضمير بحيث لا يؤذيه كيد الكائدين. كان يرتفع عن

(١) مواليد ١٨٨٥ بأبو حرج بمحافظة المنيا.

(٢) عادل الملك - أكتوبر ١٩٨٧/٦/١٤.

الصغائر كلها، وأى شيء أصغر من الكيد! كانت صلته بالناس كلها صفواً. وكان هذا الصفو يأتي منه أكثر مما يأتي من الناس؛ وكان هذا الصفو يأتي منه لأنه كان يستأنى بالناس دائماً ولا يعجل عليهم في شيء. وأذكر أنه في ذات عام من الأعوام تعرض لبعض الشر في منصبه الذي كان يشغله بوزارة العدل، فلم يعجل ولم يسرف على نفسه ولا على أحد بقول أو عمل، وإنما ابتسم للمكروه حين أقبل عليه، وابتسم للمكروه حين أدير عنه، ولم يصرفه هذا المكروه لحظة عن حياته التقية الصافية، وصلاته الأبية الكريمة بالناس.

كان ثروت باشا رئيساً للحكومة، وكان الخلاف عتياً بين الحكومة والوفد، وكان سعد بعيداً عن مصر في منفاه في أقصى الشرق أو في أقصى الغرب، لا أذكر. وكانت أسرة مصطفى عبد الرزاق مؤيدة للحكومة مخاصمة للوفد، ولكن صلوات قديمة كانت تصل بين سعد وبين أسرة عبد الرزاق، فلم تستطع الخصومة على عنفها أن تبلغ هذه الصلوات في قلب هذا الصديق الكريم. وقرأ الناس في الصحف ذات يوم أن مصطفى عبد الرزاق مر بدار سعد وترك بطاقته لمناسبة عيد من الأعياد، فلم ينكر أصدقاء مصطفى من ذلك شيئاً. ولكن أيام العيد تقضى ويستأنف مصطفى عمله في وزارة العدل. وإته لقي ذلك وإذا الوزير يدعو فيسأله: أفي الحق أنك ذهبت إلى دار سعد؟ قال مصطفى: نعم. قال الوزير: أتعلم أنك موظف، وأن الموظفين لا ينبغي أن يسعوا إلى الدار التي تخاصم فيها الحكومة؟ قال مصطفى: لا أعلم إلا أن بيني وبين سعد صلوات مودة قديمة، وأن أيسر الوفاء لهذا الود يفرض عليّ أن أمر بداره أيام العيد. قال الوزير: فإنك مقبول إلى أسبوط. فلم يزد مصطفى على أن ابتسم وانصرف.

وكان ثروت باشا غائباً عن القاهرة، فلما عاد وصل إليه النبا، فتقدم إلى وزير العدل في أن يلغي هذا الأمر السخيف؛ لأن ثروت باشا كان كمصطفى عبد الرزاق يقدر صلوات المودة بين الناس، ويعلم أن هذه الصلوات حقوقاً لا يقصر فيها الرجل الكريم. وأشهد لقد سمعت ثروت باشا يقول متضحكاً: سامح الله وزير العدل! يريد أن يعاقب رجلاً على مروءته".

"إن الذين يألون لفقد مصطفى من أهله وذوي خاصته ومودته من الأصدقاء الأقربين ومن الذين وصلت بينه وبينهم شؤون الحياة الاجتماعية لقليلون جداً بالقياس إلى هؤلاء الناس الكثيرين الذين لا يعرفهم أحد أو لا يكاد يعرفهم أحد، والذين كان مصطفى يتلقاهم كما كان يتلقى أرفع الناس قدراً، ويسعى إليهم كما كان يسعى إلى أرفع الناس قدراً، ويرفق بهم كما كان يرفق بأقرب الناس إليه وآثرهم عنده؛ لا يتكلف ذلك ولا يشق على نفسه به، وإنما يراه شيئاً طبعياً لا يحتاج إلى جهد أو عناء. كان يصنع ذلك حين كان طالباً في الأزهر، يسمر إذا أقبل الليل مع أرفع

المصريين مكاناً في داره، ويسعى إذا أقبل النهار مع الطلاب من جميع الطبقات، يسمى بينهم كواحد منهم لا يجدون منه كبراً ولا شيئاً يشبه الكبر. وكان يصنع ذلك بعد أن أصبح عالماً من العلماء وأستاذاً في مدرسة القضاء. وكان يصنع ذلك طالباً في أوروبا مع رفاقه من المصريين والفرنسيين جميعاً قبل أن تثار الحرب الأولى وبعد أن أثرت. وكان يصنع ذلك بعد أن عاد من أوروبا وقد شغل المناصب المختلفة في الأزهر ووزارة العدل وفي الجامعة بتوع خاص، في الجامعة حيث يسعى الفقير والغني مصطحبين، يظهر الغني نفسه في بعض الطلاب من القحة، ويخفي الفقير نفسه في كثير من الحياء. في الجامعة حيث يذهب بعض الطلاب في السيارات وإن قربت الدار، وحيث يذهب بعضهم سعيّاً على الأقدام وإن بعدت الدار. في الجامعة حيث تؤدي قلة قليلة أجور الدرس عن سعة، وحيث تشقى كثرة بالعجز عن أداء هذه الأجور. في الجامعة لا يكون الأستاذ الصالح أستاذاً صالحاً لأنه يلقي الدرس على وجهه ويعلم الشباب كما ينبغي أن يتعلموا فحسب، وإنما يكون الأستاذ الصالح أستاذاً صالحاً حين يفقد شؤون هؤلاء الشباب في أناة وخفة ورفق، وحين يعلم من خفي أمرهم ما يعلم، فيصلحه بالحب والمطف والعون السدي لا يصدر عن تفضل ولا عن تطول، وإنما يصدر عن محبة ومودة، لا يكاد يشعر به من يئله، ولا يكاد يشعر به من يتلقاه.

وأشهد لقد كان مصطفى أصلح الأساتذة جميعاً في كلية الآداب من هذه الناحية التي لا يكون الأستاذ أستاذاً إلا بها.

هذا بعض آثار الأناة في الصلات بين مصطفى وبين الناس. ولكن للأناة آثاراً أخرى في حياته الخاصة، في حياة مصطفى الأديب الذي لم يكن يحب التعجل بما يكتب ولا بما يقول، وإنما كان يختار اللفظ ويلتزم بينه وبين المعنى، يبذل في ذلك أعنف الجهد وأقساه، يخلو إلى ذلك حين يتفرق عنه الناس أي حين يتقدم الليل. يقتطع لذلك من وقت راحته ومن الوقت الذي كان ينبغي أن يختص به نفسه وأهله. يحكم المعنى، ويحكم اختيار اللفظ لهذا المعنى، ولا يكفيه ذلك حتى يلتزم بين اللفظ واللفظ وبين المعنى والمعنى، وحتى يخرج القطعة الأدبية كأنها قطعة الحلبي قد صيغت كأحسن ما يصاغ الحلبي على أدق أصول الفن وقواعده. وما أعرف أن أديباً معاصراً أتاحت له الإجابة الفنية كذا أتاحت لمصطفى، ومصدر ذلك أنه كان يستأنى بإنتاجه، ولا يعجل به.

وللأناة أثرها البالغ في حياة مصطفى الأستاذ، وفي حياة مصطفى الباحث، فلم يكن يحب أن يجلس بالدرس قبل أن يتقن إعداده كأحسن ما يكون الاثنان، ولم يكن يحب أن يتعجل تلاميذه بالفهم عنه. وإنما كان يأخذهم بالأناة في القراءة وفي الفهم وفي التفسير كما كان يأخذ نفسه بها. ومن أجل هذا كان له تلاميذ بأدق معاني هذه الكلمة بين الشباب الجامعيين. وكان يستأنى

ببحثه عن أى مسألة من مسائل العلم، يستقصى ما وسعه الاستقصاء، ويحلل ما وجد إلى التحليل ميلاً، ويقلب النص على كل وجه من وجوه التقلب، ولا يتعجل بعد ذلك بإصدار الحكم، وإنما يضع أمامك النصوص ويعينك على فهمها واستخراج الحقائق منها.

ومن أجل هذه الأناة كان مصطفى أديباً مقلاً، وعالماً مقلاً. وربّ قليل غير من كثير."

"وكان مصطفى أعرف الناس بحقوق العلم على العلماء. وما أقل العلماء الذين يعرفون ما للعلم عليهم من حقوق! إنها نكبة في الإصلاح بأوسع معاني الإصلاح؛ فقد كان مصطفى أحسن خليفة يمكن للأستاذ الإمام، ورث عنه علمه وطموحه إلى الخير، وأضاف إلى هذا التراث من العلم بالحضارة الحديثة شيئاً كثيراً. وأتيح له منذ تولى أمر الأزهر عالم يتبحر لأستاذه من السلطان. فكان خليقاً أن يمضى بالإصلاح الدينى والعلمى والخلقى فى البيئة الأزهرية إلى أبعد الغايات. وأشهد لقد كان يعمل لذلك جاداً، ولكن فى أناة ورفق.

رحم الله مصطفى! وأعزز علىّ بأن أملئ هذا الدعاء. رحم الله مصطفى! لقد كانت الأناة أخص صفاته، ولكن الأناة ليست من صفات الموت. ليت الموت أمتانى بمصطفى ليتم ما يسر له من الخير. ولكن الموت لا يستانى بأحد. وربما كان أبغض شئ إلى الموت أن يستانى بالأختيار من الناس."

طه حسين

رديسباً وجيدها

وبين أيدينا رسالة من الشيخ مصطفى عبد الرازق أرسلها أثناء مصيفه بالخارج إلى طه حسين أثناء أزمة الشعر الجاهلى التى وقف فيها الأحرار الدستوريون بجانبه، ونصيحة ثروت باشا له أن يتوقف عن الرد والرد المضاد فى الصحف، فى الوقت نفسه قاومت الحكومة ضغوط المشايخ والتزمت بحماية طه حسين .

يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق فى خطابه:

١٩ أغسطس ١٩٢٦

أخى العزيز

أما كتابك الأخير فقد جهل إلى أخبار مصر وتركنى غير محتاج إلى قراءة الجرائد ولا السؤال عن الأحوال ، وقد عملت بنصيحتك فى الهجوم ما استطعت، ولعل تأخير كتابى عنك من أثر هذا الهجوم.

ومالى لا أهجع وتهجع معى مادام ثروت باشا يوحى إلى "السياسة" أن لا تكنيب لك شيئا . ويوحى إليك ألا تكنيب فى الصحف أى أن تهجع بعبارة أخرى.

لما تركت مصر كان آخر ما عندى من أبناء كتابك أن شيخ الجامع حشد ولدا من الشيخ بخيت والشيخ قراعة وأضرابهما، وطلبوا من عدلى باشا أن يحدد لهم موعدا يلقاهم فيه فأبلغهم أنه مستعد لمقابلة شيخ الجامع وحده، وسمعنا أنه قال للشيخ : إننا الآن فى حكومة دستورية تسرها قوانين ولا تملى عليها إرادة الشيوخ.

لكن "كوكب الشرق" بقى وحده يبدئ ويعيد فى الرد على "الكتاب" بقلم مصطفى صادق الرافعى، فهل حدثت بعدنا تطورات أخرى؟

ولست أدرى بأسا بأن تسويج من الكتابة إلى الجرائد فى هذه الأيام عملا بمشورة ثروت باشا. وهل جاء ثروت باشا إلى أوروبا؟ فقد كنت أعلم قبل سفرى أنه على نيته الحجى بحومه فى أوائل أغسطس.

فى "إكس" بعض المصريين ، بل إن معى فى الفندق منهم نساء ورجالاً ، لكننى بعيد عن هؤلاء وهؤلاء، وكانت معنا أميرتان، أما إحداهما فشاب فى ميعته وأما الأخرى فشاب إلى حد ما ولكنها أقل ميعتة، وقد مضتا إلى باريس من قبل أن أتعرف إليهما، كأننا كتب علينا ألا نجتنى من تلك العائلة إلا أردا ما فيها . ولتذهب إلى الشيطان برديتها وجيدها. وسلام عليكم جميعا وتحيات زكيات.

مصطفى عبد الرازق

مؤامرات السنهوري وتناقضات طه حسين!

د. عبد الرازق السنهوري عبقري القانون الذي كان يوصف بأنه "يفلق الشعرة بالطول" ، يجمع بينه وبين عبقري الأدب طه حسين أن كلا منهما قد تولى أمر وزارة المعارف ولكن في حكومات متعاقبة، ورغم اختلاف المنابر السياسية التي مسار فيها الرجلين إلا أن بعض وجوه التقارب كانت تؤلف بينهما مع وجود بعض وجوه التباعد في الرؤى والأفكار والنظرة للأشياء، وإن كانت السياسة قد أفسدت في النهاية ما بينهما من ود وصدقة ، على الأقل من جانب طه حسين.

وأمر السياسة نفسها وتقلباتها غير المأمونة هي التي أفسدت كثيراً من العلاقات بين أدباء أصدقاء نتيجة لانتماءاتهم الحزبية، وهي طبيعة العصر الذي لم يكن بقدرة الأديب أن يحتمس بأدبه دون اللجوء إلى حزب يستند إليه ويتحدث من خلال صحفه حتى وإن لم يكن عضواً في الحزب أو حتى مقتنعاً بمجمل أفكاره ومبادئه، فكان انتقال الأدباء بين الأحزاب ظاهرة أخذت عليهم ونالت من أقدارهم ومكانتهم الأدبية الرفيعة ، ولعل ذلك ما حدا بإحدى الصحف آنذاك لأن تتخذ هذا المسلك في معرض الإعجاب بطه حسين والسنهوري ، وإن أرجعت المسؤولية لسي ذلك إلى الأحزاب نفسها التي تريد أن تقوى نفسها بأمثال هؤلاء العباقرة، فنقول هذه الصحيفة "هو "أى السنهوري" وطه أستاذ جامعة، كل "منهما أهله مواهبه لالتقاط الأحزاب فجاء دورهما السياسي مثل البقعة السوداء في الثوب الأبيض.." "مثل هؤلاء الأفاضل كان يجب ألا تتخلى عنهم الجامعة ولا مناصب الأستاذية ، ولكن ما الحيلة في أساليب الأحزاب السياسية، إنها كلما افتقرت التقطت ، وكلما احتاجت اقتضت"^(١) وقد كانت بعض مواقف وآراء طه حسين السياسية مما أخذ عليه لتحويله على سبيل المثال من ذم الملك والحملة عليه إلى الدرجة التي حاربها فيها الأخير وأغلق عليه كل المناقل في الجامعة والصحافة حتى اضطر طه حسين إلى التفكير في الهجرة ومغادرة الوطن بلا عودة. وتحول طه حسين من معاداة الملك إلى الإشادة به وبوالده، مما جعل طه حسين يبرره بالمهادنة من أجل الهدف الأكبر الذي كرس حياته له من أجل نشر التعليم وجعله حقاً للجميع كالماء والهواء، وهو ما حاول تحقيقه أثناء تقلده لمنصبه كوزير للمعارف بعد اعتراض الملك على ترشيحه وإصرار النحاس باشا على نفاذ ذلك الترشيح وهو ما تحقق بالفعل.

(١) المصور ١٩٤٨/٧/٩.

وكذلك كانت الحالة بالنسبة لعبد الرزاق السنهوري الذي كان يضطر لمخالفة قناعاته بسبب السياسة ، أو كما تصفه الصحيفة المشار إليها سابقا أنه "يجسد الكلام كل الإحادة إذا اقتنع ولا يجيده متصنعا إذا لم يقتنع، فهو محامي القضايا السلمية ذات الموضوح لا القضايا العظيمة ذات المروض والجروح، يملك زمام ذهنه ولسانه إذا تكلم وشرح شرح المحاضرين ، ويفلت منه الزعماء إذا خطب بأسلوب السياسيين" ولعل هذا التناقض الذي شاركه فيه صديقه طه حسين هو ما حدا به "أى السنهوري" إلى اتخاذ مواقف متطرفة ضد الوفد وزعيمه حين صار وصديقه سليمان حافظ "المفتيان القانونيان للثورة ورجالها" حيث كان فيما يبدو يصفى حسابات قديمة لمعاداة الوفد له، لمشاركته الخارجيين والمنشقين على الوفد وزاراتهم التي اضطهدت الوفديين ونكلت بهم ، وقد دفع السنهوري ثمن تجاوزه عن القانون والدستور لصالح الثوار، وضد الوفد، ما انتهى به إلى الاختفاء عن الحياة العامة، لأن الاقتراب أكثر مما يجب من السلطة لا نتيجة له في الغالب إلا الاحتراق، وإن كان طه حسين أكثر ذكاء وخبرة في التعامل مع الثوار فكان اعتداله سببا في نجاة.

الكوارث المتكررة

ومن العجيب أن السنهوري حين صار وكيلا لوزارة المعارف التي صار النقراشي (استاذة بالمدرسة الثانوية بالإسكندرية) وزيرا لها ١٩٣٩ ، أبرق إليه طه حسين وهو في باريس والحرب العالمية الثانية تدق أبواب أوروبا، مهنتا إياه والنقراشي معبرا عن معادته "لأن أمور وزارة التعليم قد صارت آخر الأمر إلى النقاء وطهارة الضمير" متمثلين في الوزير ووكيله ، بل ويؤكد طه في رسالته أن له فضلا في المنصب الذي وصل إليه السنهوري، ومن العجيب أن طه حسين الذي عبر عن هذه المشاعر القياضية نحو صديقه السنهوري. الذي صار وكيلا لوزارة المعارف هو نفسه الذي اشتكى منه "حين عين وكيلا لوزارة المعارف مع النقراشي، أخذ السنهوري يكيد لي ويتآمر عليّ وأنا لا أدري"^(١) وقبل أن نتحدث عن أسباب تهنته طه حسين للسنهوري ثم النظر بعهد ذلك في شكواه منه، علينا أن نقرأ رسالة التهنته أولا وهذا هو نصها كما كتبها أو أملاها طه حسين الذي أشار فيها على الوكيل ووزيره بما يجب لإصلاح التعليم، يقول في :

(٣٠ أغسطس ١٩٣٩) حيث كانت الحرب العالمية الثانية تدق الأبواب.

(١) طه حسين يتحدث عن أعلام عصره - د. محمد الدسوقي - دار المعارف ١٩٩٢.

أخي العزيز

تحققت أمس أنك أصبحت زعيماً من زعماء التعليم بعد معالي الوزير فهممت أن أبرق إليك مهناً، ولكن استحييت من عامل البريد الفرنسي ، فإن هذه الظروف التي نحن فيها لا تسمح للناس بأن يتبادلوا التهينات مهما تكن أسبابها ومصادرها، واكتفيت إذن بأن أرسل إليك هذا الكتاب طائراً كما يقال إن كانت الظروف العامة لا تزال تسمح للرسائل بأن تطير.

وما أظنني في حاجة إلى أن أعرب لك عن اغتباطي بهذه التضحية التي فرضت عليك ففعل معالي الوزير يذكرني أنني اقترحتها عليه حين كان وزيراً للمواصلات أيام حكومة الوفد. فأنا إذن سعيد لأن أمنية من آماني قد تحققت، وأنا أشد سعادة لأن أمور وزارة التعليم قد صارت آخر الأمر إلى النقاء وطهارة الضمير، وهل يستطيع الإنسان أن يتمنى خيراً من أن يكون النقراشي باشا وزيراً للمعارف والسنهوري وكيلاً.

وأنا أعلم أن النقراشي باشا لم يحسن إليك حين كلفك هذه المهمة ، فقد وضعك في بيئة ما أظنك تحبها حبا شديداً، وقد حملك أثقالاً ما أشك في أنك كنت تفضل عليها أثقال الفقه القديم والحديث ، ولكن التضحية واجبة على الأكفاء دائماً، وهي أوجب عليهم في هذه الظروف الخطرة التي تحيط بحياة الناس، وكل ما نتمناه الآن هو أن تصلح الظروف العامة وأن يظل السيف والمدفع صامتين ، وأن تظل الكلمة للعقل والقلب، فيستطيع وزير المعارف ووكيلها في مصر أن يصلحنا وأن يصلحنا كثيراً ، وأن يصلحنا في أشد مواطن الحياة المصرية حاجة إلى الإصلاح. وما أشك في أن وزارة المعارف ووكيلها يتمنيان ذلك أيضاً، ويقرران أن أساس الإصلاح التعليمي في كل مكان وفي مصر خاصة إنما هو تقديم الأداة قبل كل شيء. تقويم الديوان ، ثم تقويم المعاهد التي تعد المعلمين، فأما برامج التعليم ومناهجه فإذن العناية بها تأتي بعد ذلك . ولكن أخشى أن أكون طفيلياً وأن أتحديث فيما ليس لي أن أتحديث فيه، فأنا رجل جامعي والجامعة مستقلة عن وزارة المعارف. ووزارة المعارف مستقلة ويجب أن تكون مستقلة عن الجامعة كما كان يقال في البرلمان منذ أسابيع. فتقبل إذن تهنتي خالصة صادقة بمنصبك الجديد وإن كانت وزارة المعارف أحق منك بهذه التهنة .

أما أنا يا سيدي فموحوس ("فصحيوس" كما تدل العبارة التالية وإن كان الذي أملاه طه قد أخطأ في سماعها ومن ثم في كتابتها) في فرنسا لا أدري كيف أخرج منها في هذه الظروف العصية، فمن مهددون بالكارثة بين حين وحين وما ينبغي أن نركب السفينة الآن لتعرض للخطر بعد يوم أو يومين ، ولست أنا بالذي يحسن الاجتهاد لنفسه ولأسرته إن حاق

بالسفينة بعض الخطر. فلا بد لي إذن من البقاء هنا حتى تنجلي الأزمة ولكن هل تنجلي؟ وعلى أى نحو تنجلي؟ أما إن صارت الأمور إلى السلم فإني عائد إن شاء الله، وتارك كلود "الاسم الفرنسي الذى اختارته زوج طه لتنادى به ابنتها مؤسس" ليتم تعليمه فى باريس، وأما إن صارت الأمور إلى الحرب لا قدر الله فهذه عقدة العقد المعقدة تعقيداً كما كان يقال فى بعض القصص التمثيلية المضحكة، ولعلك تذكر أنى كنت طلبت أجازة طويلة فرفضت، فيظهر أن الأقدار تريد أن أمتح هذه الأجازة، وما أظن أن الحكومة المصرية تأبأها على، وأن كنت لا أدري ماذا أصنع بها وقد تركت كتيبي وسافرت مقر من قرر العودة. وإن كنت لا أدري أيضا كيف نعيش فى فرنسا بما يبقى لنا من مرتين بعد الذى نفقه منه آخر الشهر فى أداء ما لا بد من أدائه.

هذه هى الخواطر التى نعيش فيها منذ أسبوع وهى كما ترى قائمة مظلمة أشد الإظلام، فلعل الله أن يصنع للإنسانية وأن يجنبها هذه الكوارث المتكررة. وأنا آخر الأمر أريد أن أعتقد أن لي فى مصر أصدقاء لن ينسونى ولن يقصروا فى الاحتياط لمصلحتى، إن كان ما لا نرجو أن يكون.

وأنا أهدى إليك وإلى السيدة الجليلة والأنسة نادية (ابنة السنهورى) تحياتنا جميعا طيبة صادقة وتهنئتنا جميعا عميقة خالصة، وأرجو أن تقرأن تحيتى على حضرة صاحب المعالي الوزير. ولعل هذا الكتاب أن يصل إليك.

طه حسين

حياة القرن العشرين مع القرن الثامن

وتبدو مخاوف طه حسين واضحة من خطر قيام الحرب وهو فى باريس فيصبح أمر عودته لمصر صعبا إن لم يكن مستحيلا وهو فى ذلك يستنجد بـ "أصدقاء لن ينسونى ولن يقصروا فى الاحتياط لمصلحتى"، ولعل من هؤلاء الأصدقاء د. عبد الرزاق السنهورى نفسه الذى يكتب إليه مهنتا إياه كوكيل لوزارة المعارف فى ظروف "لا تسمح للناس بأن يتبادلوا التهنئات" وهذه الصداقة لها تاريخ يعدد فيه طه حسين أفضاله على صديقه السنهورى، فيقول:

"بعد عودة الدكتور السنهورى من فرنسا وتعيينه بالجامعة، جاءنى يشكو لأنه لم يرق إلى درجة أستاذ، على حين رقى غيره، وقد سمعت لرقية الدكتور السنهورى إلى درجة أستاذ،

وبعد مدة جاءني وطلب مني أن أسمى لدى مكرم كبيد لتعيينه قاضيا بمحكمة المنصورة المختلطة، لأن في هذا راتبيا يفوق راتب الجامعة، وكلمت مكرم وصدر قرار بتعيين الدكتور السنهوري قاضيا بالمنصورة ، وبعد مدة جاءني وطلب مني أن يعمل في قضايا الحكومة، ولم أحق بكثرة طلباته وكلمت الدكتور عبد الحميد بدوي (وزير الحفانية أو العدل والذي عمل وكيلا لمحكمة العدل الدولية الدائمة) فنقله إليها^(١).

لما الذي يجعل السنهوري يتكرر لظه حسين الذي أحسن إليه، ويظن أن "السنهوري يكيدني ويتآمر عليّ وأنا لا أدري".

لا يذكر لنا طه حسين نوعية هذا الكيد أو نوع ذلك التآمر ، الذي يبدو لنا أنه ليس له مسير على الإطلاق من السنهوري تجاه طه الذي كان مفيدا له طول الوقت رغم "كثرة طلباته ورغباته". ورغم إحساس طه حسين بأنه قد فقد مودة وصداقة السنهوري بسبب إحسامه بتكره له، إلا أن ذلك فيما يبدو لم يكن مبنيا على حقائق وأدلة وبراهين حقيقية بدليل أن مواقف طه حسين تجاه السنهوري بعد ذلك لا تدل على رد فعلي سلبي تجاه السنهوري بل هي مواقف تدل على دوام الصداقة والحفاظ عليها. كما سوف سنرى بعد قليل؟

إذن فما الذي كان يجعل طه حسين يستشعر مثل هذا الشكر من صديقه مقابل إحسانه له؟

يفسر لنا توفيق الحكيم (والذي كان صديقا أيضا لظه) ، مثل هذه الأمور من طه حسين بسبب وشاية أو سوء فهم من طه لأراء أو تصرفات بعض أصدقائه دون أن يقصدوا إلى الإساءة إليه، فيرى الحكيم "أن الحساسية عند طه حسين كانت تضخم له هذه الأشياء وأماها مما كان يتراكم في نفسه دون أن يظهره".

وهو ما فعله مع السنهوري فلم يعرف أحد بمشاعره نحوه إلا بعد موته من خلال إفضائه لسكربتونه الأخير محمد الدموقى والذي نشره في كتاب أشرنا إليه سابقا، ولولا ذلك ما عرفنا شيئا مما تراكم في نفسه، إلا أن يقضى به إلى صديق أو يظهره هو بعد أن يكون قد مضى وقته وانقضى زمنه كما فعل مع العقاد بعد موته فأعلن أنه لا يفهم عقرباته ، وقد كان من قبل قد بايعه بإمارة الشعر، وكما فعل مع صديقه د. محمد حسين هيكل بعد موته ، فلم يعلن غضبه منه في حينه، بعد أن ظن أن د. هيكل قد حرض عليه الطلبة للاعتداء عليه في حين أنه كان قادما لزيارة لطفى السيد في الجامعة هو وتلميذه حافظ محمود ، فاستمر بعض الطلبة الموالين للأحزاب الأخرى ، وجوده فألقى عليهم كلمة كزعيم للمعارضة، فتهفوا ضد الوفد وزعيمه ومن والاهم

(١) طه حسين يتحدث - السابق.

كطه حسين الذي اقتحموا مكتبه، ولولا أن حافظ محمود شهد الواقعة في حينها وأوضح لطفه حسين حقيقتها، لظل سوء الفهم والشعور بالمرارة قائما في نفسه من صديقه د. هيكل، وهكذا يمكن أن نتفهم حساسية طه حسين تجاه بعض الأشخاص والأحداث أو كما يصفه صديقه أحمد أمين بأن "صداقته متعبه وعداوته أيضا متعبة"، ويزيد الأمر التباسا وتعقيدا قدرة طه حسين على كتم مشاعره المؤلمة تجاه أصدقائه فلا يظهرها ولا يواجههم بها، فيظل سوء فهمه لهم معلقا في نفسه، وما يزيد الأمر غرابة في نفس الوقت هو استطاعة طه حسين أن يتجاوز تلك المشاعر السلبية دون أن ينساها، وتبدو لك صداقته قوية بغير شك أو لبس لأن مواقفه تجاه تلك الصداقات رغم ما في نفسه تجاهها، لا تظهرك على حقيقة ما في نفسه وما يعتمل فيها، فرغم مشاعره تجاه صديقه السنهوري إبان توليته وكيلا لوزارة المعارف، بسبب اعتقاده أن السنهوري يكيدله ويتآمر عليه، رغم إحسانه إليه، إلا أن طه حسين يرى (أن نكران الجميل لا يؤثر في نفسى لدرجة أن يحول بيني وبين عمل الخير ما استطعت) ولعله من هذه الرؤية لم يردد لحظة واحدة في الاستعداد الصادق للوقوف ضد الملك فاروق الذي يريد حل مجلس الدولة الذي يرأسه صديقه السنهوري، وذلك للتخلص منه بسبب عداوته له، بل وقيام طه حسين الذي كان وزيرا في ذلك الوقت باستعداد رئيس الوزراء النحاس باشا ضد الملك بسبب موقفه، والاتفاق مع النحاس باشا إن أقدم الملك على خطوته العدائية هذه، فلا يبدل عن تقديم النحاس لاستقالة حكومته احتجاجا على تصرف الملك ضد السنهوري ومجلس الدولة إن خرجت نواياه إلى حيز التنفيذ، والقصة كما يرويها محسن عبد الحافظ أحد أصدقاء السنهوري (الذي شغل منصب نائب إدارة الفتوى والتشريع بالكويت) هي أنه "حين أوعز الملك وحكومته إلى أحد النواب بمجلس النواب للتقدم بمشروع قانون يقضى على حرية الصحافة، وطلب الديوان الملكي من مجلس الدولة إعداد مذكرة في هذا الشأن تؤيد ذلك المشروع، كانت كلمة السنهوري - رحمه الله - لعضو مجلس الدولة الذي كلفه بإعداد تلك المذكرة: (اسمع يا فلان لا تدخل ذلك التهديد في حسابك، فليبلغوا مجلس الدولة إذا شاءوا، اكتب المذكرة كما يملكه عليك ضميرك... فإما أن يكون هناك مجلس دولة أو لا يكون). وقد كان وقدمت المذكرة إلى السراي على غير ما كانوا ينتظرون، إذ جاءت إنكارا لمشروع القانون ودفاعا عن حرية الصحافة"^(١).

ولذلك - يكمل طه حسين الصورة - "حاول الملك فاروق إلغاء مجلس الدولة - حينما كنت في الوزارة - وهذا من أجل التخلص من الدكتور السنهوري رئيس المجلس، فقلت للنحاس: أبلغ الملك أننا نرفض إلغاء مجلس الدولة، وإذا كان الملك مصراً على ما يريد فستقدم الوزارة استقالتها،

(١) مجلة العربي الكويتية ٧٤/٥/١.

وسكت الملك عن محاولة إلغاء مجلس الدولة أمام هذا الموقف المتشدد^(١) ولا ندري كيف اقتنع النحاس بمشورة طه حسين ، وحكومة النحاس نفسها هي التي أرادت التخلص من السنهوري بحجة أنه كان وزيرا حزبيا في وزارة حزبية (إشارة إلى وزارته للمعارف في حكومات الأحزاب المناوئة للوفد)^(٢)، ورفض السنهوري الإذعان للحكومة وناصره في ذلك جميع مستشاري مجلس الدولة وكانت تلك هي الأزمة الأولى مع مجلس الدولة ١٩٥٠ ، تلتها أزمة أخرى في العام التالي أطلقت عليها أزمة الصحافة وهي التي أشرنا إليها سابقا، وكانت الحكومة القائمة في الأزمتين هي حكومة الوفد، والنائب الذي تقدم بمشروع تقييد حرية الصحافة كان نائباً وفدياً، واتسعت جبهة المعارضة لتذهب الصحافة لتصل إلى أعضاء بارزين من الوفد نفسه كان على رأسهم وزير الخارجية محمد صلاح الدين الذي عارض بشدة هذا المشروع ، فكيف تبنى طه حسين أن يستعين بالنحاس رئيس الحكومة التي تقدم أحد نوابها بتشريع كهذا إلا أن يكون الأمر متوقفا عند هذا الحد فقط ، حتى إذا تعدى الأمر مجرد الرغبة في إصدار قانون أرادته الملك ولم تعارضه الحكومة ، فتعداه إلى إلغاء مجلس الدولة كان على الحكومة أن تفترق مع الملك، مما جعل النحاس مستعداً لأن يعود إلى مواقفه الصلبة فاستجاب لمشورة طه حسين ليحول بين الملك ورغبته في إلغاء مجلس الدولة، وهو ما حدث بالفعل كما ذكر طه حسين، ثم يقف طه حسين موقفاً إيجابياً آخر عندما كان رئيساً للمجمع اللغوي والسنهوري عضو فيه، فنجح بعد رجائه في إقناعه بالعدول عن استقالته التي كان قد قدمها بالفعل في أولى جلسات المجمع في دورته الجديدة في شهر أكتوبر ١٩٦٦ ، وذلك لرغبته في التفرغ لإنهاء موسوعته عن القانون المدني.

مثل هذه المواقف من طه حسين لا تدل إلا على الصداقة الصادقة والمودة غير المصطنعة ، مما يدل على أن طه حسين كان يحتفظ في نفسه فقط بأثر المواقف التي يظن أنها قد أساءت إليه، ثم لا يجعلها تتحكم في سلوكه نحو من ظن أنهم تنكروا له. وتلك تمثل قدرته على التكتم نحو سلبات أصدقائه فلا يظهرهم عليها، أما أعداءه أو من يظن أنهم أعداءه فينادفهم عداء بعداء ويواجههم بقوة وشجاعة نادرة دون خوف أو حساب للعواقب، فعلى ذلك مع رئيس الوزراء الديكتاتور إسماعيل صدقي ورفض التعاون مع صحيفة الحزب الذي يرأسه، وتحمل في سبيل ذلك كبل سبيل الحصار والتضييق التي فرضها عليه الديكتاتور إلى درجة أنه فكر في الانتحار. ففكرة الانتحار لديه أهون من فكرة الخضوع والاستسلام لعدوه حتى لو كان رئيس الوزراء بنفوذه وجبروته، وحين كان مندوباً كمدير لجامعة الإسكندرية واستشعر أن رجل القصر الذي جنى به مكترهاً عاماً

(١) طه - مجلة العربي الكويتية ٧٤/٥/١.

(٢) الوفد ١٩٩٩/٩/٣ طلعت الغرياني.

للجامعة ، قد وضع عينا عليه لمراقبته وإعاقته عن الارتقاء بالجامعة، لم يسورع عن مجابهته وكشفه أمام الجميع مخاطبا إياه "ما أنت إلا كبير الكلبة" ليضعه بذلك في حججه الطبيعي.

وهكذا كان طه حسين رفيقا بمشاعر أصدقائه فلا يسوءهم بإظهار مشاعره نحوهم حتى لو أساءوه أو تنكروا له ، ولكنه على النقيض من ذلك تجاه أعدائه لا يمتنط للنتائج ويبادرهم بسهامه وسخريته فينال منهم غير هيب بما سوف تسفر عنه المعركة من خسائر قد تصل إلى حد إجاعته وتشريدته، فهو رحيم شديد الرحمة على أصدقائه حتى ولو على حساب نفسه، وهو على أعدائه حرب عليهم شديد الحرب، وهكذا كان طه حسين يجمع بين المتناقضات إلى أبعد الحدود، وهو يعترف بذلك بل ويجد فيه منعة ولذة ، فيقول "من أهم الأشياء التي تعجبنى في حياتي كلها وتلذ لي : المتناقضات ، ووقوعها عندي في وقت واحد"^(٢) ويضرب لذلك الأمثلة من قبيل "ما يحفزنى على الكتابة والتأليف في شئون عربية بحتة ، أن أكون في بيئة أوروبية صرفة، فأعيش حياة القرن العشرين مع القرن الثاني في وقت واحد". فالمتناقضات هي فلسفة طه حسين في الحياة وفي الإبداع.

مع المرأة وضدها

أنظر وتأمل معى شكواه العجيبة إلى صديقه السنهورى، حين يشتكى من التعب وهو أمر مفهوم، ثم يشتكى من الراحة أيضا، فإى شئ أدل على التناقض الذى جمعه شخصية طه حسين أشد من هذا التناقض، الذى لم يجد السنهورى تفسيرا له إلا أنه من "أعراض الجنون" يقول السنهورى فى معرض رده على رسالة لظه حسين أرسلها إليه فى باريس حيث مصيفه هناك فكتب إليه من "القاهرة فى ١٢ أغسطس ١٩٣٥ :

"تزعّم أنك لا تعرف إلا السأم والملل. تشكو التعب فى القاهرة ، وتشكو الراحة فى فرنسا . لا أشك فى أن هذا الكلام يحمل فى طياته أعراض الجنون. فاسمع نصيحة عاقل: إذا كنت تشكو التعب فى القاهرة وترتاح فى فرنسا، فما عليك إلا أن ترتاح فى القاهرة فلا تشكو تعباً، وأن تتعب فى فرنسا فلا تشكو راحة. هذا هو العلاج الناجع. ولا أتقاضى منك عليه أجراً وإن كلفنى كثيراً من التفكير العميق فى التعرف على حقائق الأشياء واكتناه أسرارها".

وهكذا رد السنهورى على شكوى صديقه طه حسين بحل يجمع بين الفكاهة والسخرية، وهو ما

(٣) أهرام ٧ أكتوبر ١٩٣٨ .

يجمع أيضا بين طه والسنهوري في بعض طبيعتهما التي قد تبدو جادة شديدة الجدية، إلا أن بعض المواقف سرعان ما تكشف عن روح مرحة ساخرة.

وليست هذه فقط إلا إحدى نقاط الاتفاق والالتقاء بين الرجلين على ما بينهما من اختلاف في الشخصية والرؤية للأشياء.

فإذا صح أن طه حسين هو عميد الأدب العربي الذي وضع أساسا للمنهج النقدي في الأدب العربي، فإن السنهوري هو "الإمام الخامس" بعد الأئمة الأربعة، كما تراه وتنتظر إليه البلاد العربية التي وضع قوانينها، في القانون المدني الذي وضعه لمصر ١٩٤٨ استردت مصر سيادتها التشريعية بعد إلغاء الامتيازات التشريعية القضائية الأجنبية، وإلغاء المحاكم المختلطة، وأصبح القانون المدني الذي وضعه لمصر هو المصدر الذي استلهم منه القوانين التي وضعها لبلاد العربية، أو التي وضعتها البلاد العربية مستمدة منه مع بعض التعديلات التي اقتضتها ظروف كبل دولة، وهذا القانون الذي استفادت به كل من: مصر وسوريا وليبيا والعراق والجزائر والأردن والبحرين والسودان والكويت واليمن، وضعه السنهوري في عشرين سنة في (١٢) مجلدا في نحو (١٥) ألف صفحة، هذا القانون كان "سبا في إيجاد وحدة فكرية في الميدان القانوني بين أبناء البلاد العربية" وكان السنهوري "يؤمن أن توحيد القوانين هو إحدى الوسائل الناجحة لتوحيد الأمة العربية"^(١). ويرى طه حسين في الثقافة وسيلة أخرى ناجحة لتوحيد العرب.

وإذا كان طه حسين أدبيا اشتغل بالصحافة فقد تنسى السنهوري "لو تم لي أن اشتغل في الأعمال الحرة لاشتغلت بالصحافة و"المهمة"^(٢) ويقابل أمنية السنهوري التي لم تتحقق أمنية لطه حسين لم تتحقق أيضا، فقد أراد أن يدرس القانون إلى جانب دراسته للأدب، وما أكثر ما لام نفسه وشق عليها في اللوم لأنه لم يتم ما حاول من دراسة القانون (انظر "الأيام" لطه حسين) وتجمع الصديقين ثقافتهم الفرنسية، وحصولهما على الدكتوراه من فرنسا، أحدهما في الأدب والآخر في القانون.

وقد وصل كلا منهما إلى منصب الوزارة، تقلدها السنهوري أكثر من مرة في الفترة ما بين سنة ١٩٤٥ حتى ١٩٤٥ كوزير للمعارف أربع مرات على التوالي في وزارة أحمد ماهر، وزارة النقراشي الأولى والثانية، وزارة إبراهيم عبد الهادي، وكلها حكومات مناوئة للوفد، ورؤساؤها قد انشقوا عن الوفد.

(١) عبد الباسط الجميلى - مجلة الفكر المعاصر ١٩٧١.

(٢) عبد الرازق السنهوري من خلال أوراقه الشخصية - ناديا السنهوري - توفيق الشاوي - دار الزهراء العربي.

بينما طه حسين قد تولى وزارة المعارف لمدة سنتين فى وزارة الوفد الأخيرة (١٩٥٠-١٩٥٢). وكان طه حسين مشغولا بمجانبة التعليم باعتباره حقا للجميع كالماء والهواء، وأبلى فى ذلك بلاء حسنا حينما تولى الوزارة فنجح فى جعل التعليم مجانيا فى المرحلتين الابتدائية والثانوية، ولولا اعتراض الملك لجعل التعليم الجامعى مجانيا إلا أن الملك فاروق رفض "بشدة" وقال للنحاس: إن طه يريد أن يجعل البلد شيوعية^(١).

أما السنهورى كوزير للمعارف فتبدو جهوده مجهولة فى هذا الشأن بالمقارنة لصديقه طه حسين، ولكننا سنحاول الكشف عنها ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وسنلاحظ أول اهتمام للسنهورى بالتعليم فى رسالته إلى طه حسين ١٩٣٥ التى أشرنا إليها سابقا حين يقول "وما دام مقصبا على الإنسان أن يكافح فى الحياة فلا أقل من أن تعطى الناس جميعا أسلحة متساوية لهذا الكفاح، وأرى أن خير وسيلة لذلك هو أن يجيبى من الميراث ضريبة كبيرة تصرف فى تعليم أبناء الأمة جميعا باخيان وفى إعطاء كل منهم القدر الذى يلزمه من المال للدخول فى معترك الحياة. ثم يترك بعد ذلك إلى كفايته وجهوده"، بل إننا نعثر على اهتمام السنهورى المبكر بالتعليم فى "أوراقه الشخصية" التى كان يكتبها لنفسه ونشرته ابنته بعد رحيله، حيث يرى أن التعليم شاغل أساسى من مشاغله وطموحاته لنهضة مصر، يكرر الحديث عنه بطول أوراقه الشخصية فى أكثر من موضع من مواضع تلك الأوراق والمذكرات، بدءا من المذكرة الثانية والعشرين التى كتبها فى مدينة "ليون" الفرنسية أثناء دراسته هناك للحصول على درجته العلمية، فيكتب "عن الجندية والتعليم" فيقول "أرى أن أول إصلاح يجب إدخاله فى الأمة المصرية هو جعل الجندية والتعليم إجباريين" بينما يرى طه حسين التعليم أيضا إجباريا، وإن زاد عليه السنهورى تقديمه للجندية على التعليم فيقول "وفى اعتقادى أن نهضة الأمة الألمانية فى العلم والصناعة جاءت تالية لنهضتها الحربية والسياسية ومؤسسة عليها". بينما طه حسين يرى أن التعليم مقدم على كل شئى اللهم إلا المسألة الكبرى التى كانت تشغل مصر آنذاك وهى قضية الاستقلال، ولم يربط طه حسين التعليم بالجندية كما فعل السنهورى، بل ربطه بالحياة الديمقراطية السلمية كأساس تقوم عليه، وكمفتاح تؤدى إليه.

وكان السنهورى ينادى بتوحيد التعليم العام والأزهري، وهى نفس دعوة طه حسين من أجل توحيد الأمة "فطالب بالقضاء على ثنائية التعليم عن طريق تطوير الأزهر، وتوحيد التعليم فى المرحلتين الإعدادية والثانوية، وهو ما أشار به على عبد الناصر قائد الثورة، وتحقق له بالفعل. وإذا

(١) طه حسين يتحدث - السابق.

كان السنهوري يرى التعليم إجباريا للذكور والإناث من منطلق إسلامي لقوله صلى الله عليه وسلم "العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" فقد كان طه حسين أول من أدخل المرأة ، التعليم الجامعي سراً بالاتفاق مع لطفى السيد تجنبا لثورة الرأي العام المحافظ تجاه تعليم المرأة، وفي الوقت الذي اتفق فيه الصديقان على حق المرأة في التعليم اختلفا في رؤيتهما لتقلدها المناصب العامة، فبينما لا يقيد طه حسين ذلك بقيود أو شروط إلا الكفاءة والمهبة، يرى السنهوري أن الأمر يحتاج إلى التدرج، تتذكر زوجته "حينما كان وزيرا للمعارف حان ترقية السيدة إنصاف سري" ناظرة الثانوى إلى مدير عام، فاتصلت بي السيدة هدى شعراوى تريد ترفيتها إلى وكلية وزارة انتصارا للمرأة وتشجيعا لها .. فقال إنها تستحق أن تكون وزيرة ، ولكن لكل أمر وقته وزمانه"^(١) وإذا كان طه حسين قد أسس جامعة الإسكندرية ثم صار مديراً لها، فقد كان السنهوري هو الذى وضع مشروع قانونها سنة ١٩٤٢. ويذكر السنهوري أنه أثناء وزارة طه حسين سمع خيرا كان هو واضع بذرته "تقدم لأول مرة في هذا العام (١٩٥٠) تلاميذ المدارس الأولية لامتحان الشهادة الابتدائية ، وهذا نظام كنت وضعته وأنا بوزارة المعارف لأفتح أمام أبناء الشعب أبواب العلم والرقى فينتفع البلد بالنبوغ الكامن في أبنائه المغمورين وما قد أبت النظام ثمرته الأولى" ويتذكر السنهوري أيضا "عندما كنت وزيرا للمعارف عانيت بأن أنظم تعليم اللغة الفرنسية كإحدى اللغتين الأجنبية اللتين تعلمان في المدارس الثانوية" "وعرف عنه اهتمامه بوضع سياسة ثابتة للتعليم يكون قوامها وأساسها إنصاف المعلم، وتوفير الاستقرار والكرامة له مع توسيع قاعدة تعليم وتوجيه الطلاب إلى ما يتلاءم مع احتياجات المجتمع من أنواع التعليم الفنى: الزراعى والصناعى - الذى ثبت أنه التعليم المفيد الذى يساعد على تقوية البنيان الاقتصادى للدولة ، وقد عرف عن السنهوري أيضا اهتمامه بالنوايح من الطلاب ، وبذل كل ما يمكن من الرعاية والمساعدة لهم"^(٢) . وقال السنهوري للدكتور مهدي علام زميله في مجمع اللغة العربية : أتذكر وزارة المعارف وقد نجحت في معظم مشروعاتي، وأخفقت في أمرين: الدروس الخصوصية وتوزيع الحجوات على كبار الموظفين".

وأثناء عضويته في مجمع اللغة العربية منذ ١٩٤٦ حتى وفاته شارك في وضع الكثير من المصطلحات القانونية.

(٢) حلمي النمنم - حواء ١٣/٥/١٩٨٩.

(١) مجلة الفكر المعاصر - السابق.

جمعية السنهورى

وكما أصاب طه حسين والسنهورى من السياسة فوصلا إلى أرفع مناصبها كوزراء ، إذا كان في تقلدهما منصب الوزير إصابة ، فقد أصابتهما السياسة واكتوبا بنارها، مستكفي بواقعتين حدثت هما في سنة واحدة. في خطابه المشار إليه سابقا إلى طه حسين ، يقول السنهورى: أتذكر أننا في مثل هذه الأيام من السنة الماضية (١٩٣٤) كنا معا معلقين في كفة القدر لا نعلم ماذا يأتي به الغد. أنت من أمر "الوادى" في قلق وهم. وأنا من أمر "جمعية الشبان المصريين" في شغل ونصب. وكانت تقرب بيننا الهموم". وتفصيل ذلك فيما يتعلق بطه حسين، حدث عندما استنقله النحاس باشا من أزمته مع إسماعيل صدقي الذي أقاله من الجامعة وسد أمامه كل سبل المعيشة والحياة بسبب رفضه التعاون مع حزب الديكتاتور ورئاسة الصحيفة الناطقة باسمه ، ليعيش طه وأميرته فترة المجاعة كما أسمتها زوجته، ليجد النحاس أن طه حسين يشاركه وحزبه محاربة الديكتاتور فيطلب إليه الكتابة في صحيفة "كوكب الشرق" إحدى الصحف الناطقة باسم الوفد، وفي هذه المرحلة ينتقل طه حسين "من التجدد الفكرى إلى التنشئة الاجتماعية والاقتراب من مشكلات المجتمع، التي تجسدت في الأزمة الاقتصادية ، وما نجم عنها من تهديد للعقائد الثابتة عند الناس من خلال التبشير ، وفساد الحكم، ويتخذ من هذه المشكلات مواقف عنيفة جريئة، يساق بسببها إلى النيابة والقضاء" ثم يشترى طه حسين امتياز جريدة "الوادى" بعد استقالته من "كوكب الشرق" في إبريل ١٩٣٤ ، ويشرف على تحريرها حتى ديسمبر ١٩٣٤ إذ أعيد إلى الجامعة في الوزارة النسيجية (سبب استقالته اختلافه مع صاحب كوكب الشرق حافظ عوض لرفضه دفع غرامة حكمت بها المحكمة ضد أحد المحررين بالجريدة وإن كان قد عاد بعد ذلك) ، وقد أصدر هذه الصحيفة على نفقته في أعقاب الأزمة الاقتصادية، مواصلا مهمته الصحفية في "كوكب الشرق" وتجديد المجتمع إلى جانب التجديد الفكرى والثقافى، وينتقل معه إلى "الوادى" تلاميذ الذين عملوا معه في "كوكب الشرق". وقد خسر طه حسين في "الوادى" ثلاثة آلاف جنيه كانت ديناً عليه لموزع جريدته "المعلم الفهلوى" ، وربما لبعض أصدقائه ، ولم يتقلده من هذه الأزمة إلا عودته للجامعة، وبداية الانقراج السياسى. ومن ذلك يتبين أن طه حسين قد تألق ككاتب مقال صحفى ولم ينجح كصاحب جريدة أو مدير^(١). هذا ما كان من أمر طه حسين في "الوادى" وما

(١) من المقال الصحفى فى أدب طه حسين - د. عبد العزيز شرف .

سبب له من "قلق وهم"، أما السنهوري وحكايته مع "جمعية الشبان المصريين" التي جعلته في شغل ونصب فقد "دعا إلى تكوين جمعية تضم الشباب المثقف وتعمل على توجيهه وجهة صالحة لنفسه وللمجتمع المصري، وترمي الجمعية إلى بعث الروح القومية، وإعادة الحياة القومية المتدفقة إلى شرايين الشباب، وهي تدعو إلى اعتناق مذهب القوة في كل شيء : في العقل والروح ، والجسم . وكان قسم الجمعية "أقسم بالله العلي الأعلى أن أخلص النية للجمعية ، وألتزم مقاصدها ، مؤازراً لزملائي، حريصاً على استكمال وسائل القوة في خلقي وعقلي وجسمي، وإن أنزه قولي وعملي عما يشين ، وأصمد إلى الكمال"^(١).

ويشير توفيق الحكيم إلى هذه المرحلة من حياة صديقه السنهوري في "عودة الوعي" أنقلها كما هي لما تدل عليه من بساطة رجلين عظيمين ، يقول الحكيم: "كنت مديراً لإدارة التحقيقات بوزارة المعارف وكان هو إذ ذاك أستاذاً بكلية الحقوق . وكان نساكناً في منطقة الجيزة.. ونسبر على أقدامنا ساعة العصر على كوبري عباس نتحدث طويلاً.. وفي يد كل منا قرطاس من الترمس، وفي ذات يوم جاءني يقول إنه فكر في مشروع نافع لتكوين الشباب وغرس روح البطولة في نفوسهم ، وجعلنا نستعرض أبطال تاريخنا الذين يمثلون المبادئ العظيمة مثل عمر بن الخطاب ، وطارق بن زياد، ورمسيس الثاني ، ونحو ذلك.. ومضت أيام، وبينما أنا جالس في مكتب وكيل الوزارة إذا بي أجد حركة غير عادية - وكانت الوزارة يومئذ ضد الوفد والوفديين ، وسمعت وكيل الوزارة يقول : إن مجلس الوزراء منعقد للفصل الدكتور السنهوري من الجامعة لأنه ألف جمعية سياسية من الطلاب لنشر الدعوة للوفد بإيعاز من صديقه عضو الوفد النقراشي (لم يكن قد خرج بعد على الوفد).. فتمعجت عجباً شديداً. وبعد مدة قصيرة استقالت الوزارة وأعيد السنهوري للجامعة". ويحرص السنهوري نفسه على الإشارة إلى هذه المرحلة من حياته في أوراقه الشخصية في اليوم السابق لكتابته رسالته إلى طه حسين مذكراً إياه ونفسه بهمومهما في العام الماضي فيقول في أوراقه، المؤرخة بـ ١١ أغسطس في ١٩٣٥ "في مثل هذه الأيام من العام الماضي كنت في شغل شاغل من أمر جمعية الشبان المصريين. تتوعدني الحكومة التي كانت قائمة وقت ذلك بالفصل ، وأنا أدبر أمر المعاش فأنظر في خروجي من المنزل الذي أقيم فيه ، ثم فصلت ورجعت ثانية، وها قد مضت سنة على هذه الحوادث ، وأنا الآن أفكر فيها وأقارن أمسي بيومي.. لا يحق لي أن أقول : ما أشبه الليلة بالبارحة، فالليلة ، أحس قلق اليارحة ولا أفكر في خروجي من المنزل الذي أقيم فيه، بل فكرت في أن أوسع من سكني.

(١) المجلة الجديدة الأسبوعية ٣ نوفمبر ١٩٣٤.

ما أشد تقلبات الأيام، وما أجدر المرء بالثبات عليها، لا تفزعه البأساء ولا تستهويه النعماء".
ويعود طه حسين والسنهوري إلى الجامعة بعد أن ذهبت حكومة صدقي وتابعتها التي تلتها وزارة
عبد الفتاح يحيى التي كانت استمرارا لسياسة سلفه، وبعودة الأستاذين الجامعيين المفضولين يكون
قد رد إليهما اعتبارهما "ولكن إذا كانت الثقافة المصرية رحبت برجوعهما ، فإن الصحافة
ستخسر الدكتور طه حسين ، كما تخسر الجامعة د. عبد الرازق السنهوري"^(١) ولكن الجامعة لم
تكن لتمنع الرجلين من مواصلة دورهما في الحياة المصرية والعربية، فقد كانا قد نخطيا دورهما
المحدود داخل أسوار الجامعة ليحدثا أثرهما البالغ في تاريخ الثقافة بمعناها الأوسع، فطه حسين
بمشروعه الأدبي التعليمي ، والسنهوري بمشروعه في القانون المدني، وكلاهما امتد تأثيره إلى
خارج مصر ليضمحل الدول العربية ، وكلاهما مفكر عالمي، أحدهما في الأدب والآخر في
القانون، وإن كان السنهوري يوصف أيضا بأنه "أديب من أديباء القانون له أسلوب أدبي ممتاز
تطغى عليه اصطلاحات القانون".

عبد الحميد بدوى

صاحب أول دكتوراه فى القانون

هو صاحب أول دكتوراه يحصل عليها حقوقي من المصريين ، فقد كان عبد الحميد بدوى يتلقى علومه فى مدينة "تولوز" الفرنسية ولكنه لم يرتج لنظام التعليم هناك فنقل نفسه إلى "جرينويل" فقامت قيامة وزارة المعارف بالقاهرة ، وهالما أن ينقل الطالب نفسه من معهد إلى آخر دون إذن منها، ولكنها اضطرت للموافقة بعد أن بعث إليها بوجهة نظره، وقد قال عميد الجامعة فى تقريره الذى بعث به إلى وزارة المعارف المصرية: إن رسالة د. عبد الحميد بدوى أساسية فى الفقه المدنى لا يستطيع باحث أن يستغنى عنها.

ذلك هو عبد الحميد بدوى المولود بالمنصورة ١٨٨٧، والذى نشأ بالإسكندرية وحصل على ليسانس الحقوق ١٩٠٨، ليخطو مع حصوله على الدكتوراه إلى مناصب الدولة العليا، فكان أول رئيس وطنى للجنة قضايا الحكومة بعد أن كانت حكرا على الأجانب من كبار المشرعين ، وكان قبلها أول مستشار ملكى وطنى عين عضوا بها، وشغل بعض المناصب الوزارية: الخارجية فى وزارة النقراشى الأول ١٩٤٥، كما اختير وزيرا للمالية ١٩٢١ واضطر للاستقالة منها لأن كرامته ومبادئه حالت دون أن يغمض عينيه عن تصرفات وطلبات القصر الملكى، وكان عضوا بارزا فى اللجنة التى وضعت دستور ١٩٢٣، وكان أول من دعا لإنشاء مجلس الدولة ، وكان رئيسا للوفد الذى مثل مصر فى اجتماع اللجنة التحضيرية التى تقوم بإعداد اللوائح الداخلية والأنظمة الخاصة باللجنة التنفيذية لهيئة الأمم المتحدة فى نوفمبر ١٩٤٥ ، ورأس وفد مصر فى مجلس الأمن، ثم اختير كأول قاضى شرقى ضمن قضاة محكمة العدل الدولية، وكان نائبا لرئيس محكمة العدل الدولية.

وقد فاجأه مجمع اللغة العربية باختياره عضوا فيه ١٩٤٥، وقد قال عنه د. طه حسين "عاد عبد الحميد بدوى من باريس موقفا سباقا كما تعود أن يكون موقفا سباقا، ومنذ ذلك الوقت أصبح عبد الحميد بدوى هو الشاب ثم الرجل الذى عرفناه ونعرفه الآن، وقد كملت خصائصه وكملت مزاياه وأصبحنا نستطيع أن نعرفه وأن نعرف عقله ومزاجه الفكرى والثقافى وشعوره

أيضا. فهو صاحب فكر وشعور ، وليس من هؤلاء الذين قصروا حياتهم على الناحية العقلية الخالصة. وعبد الحميد بدوى من أكثر الناس قراءة ولعله أن يكون أكثر الناس قراءة في مصر في اللغة العربية واللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية، وهو بهذا استطاع أن يكون لنفسه هذه الثقافة العالية الرفيعة المترفة المتميزة التي لا يستمتع بها كثير من المصريين في هذا العصر" إنه "صاحب خيال بديع بعيد المدى وصاحب نظرات واقعية .. كون لنفسه مزاجا بديعا من هذه الواقعية والخيالية في وقت واحد" "ما أعرف من المثقفين الممتازين من المصريين أقدر منك على تحديد الألفاظ ، وما أعرف بين المثقفين الممتازين أقدر منك على تحديد المعاني قبل أن تختار لها اللفظ، ثم أنت صاحب فقه، وأظنك توافقنى على أن أحدا لم يخدم اللغة العربية في تاريخها القديم كما خدمه الفقهاء ، فهم الذين مهدوا هذه اللغة ، ويسروها ، وجعلوها حقا لغة علم وفلسفة وتفكير عقلى عميق رقيق".

أما العقاد فيصفه بأنه "قيد من القانون، وقيد من الكياسة ، وقيد من التكاليف الرسمية ، ويمشى بينها. فيخيل إليك من سلامة المشية أنه لا يتعثر بقيد من القيود، الشريعة عنده طبيعة، والثقافة عنده فن وذوق"

طالب يرمنى

وفى رسالتهاى كتبها "قريبا من انفجار بركان الحرب العالمية الثانية، يوصى د. عبد الحميد بدوى طه حسين على أحد الطلبة ليرسله فى بعثة ، فيقول:

عزيزى الدكتور

أرسل لك أطيب التحيات وأرجو أن تكون قد عدت موفور الراحة والنشاط، وقد سمعت من صديقى جاكيه بأخبار رحلتكم فى بلجيكا وبلغياطه بمرافقتكم . فلهلها كانت موفقه.

أكتب لك ونحن نعيش قريبا من انفجار بركان الحرب، والأخبار تفيض بأسباب الزعر ونذر الخطر . وكان من شأنها أن تمنع من التفكير فى الشئون الصغرى من الحياة. ولكن الحياة تأبى إلا أن نسير فيها كما لو كنا نعيشها أبدا. كذلك أرجو المعذرة إذا كانت كتابتى لك على البعد فى شأن من تلك الشئون الصغرى.

ولعلك تذكر أني حدثتك يوماً في شأن طالب اسمه أحمد صادق موسى راجياً تسهيل إلقائه بكلية الآداب. وقد علمت أنه في دور مايو ١٩٣٧ حصل علي ليسانس الآداب قسم التاريخ وبترتيب حسن ، وأن أساتذته راضون عن عمله ، وأنه درس بمعهد الآثار الإسلامية، فهل لي أن اطمع في أن يكون أحمد صادق موسى من بين من يرسلون في هذه البعثات، وإنني لأكون شاكراً كل الشكر إذا كان لطلبي هذا حظ من موافقتك وعنايتك. وأرجو أن تقبل لك ولإدام طه بك أصدق التمنيات.

عبد الحميد بدوي

سليم حسن و"الروح" في بيان رسمي!

لا يجعل الرجل العظيم من تاريخه مهما كانت بداياته متواضعة، وكذلك كان سليم حسن صاحب أول دكتوراه في الآثار المصرية وصاحب أعظم موسوعة في تاريخ الحضارة المصرية القديمة، والتي بلغت ٣٢ مجلدا، إنه يقول عن نفسه "باعت أمي حليها لأتمم دراستي"، وقد كان هو وعمود علي حمزة أول مصريين يدخلون المتحف المصري كأمينين مساعدين للمتحف، حيث كانت وظائف المتحف وقفا على الأجانب، ويتذكر "في نهاية عام ١٩٢٨ استدعتني كلية الآداب لتدريس علم الآثار فيها بدلا من أستاذ فرنسي ترك الكلية، ويرجع الفضل في إسناد هذا العمل إلى أنا بالذات إلى الدكتور طه حسين الذي زكاني لدى المسئولين".

وقام بحفائر لحساب الجامعة المصرية بحوار "بول حول" وهو الاسم الحقيقي لأبي الهول، ومعناه "مكان عبادة الشمس"، وكان أول مصري يعمل في ميدان الحفائر الذي كان حكرا على الإنجليز لذلك فوجئوا بهذا المصري الذي يتحدثهم فحاولوا تخريبه بلعنة القراعنة، ولكنه كان مصمما على أن يتحدى أعداء بلاده، ومصمما في الوقت نفسه على أن يبيت خرافة "لعنة القراعنة"، فاكشف أكبر مقبرة ظهرت في الدولة القديمة كلها، "رع ور" والتي ظلت الصحف العالمية تكتب عنها وعن صاحبها الشاب المصري، لمدة عشرة سنوات ما بين ١٩٢٩ إلى ١٩٣٩، كما اكتشف سليم حسن "الهرم الرابع" واكتشف قبر أول امرأة ملكة (خت كوس).

ورأت الحكومة المصرية أن تكافئ فتاها المصري بتعيينه مديراً للمتحف المصري بدلا من مديره الفرنسي غير أنها لم تستطع أمام الضغوط الفرنسية المسيطرة على المتحف الذي كانوا يعتبرونه إرثا خاصا لهم.

ولم يمكن مكافأة سليم حسن إلا بأن يتولى كأول مصري معين وظيفة وكيل مصلحة الآثار، وحينما أعاد الملك فؤاد ما كان يحتفظ به من آثار إلى المتحف المصري، تم تسجيلها، ولما تولى فاروق العرش طالب باستردادها باعتبارها إرث أبيه، فتصدى له سليم حسن باعتبار أن هذه الآثار بعد تسجيلها قد صارت ملكا للدولة وإذا كان لابد من تسليمها فلنسلمونا أيضا بذلك، هكذا قال.

وكان رد فاروق: القلاح ابن الكلب يأخذ مال أبونا!

أما رأى أبيه الملك فؤاد فقد قال: إن سليم حسن شاب يعمل ويجهد غير أنه لا يرغب أن

يرى أفرنجيا في البلد بل يريد أن يكون هو المسيطر على المتاحف والآثار المصرية^(*).

وتواطأ بعض المهريين مع بعض علماء الحفريات الأجانب ضد سليم حسن لتلقيق التهم له بتحريض من فاروق نفسه ، وكانت التهمة المضحكة هي أن سليم حسن يسرق أجور العمال ولم يستطيعوا إثبات ذلك، ولكن سليم حسن أثبت أن الملك نفسه هو الذى كان يسرق المتحف، بعد أن قام بجرده ليكتشف أن تسع قطع من المتحف مسروقة، ليتبين أنها موجودة فعلا بقصر فاروق الذى علم اكتشاف سليم حسن هذه السرقات فقرر إبعاده بأى ثمن ، ولما تولى د. محمد حسين هيكل وزارة المعارف وكانت الآثار تابعة لوزارته ، أعاد سليم حسن إلى المتحف ليكتشف وجود سرقات أخرى رهبة، ليحاولوا بعد ذلك تلقيق التهم له، ولكن ياسين أحمد النائب العام آنذاك قام بتبرئته بعد التحقيق معه وأبلغ السراى ببراءته ، فكان جزاؤه إبعاده من منصبه بسبب نزاهته، ولم يكن هناك بد من إبعاد سليم حسن للمرة الثانية، لتعيده حكومة النقراشى باشا إلى العمل يوم أربعاء ليثور الملك ويطلب إبعاده، فيجتمع مجلس الوزراء يوم الخميس ويقرر إبعاده استجابة للرجة الملكية. ولكن سليم حسن . وجد أن الملك قد خدمه خدمة العمر "أراد فاروق أن يكيد لي بإخراجي من المتحف ولكنه فى الواقع منحني الفرصة لأسجل أعمالى وأكتب تاريخ بلادى".

وكتب فى إهدائه لأول كتاب من موسوعته الرائعة عن تاريخ الحضارة المصرية، معرضا بفاروق ساخرا منه حيث كان من "أولئك الذين باعدوا بينى وبين الوظيفة والذين قربوا بينى وبين العلم" وكان الفضل لسليم حسن فى حماية آثار توت عنخ آمون من الضياع، وأثار أزمة مع الإنجليز بسبب تصميم عالمهم "كارتر" الحصول على ثمن اكتشافه بحصول الإنجليز على بعض هذه الآثار، فتصدى سليم حسن لهذه المحاولة وطلب من الحكومة المصرية أن تقدر التكاليف التى أنفقها كارتر وتمنحها له.

وكما أبلى سليم حسن فى مجال الآثار وعلوم الآثار، فقد أبلى فى تخريج الكثيرين اللذين عرفوا على يديه لأول مرة كيف يحون تاريخ بلادهم.

إنه يذكر المحاضرة الأولى له فى الجامعة المصرية^(*) "لقد كان موقفا شدا أعصابى حينما دخلت إلى الجامعة المصرية بعد عودتى من فرنسا بشهرين، دخلت كأستاذ مساعد لعلم الآثار، وكان الفضل فى ذلك للدكتور طه حسين.

لقد كنت أول مصرى يدرس هذا العلم ، ودخلت إلى القاعة وفجأة ران الصمت على

(*) من حديث سليم حسن إلى رؤوف توفيق صباح الخير ٢٧/٨/١٩٥٩.

(*) المصدر السابق

الجميع ، وذهبت إلى المنصة وبدأت أتكلم.

تكلمت عن آثار بلادنا بحماس وبصدق وبكل مشاعري ، ورأيت الدهشة على وجوه الطلبة، إنهم يرون شخصا يتكلم باللغة العربية في هذا العلم لأول مرة ، ويشاهدون شخصا يتكلم عن آثارهم بهذا الحماس.

وانتهت المحاضرة ووجدت جميع الطلبة الذين كانوا يسمعونني يلتفون حولي ويشدون على يدي بحرارة".

وفي كل فترات حياة هذا الرجل العظيم لم يسلم شرفه الرفيع من الأذى، فعندما طلبته وزارة الثقافة في نهاية الخمسينيات ليخرف على جرد المتحف المصري ، اكتشف أنه خريان، وواصل مهمته لوضع سجل علمي لمحتوياته ليكون جزاؤه أن تخرج وزارة الثقافة ببيان رسمي تنهم فيه الرجل بسرقة المتحف وتفتح ملفه أيام فاروق لتؤكد به ما جاء في بيانها رغم أن الرجل قد برى آنذاك ، مما دعا الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين ليتصدى لما أسماه بـ "الردح في بيان رسمي" ، متسائلا : كيف يتهمون سليم حسن بأنه "لص" في الوقت الذي ائتمنوه فيه على المتحف الذي لا تقدر محتوياته بثمن ، فكيف عهدوا إليه بجرده وهم يعلمون عنه أنه لص قديم.

وتفضل خطابات سليم حسن التي أرسلها إلى طه حسين حيث كان يحصل على أرفع الدرجات العلمية من باريس وفيينا ، بالحديث عن التلغيفات ضده وهي الفترة التي كان يعمل فيها بمصلحة الآثار، وكان في كل ما طعن به يتمثل بيت شعر لعبد الله النديم يقول فيه:

إذا الدهر صافانا مرضنا وإذا عدنا إلى خطب شقينا

وقد ظل ابن قرية ميت ناجي يميت غمر دقهلية يعمل حتى لحظاته الأخيرة من حياته الممتدة منذ الثامن إبريل ١٨٩٣ ، فحاول أن يتجز عملا عن كلبواترا يبرلها فيه من كل التهم المنسوبة إليها والأساطير العالقة بها، كما حاول أن يتجز كتابا في خمسة أجزاء عن نهر النيل بتكليف من الرئيس جمال عبد الناصر، ولكن الموت كان قدرا مقدرا عليه ليكتب له الخلود في سجل العظماء، كرمحا في عطائه ، كرمحا في نفسه ، حتى أن أحمد الصاوي محمد كتب عن منزله الذي استأجره ويفرشه لاستقبال المبعوثين المصريين في باريس "إنه بيت الأمة في فرنسا" .

ولتصفح خطابات سليم حسن إلى طه حسين . ولنقرأ خطابه الأول ، ومحتوياته الحافلة بمختلف الثقافات التي لم يكن أولها ولا آخرها التاريخ الفرعوني والحضارة المصرية القديمة لنقف على مدى الموسوعية التي كان يتمتع بها مثل هذا الجليل الرائد.

إنهم يشوهون سمعتي

يقول سليم حسن وهو يكتب من :

باريس في أول أغسطس ١٩٣٥ .

عزيزي طه

أكتب إليك هذه الكلمة بعد أن فقدت كل أمل في أن يصلني منك شيئا حسب الاتفاق وبعد أن قابلت عبد الوهاب باشا على ما أظن.

أريد أولا أن أقص عليك ما حدث طول المدة التي لم أرك فيها سواء كان ذلك في أوروبا أم كان في مصر.

ذهبت من مصر قاصدا فينا لاجتياز امتحان الدكتوراه في الفلسفة ، ولم أخرج أحدا بذلك لأنني كنت أخاف سوء العاقبة وبخاصة بأنه كان امتحان مسابقة لا بد أن يحصل الطالب على درجة فائق في كل مادة ، وقد كنت أجهز له منذ عامين . والمواد كما يأتي:

أولا اللغة المصرية القديمة بقروعتها، وعلم الآثار ورسالة علي جبانة أهرام الجيزة في ٣٠٠ صفحة باللغة الألمانية.

(٢) ما قبل التاريخ (٣) تاريخ الفلسفة الإسلامية

(٤) بحث خاص في فلسفة جلال الدين الرومي وشعره الفارسي

(٥) التاريخ الإسلامي (٦) تربية الطفل من جهة علم النفس

كل هذه المواد كانت موضع الامتحان باللغة الألمانية، ولعلا انتهى الامتحان كله بخير بالدرجة المطلوبة، وقد أرسلت الدكتوراه إلى الجامعة .

بعد ذلك ذهبت إلى بروكسل، حيث المؤتمر، وقد قدمت لهم مختصرا على أعمال الحفر، وألقى سامي (جيرة) محاضرة جيدة كانت موضع الإعجاب (.....) بعد ذلك قامت حملة في الجلسة الأخيرة دبرها "كايار" ضد "لاكور" ومن المدهش أن رئيس الجلسة كان أمين متحف اللوفر، ثم قام المسيو "جوجيه" مدير المعهد الفرنسي واحتج على الجرائد المصرية لأنها تريد أن تهتم المعهد الفرنسي، وكذلك احتج على المسيو "لاكور" وبعد ذلك انبرى "كايار" ولم يترك أي سخافة لم يذكرها ضد مصلحة الآثار وعندئذ قام سامي جيرة وقال: إنه ليس هناك

أى شئ ضد المعهد الفرنسى ، وأن المصريين يحرمون المعهد كمعهد ، ثم رد على كايار عندما هاجم لأكو، قائلاً: لا تحملوا الناس جرائم بلون ذنب اقترف.

كل هذا وأنا لا أقول كلمة واحدة ، غير أن سامى بعد الجلسة قال : إن زميلى سليم موافق على كل ما قلته. فنظر إلى كايار وما يريد أن يصل إليه، يريد فى كبل هذا أن تعينه الحكومة المصرية مستشاراً فى المتحف المصرى.

بعد ذلك عدت إلى باريس وهنا وصلت فى قضاة من جرنال روز اليوسف اليومية وفيه أن سيدة فرنسية رفعت دعوى على أستاذ فى الجامعة المصرية تطالبه بمبلغ ٨٠٠٠ جنيه، وأنه كان سجنها أمريكى ولكن تركته لأجل هذا الأستاذ، وأنها صرفت هذا المبلغ عليه وعلى أصدقائه ومنهم وزيراً من العهد البائد (.....) ما علينا بلقنى هنا من رجال الأكار أن هذه الحملة مدبرة وموعز بها ضدى لأجل تشويه سمعتى ولكن هذا لا يضير.

وقد كتبت لكل الرجال المختصين فى هذا الموضوع. وهذه السيدة تقول الآن أنها محبة من السفارة الفرنسية والقنصل الفرنسى ، وأن خطاباتنا تصل إليها بواسطة البريد السياسى، وأنها تجمع وتعمل وناقض ضدى ، الغرض منها التشنيع، وأن هناك من المصريين من يساعدها ، ولكن كل هذا لا يهم ، وما كنت أخافه قد كان.

والآن أكتب إليك هذا بالتفصيل حتى تكون على علم من كل شئ (.....) وفى الختام أرجو أن تبلغ سلامى إلى السيدة حرمك وكلود والسيدة جيبيت والسيد فريد ومنى لك ألف سلام.

المخلص

سليم حسن

فى شدة الحيرة

وفى خطاب آخر:

تحريراً فى ٧ أغسطس ١٩٣٥

عزيزى طه

تسلمت جوابك على خطابى وسررت به كل السرور ، ولقد حزنت كثيراً لأنك لم تقابل عبد الوهاب باشا وبخاصة أنه بعد ذلك على ما سمعت وصله خطاب تهديد أو ما أشبه،

ولكن كل ذلك صرخة في واد.

يؤلمني كل الألم أن ألتخذ ضد هذا الشخص إجراءات قاسية ولم يكن بد من اطلاع فخري باشا على الموضوع وهو صديق لي ، وقد أظهر من الاهتمام والشهامة ما جعله في عيني من العظماء بحق.

وقد توصل إلى معرفة أشياء عن هذا الشخص وكتب عنه تقريرا يجعل له وجه الإنسانية عامة وهو الآن معي ولا يزال هو مستمر في بحثه وقد وضع نفسه تحت تصرفي في هذا الموضوع، ولكن رغم هذا تجدني لا أريد الأذى لهذا الشخص الضعيف وبخاصة لأنه في حالة سيئة. وكل ما يؤلمني أن أسمع أن رجال المعهد الفرنسي قد دفعوا له مبلغا من المال، ولكنني استبعد ذلك كل البعد لأقدر ما يصل إليه ذهني. وتجدني الآن في شدة الحيرة: هل أستمروا في عملي لطرده من مصر بأشنع ما يكون أو أتركه يستمر في القضية حتى يجيب وأظهر التقرير الذي معي؟

كل هذا جعلني لا أذوق النوم إلا غرارا ، هذا مع كثرة مشغولياتي العلمية، فما رأيك في هذا، التقرير خطر جدا على هذا الشخص لأنه جعله لا شيء . ومع هذا فيأني أحفظ الذكرى.

وقد طلب إلى فخري باشا أن أكتب للأمن العام وأن أتصل به باستمرار في هذا الموضوع ، وأملني أن ينتهي بأحسن الطرق وأسهلها (.....) ما علينا من كل هذا أرجو أن تكون قد وفقت إلى وجود مكان للراحة في قمة الجبل وأن تكون الست والأثاث علي أحسن ما يكون من الصحة والعافية وأن يكون فريد مسرور في الجبال العالية المريحة.

سأذهب إلى برلين يوم السبت ١٠ أغسطس لأستمر في أبحاثي في القاموس المصري، وبعد ذلك أعود إلى باريس حوالي عشرة سبتمبر ثم أذهب إلى روما (روما) في الوقت الذي ستكون أنت فيه، فلو كتبت لي عن ميعاد ذهابك إلى روما كنت معك في نفس الوقت (.....).

وفي الختام أرجو لك كل الصحة والعافية أنت وجميع الأسرة الكريمة والسيد فريد، وتقبل تحياتي.

المخلص

سليم حسن

فى مطالعة أفلاطون

وفى خطابه الأخير يقول سليم حسن:

عزيزى الدكتور طه

سلامى عليك بقدر شوقى الشديد إليك . وبعد أبعث إليك بهذه الكلمة من برلين بعد أن كتبت لك من قبل وأنا فى باريس على العنوان الذى كتبه فى خطابك لى ، ولم يصلنى منك إلى الآن رداً.

وها أنا أكتب لك أولاً لأستفسر عن صحتك وصحة الأبحال والميدة حرمكم والسيد فريد. أما أنا فقد اعتلت صحى كثيراً للدرجة كنت فيها مع اليأس ولكن الله سلم وأخذت صحى فى التحسن بعض الشئ. لقد كاد الكبد أن يقف دفعة واحدة فأظلم العالم فى وجهى وضاق صدرى ولكن الحالة أحسن (.....). أنا اشتغل الآن رغم المرض فى مطالعة أفلاطون ثم حل رموز لوحة عشر عليها حديثاً فى المعبد الذى يرجع عهده إلى الرعامسة (عشر عليها من بضعة أيام قبل قيامى من مصر).

من الغرائب أن هذه اللوحة الحجرية هى لأكبر أولاد رعمسيس الثانى ويتكلم فيها عن وجود معبد فى الجهة القبلىة الشرقية من الهرم الأكبر وبسميه معبد الوادى، وقد أدهش هذا علماء الآثار عامة.

على كل حال قد أطلت عليك ولكن الصنعة حبكت . وفى الختام تقبل منى كل تحية وكل محبة صادقة.

سليم حسن

فى ٢١ أغسطس ١٩٣٥

أحمد بدوى فى بلاد العجائب

ليس أبلغ للدلالة على شخصية إنسان مهما كان وأيا كان سوى شحة إنسانية بسيطة تظهر معدنه الأصيل وروحه الوثابة نحو الخير، ولم يلفتنى إلى د. أحمد بدوى فى تاريخه العلمى الحافل سوى هذه القصة الواقعية الإنسانية القصيرة البليغة والتي تقول سطورها:

د. أحمد بدوى مدير جامعة عين شمس طلب من وزارة الثقافة والإرشاد علاج موظف يعمل بالجامعة منذ ثلاثين سنة" أصيب بانفصال فى شبكة عينيه، على نفقتها فى ألمانيا، ظهر أن العملية تكلف خمسمائة جنيه، اعترضت اللوائح رجاء المدير. بعث المدير يطلب صرف المبلغ واقتطاعه من مرتبه على أقساط، قررت الوزارة الاستجابة لطلب المدير".

ذلكم هو د. أحمد بدوى المتخرج من جامعة القاهرة بعد أن تتلمذ على طه حسين وشفيق غربال وسليم حسن وسامى جيره، والذي صار فيما بعد أستاذ الآثار، وفتح اللغة المصرية القديمة، واللاهوت المصرى القديم بعد ما تخصص فى ألمانيا حيث نال درجة الدكتوراه فيها، وإليه يرجع الفضل فى الكشف عن كثير من حفائر ميت رهينة، وله مؤلف شديد الأهمية بعنوان "فى مركب الشمس" من جزئين:

فجر الحضارة المصرية إلى آخر ضحاها، وتاريخ مصر الفرعونية من آخر الضحى إلى أول الأصيل. والذي يعترف أحمد بدوى لطفه حسين "والله يشهد - أننى لم أضع منه حرفاً، ولم أسطر سطراً إلا ورأيتك معى تشجعنى، وتعيننى، وتلهمنى أجل اللفظ، وأحسن الرأى"، فلم يتعد أحمد بدوى عن طه حسين، ولم يتعد طه حسين عن أحمد بدوى، رغم أن طه حسين قد حاول عندما كان عميداً لكلية الآداب أن يغير مجرى حياة الدكتور أحمد بدوى بأن يجعله من علماء الأدب العربى، ولكن بدوى أصر على أن يمضى فى دراسته عن فروع مصر، ليقدم لنا أول قاموس عربى هيروغليفى هو "معجم مفردات اللغة المصرية القديمة" بالاشتراك مع هيرمان كيس" أستاذ الدراسات المصرية بجامعة "جوتنجن" بألمانيا، وقدم لنا "وحدة وادى النيل وأسسها الجغرافية ومظاهرها فى التاريخ" - مشترك - كما قدم لنا: "أيام الهكسوس، و"حور محب" وأشرف على إنفاذ آثار النوبة، وعهد إليه بإنشاء أول معهد لتسجيل الآثار فى مصر، وحائز على جائزة الدولة التقديرية. وشغل منصب رئيس جامعة القاهرة، وما بين مولده بقرية أبو جرج بمركز بنى مزار

(*) جريدة الأخبار ٥٩/٩/٨

محافظه المنيا في ١٣ مارس ١٩٠٥ إلى وفاته ١٩٨٠، عاش حياة ملؤها الحب والوفاء والإنسانية، وتجدد في رسالة قصيرة معبرة إلى طه حسين خلال أزمته التي طرده فيها رئيس الوزراء الديكتاتور إسماعيل صدقي لرفضه التعاون معه ومع حزبه المكروه ، تحيد أحمد بدوي عالم الآثار وفقه اللغة الفيروغليفية، يتمتع بحس أدبي سيلمسه في هذه الرسالة ويستمتع به في رسالة أخرى، ولعل إدراك طه حسين لقدرات تلميذه هي التي جعلته يحاول أن يجذبه إلى الأدب العربي، ولكنه انجذب إلى عصر الفراعنة ولم يتخل عن أدبه ككاتب، وأدبه كإنسان، يقول في رسالته إلى طه حسين إبان محنته:

سيدي وأستاذي

لا عجيب يرى في بلاد العجائب ومصر كأم العجائب.

كل شيء على النقيض تنعكس فيها طبيعة الأشياء "وجزاء الحسن أن يساء" ولكنها على الرغم تخدم وأنت خادمها المخلص حثما كنت وكيفما كنت جزاؤك على الله خير.
تحية يحملها الشوق من تلميذكم المتالم الحزين.

أحمد بدوي

يا سيدي الدكتور لو حكمت قلبك دون سمعك

وفي رسالة أدبية بليغة طويلة تلمس فيها روح طه حسين وأسلوبه، نقرأ لأحمد بدوي عتاباً مهندياً إلى أستاذه الذي صدق فيه الواشين فاتهم تلميذه بالجهود والنكران، ولكن الرجل يرى نفسه في هذه الرسالة التي تعتبر من الروائع في أدب الصداقة، فلنقرأها كاملة فهي تشي بما فيها:

أستاذي الجليل

تحية حب ووفاء ، من قلب صورته خراباً من الحب والوفاء!

ولست أومك على ذلك ، فعذرك في الحكم ظاهر ، وحببتك واضحة، تنهار أمامها كل حجة، ويبطل دونها كل دفاع. لأنك رأيت مني غير ما عودتك. ورببتك من أمري جفوة وقطيعة . فلقد كنت ألقاك في الجامعة وأغشى دارك أيام الطلب، ثم أرسلت أيام الغربة . وكنت تبادلني حيا بحب، ووفاء بوفاء. وكنت أجد لذلك لذة لا تفوقها لذة، وغبطة لا تعد لها غبطة ، وفرحة تبلغ بالنفس أبعد غايات الرضا، وتطير بآمانها إلى أبعد ما يصور القلب من آفاق السعادة في هذا الوجود.

لقد عشت في الغربة دهرا، لونت لي الحياة أيامه بألوان مختلفة: منها الأبيض المشرق الذي يسعد النفس ، ويرضى القلب، ويشرح الصدر، ويملا الفؤاد فرحا وأملا. ومنها الأسود المنكر البغيض ، الذي تغتم له النفس، ويتقبض الصدر، ويروع الفؤاد. ومنها الباهت الفاتر الذي تفر فيه الهمة، ويعتل النشاط، ويضعف الأمل.

عرفت هذه الحياة بألوانها المختلفة ، وجنيت من رياضها الباسمة كل ورد ، وروعتي ما حول ورودها من شوك . وشربت من كأسها المرعة كل صاب وشهد. أي والله شربت من ذلك كله بالكبير وبالصغير. وتلك كانت حياتي في دار الغربة: كسل يوم بعمر، وكل ليلة بدهر. وهي والله الحياة التي عرفتها. وأنكرت من دنياي ماعداها ومازلت أذكرها، وأحن إليها، وأردد كلما ذكرتها قول الشاعر :

يومي بأيام لكثرة ما جرت فيه الحياة، وليتني بليالي. رحم الله عهدنا. فإنا أحب أيامها ، وأحن إلى لياليها، بل أحب الأرض التي أمضيتها عليها، والسماء التي أظلمتني فيها. وأحب ما بين الأرض والسماء، من ناس وحيوان، وطير، وحجر، وشجر، وماء، وهواء.

أتدري لماذا ؟ لأنني من الذين يعرفون الحب والوفاء، كأصدق ما يكون الحب والوفاء. ولأنني من الذين لا يرون الوفاء كاملا عند الناس إلا إذا ادخروه للزمان والمكان، كما يدخره بعضهم لبعض. ولأنك كنت معي في كل ذلك ! أي والله لقد كنت معي يومئذ في الزمان والمكان وفي كل ما سلكت من سبيل.

فإنا أراك حين أستقبل الصبح لاضطرب فيما يضطرب فيه الناس من حياة النهار. وأنا أراك حين يفشى الليل النهار فأسعى في حواشيه جادا تارة وعابثا تارة أخرى. أراك معي عند الشدة وحين الرخاء . وعند النعمة وحين البأس ، وفي أفراحي وأحزاني . وحين أكتب وحين أقرأ. ثم أفاك في قاعة الدرس. وما أكاد أغادرها إلا لأدبر معك ألوانا من الحديث حول ما نقلت أو أفدت.

ثم تصرعتي العلة فألقاك عند فراشي معزيا ومواسيا ومشجعا فأحاول أن أشكر لك كل هذا البر، فينعقد لساني لزيق عيناى بعض الدموع. ثم أراك بعد ذلك محزون القلب، متناع الفؤاد، دامع العين ، حين تشيع جنازتي في القاهرة، فأبكي رحمة لك، وشوقا إليك، وإشفاقا من فراقك، ويفزعني كل ذلك ، فأنتفض في التعش، وأحاول مجاهدا أن أفلت من قيود الموت، لأسعى إليك فأشكر لك برك بي ، وعطفك علي، ولأهد لك أبوتك الكريمة ، وأخوتك الصادقة، ولأنني شعرت يومئذ أن قلبي قد كان يتطوى على أشياء، أشفقت أن

يقادر بها الدنيا، وينتهى بها إلى القبر، فيظل مطوياً عليها إلى يوم ينفخ في الصور، وتتفض عنها الهامدين المقابر.

أى والله ، لقد كنت حريصاً على أن استودعها إليك، لأنك أقرب الناس إلى نفسى ، وأحبهم إلى قلبى وآثرهم عندى، وأعزهم لى، وأبرهم بى.

ثم تقع المعجزة الكبرى ، فإذا الله يبعث الميت ، ويرد عليه أبواب الحياة، فلم يكذب يدب على الأرض، ويبلغ السعى مع نفسه وآماله ، حتى يفكر فيك. فيسعى إلى الوطن، ولم يكن له فيه - شهد الله من مآرب غير لقائك، يجب أن يسعد نفسه به كما يسعدنا ببقاء أبويه وعشيرته الأقربين.

ويعود بعد اللقاء الكريم إلى أوروبا ليستأنف دراسته وفي نفسه منه أجمل الذكر، وأطيب الأثر وأحلى الأمانى. وهو لم يكذب يبلغ أوروبا حتى يلقى العلة فى انتظاره، فلا يعاب بها ولا يخاف لها فتكا، ولا يشعر لها ببطش . لأنك كنت معه ، ولأن عطفك وبرك ووفاءك ، قد ملأ صدره بإيمان قوى وآمال عراض . فراح يسعى إلى الخلاص من علة ، وينس آلامها، ويطلب البرء منها، فيستسهل الصعب ، ويستهن بالشدائد، ثم يمضى فى دراسته بأمل الوثائق وإيمان النسى.

ثم يبلغ الوطن آخر الأمر فيلقاك فى انتظاره، لم يلقى عندك من السير والوفاء والمعونة والنصر فوق ما كان ينتظر ، فيمضى فى سبيله وفيها لك ، مقبلاً عليك ، متعصباً لبعض رأيك، فخوراً بحبك، معتزاً بصداقتك ، شاكراً لفضلتك، طامعاً فى رجائك، يذكرك كما يذكر أباه، ويجد لنفسه عليك ما يجد على أبيه من دالة. ثم تجرى بنا أيام الحياة فى الجامعة سهلة هينة، حلوة بسامة ، ولكنها كانت مع الأسف قصيرة الأجل، محدودة العمر. لأن الظروف قد نقلتك من الجامعة إلى ديوان المعارف (لا كان ولا كانت أيامه السود). وإذا بك تطلبنى ذات يوم فاسعى إليك، لأسمع منك أنك ترى من الخير أن تكون حياتى العلمية مشاعاً بين الجامعة ومصلحة الآثار (لا كانت هذه الأخيرة ، ولا كان عهدنا، ولا كان أهلها ، ولا كانت أيامها البغيضة المنكرة). ليتك ما دفعتنى إليها. وليتنى عصيتك يوم أن فتحت لى السبيل إليها.

ترى هل كان فى وسعى يومئذ أن أعصيتك ؟ كلا! لقد كان الأمر أمرك ، وكان الخير فيما ترى . وكنت لا أطيع غير أمرك ، ولا أهتدى إلا بهديك.

قبلت ذلك راضياً ، ورضيت به مسروراً، ولم أكد أمضى فيه غير قليل، حتى رأيتك صاداً عنى ، تدبر حين أقبل ، وتعرض حين أقصد، لا أكاد أزداد فى التصرب منك حتى

تشبث في البعد عني.

وأسائل نفسي عن أسباب كل ذلك فتزداد حيرتي، هنالك عرفت أن الواشين قد لعبوا بينك وبينى، فأسمعوك عني ما لم تُعوِّذ ، وصورونى لك على غير حقيقتى . وإذا بسى فى ديوانك ذات يوم لأسمع منكراً من الأمر، فأسمع أننى سفاح، وأننى أعرف كيف أقتل الناس، بل أعرف كيف أقتل أبر الناس بسى ، وآثرهم عندى، وأحبهم إلى قلبى، وأكثرهم حفاوة بسى، وعطفاً علىّ. ثم أسمع أن رسائل عدة قد دست عليك فى هذا الأمر المضحك المبكى فى آن واحد. وأسمع منك ضحكا من ذلك ، وإنكاراً له، وتندراً عليه، ثم أخرج من عندك مشفق النفس، محزون القواد مرتاع القلب، لا أكاد أتمس فى هذه الدنيا غير ثقتى بنفسى وسخريتى من أخلاق الناس، وغير كلمات طيبات سمعتها منك، فيها استنكار لما افتراه الواشى وفيها طيف من عزاء لتلك النفس المخزونة، التى لم تعرف الحياة بغير الوفاء.

لقد خرج الرجل من عندك يومئذ وفى قلبه حسرة ، وفى فمه مرارة . ثم حاول أن ينسى ذلك سريعاً. ولكنه لم يستطع.

ولولا بقية من إيمان، لألقى عقله ، وأنكر جهده، وجحد مروءته ، ونسى ماضيه ، ولعن الدنيا ومن فيها. ولكنه تاب إلى رشده، وعلم أن الشر فى الدنيا أكثر من الخير، وأن الباطل أشد من الحق. وأخذ يرد نفسه إليك ، فيلقاك مرة ومرات ، ثم يقبل عليك ليراك كما عرفك ، ويلقى عندك ما تعود أن يلقى من مودة ورفق، فلا يكاد يمس من ذلك شيئاً. وإنما هو يلقى منك إغراضاً وفجوراً . وأنا أترك لك وحدك تصوير النفس المخزونة حين تجد عند الأصدقاء إغراضاً وفجوراً.

أما أنا فلا أخفى عليك أننى أنكرت ذلك أشد الإنكار ، وأخذت أفاضل بين كرامة إنسانيتى وبين مظاهر الحب والوفاء ، فأثرت الأولى والتمست العزلة أملاً فى أن ألقى بها شيئاً من عزاء. وما حيلتى وقد علمنى أبى برحمة الله أن أقبل عليه حين يرضى، وأعرض عنه حين يفر، فأتكلم وأستعذب الألم فى سبيل ذلك؟

شاء الله قبل أعوام أن أخرج لقراء العربية كتاباً فى تاريخ مصر – والله يشهد – أننى لم أضع منه حرفاً، ولم أسطر سطراً إلا ورايتك معى تشجعنى، وتعيننى ، وتلهمنى أجمل اللفظ ، وأحسن الرأى. ثم حاولت أن أحمله إليك، فمنعنى – مكرهاً – ما كنت أحسن من إغراض وفجور، واضطرتت إلى أن أبعث به إليك عن طريق لجنة التأليف.

ذلك همّ طويته فى صدرى أعواماً، ثم حملته ثقيلاً خشناً، لأصوره لك اليوم، وقد انتهى إلى على لسان صديق مارميتى به من انعدام الوفاء، فلم ألك، ولم أعتب عليك، وإنما أمت

نفسى.

وإنما السى الذى ألومك فيه، وأستاذك فى الثورة عليه - إن صح أن يستأذن للناس فى الثورة . هو أن تصورنى متقلبا بين الناس، جاريا فى ركاب الوزراء .
لا يا سيدى! معاذ لخلال المروءة، وحاشاى أن أكون من صوِّرت.

فأنا أعلم أنى امرؤ يعرف قدر نفسه ، ويقدر كرامة إنسانيته، ويؤثر الخروج من نعمة الحياة فى الدنيا والآخرة على أن يرى نفسه متقلبا بين الناس ساعيا فى ركاب الوزراء وغير الوزراء. لا يا سيدى الدكتور ارم بذلك من تشاء من الناس، فأنا أعلم أنى أكرم على نفسى ، وأشهر أنى أكرم على الدهر ، وأرجو أن أكون أكرم على الله من أن أزل على هذا النحو.

أحل أن تصورنى كما تشاء إلا على هذا النحو المتكرر.

ولعمري يا سيدى الدكتور لو حكمت قلبك دون سمعك لوجدتني أبرا الناس مما رميت به لديك. إلا أن تظن ما بدا لك والسلام.

ولتقبل منى تحية ود ووفاء والله يحفظك للمخلص

أحمد بدوى

من حسين مؤنس إلى طه:

عن معركة والت ديزنى ٩٩ فى مدريد ٥٤

هو "مؤرخ الحضارة الأندلسية" التى تخصص فيها رغم أنه، فقد كان^(١) د. حسين مؤنس يريد أن يتخصص فى تاريخ مصر، ولكن أستاذه فى السوربون، كما يروى لنا بنفسه^(٢) قال لى : لا أرى أن تكتب فى تاريخ مصر لأنك فيما أرى تحب بلدك حبا لا بد أن يميل بك إلى الهوى، فأبحث لك عن ميدان آخر، وأنا أرى أنك كبت الماجستير فى تاريخ المغرب، فإما أن تكتب الدكتوراه فى المغرب أو الأندلس .

وقد أحب حسين مؤنس الأندلس وتاريخها وحضارتها، ورغم ما قدمه فى هذا المجال إلى المكتبة العربية إلا أنه بكل تواضع العلماء يقول^(٣): "بالرغم من مشوارى الطويل إلا أننى أحس دائما بالسعادة حيث تمكنت من أداء جزء من رسالتى العلمية ، من خلال مؤلفات عديدة من بينها: المشرق الإسلامى فى العصر الحديث ، فتح العرب للمغرب، تاريخ الفكر الأندلسى، عالم الإسلام، رحلة الأندلس ، شيوخ العصر فى الأندلس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس وتراث الإسلام، ابن بطوطة ورحلاته، وغيرها من البحوث، فضلا عن مؤلفات ومترجمات فى الأدب.

ولكن حبه الأول لتاريخ مصر الذى أراد أن يتخصص فيه جعله يضع كتابا مهما عن "مصر ورسالتها" ، وكانت هذه^(٤) أول محاولة علمية لفهم مصر وتفسير تاريخها والتعرف على شخصيتها والكشف عن رسالتها بين الأمم".

ومن أهم الكتب التى قدمها حسين مؤنس للمكتبة الإسلامية "أطلس تاريخ الإسلام" والذى كان من المفروض أن تقوم به لجنة علمية على أعلى مستوى عندما كان يعمل رئيسا لقسم التاريخ بالكويت ولكن فقدان الروح الجماعية فى العمل العلمى جعل المشروع لا يتقدم خطوة واحدة،

(١) مواليد ٢٨ أغسطس ١٩١٩ بمحافظة السويس.

(٢) مجلة الفيصل - السعودية - يونيو ١٩٩١.

(٣) الهلال ديسمبر ١٩٩٣.

(٤) السابق.

قاصر حسين مؤنس على أن ينجز المشروع الكبير وحده من ١٩٧٩ ، إلى عام ١٩٨٣ وعشر ساعات من العمل اليومي، وفقد في هذا العمل عينا ونصف عين فلم يعد يرى إلا بنصف عين مبصرة ، ولكنه مع ذلك كان يشعر بالسعادة الغامرة لأنه يؤدي واجبه العلمي بهمة وإخلاص.

وكان حسين مؤنس هو ^(٤) "صاحب فكرة إنشاء معهد مصري في مدريد يقوم بدراسة اللقاء بين حضارتى الشرق والغرب، إذ كان قد تقدم بمشروع مكتوب بهذه الفكرة (...) للدكتور طه حسين (أثناء توليه وزارة المعارف) وقراء د. طه حسين المشروع المقترح. ولأنه كان ذا بصيرة وأفق ذهني واسع ، وافق مبدئياً على المشروع واستمر (حسين مؤنس) وراء مشروعه هذا حتى أوجدت له الوزارة الميزانية المطلوبة، ثم (...) تحقق مشروع المعهد وأصبح له مكان ووجود" وحدث أنه بعد إنشاء المعهد في عام ١٩٥٠ لم يعين حسين مؤنس أول مدير له، ولكن الرجل رغم ضيقه باعتباره صاحب المشروع إلا أنه كان سعيداً بطروجه إلى النور إلى أن صار مديراً للمعهد بعد ذلك فوضع من أجله كل جهده ليصير مصدر إشعاع حضارى إسلامي. وكان على اتصال دائم بطه حسين في كل خطواته وإنجازاته، ويتذكر حسين مؤنس أول علاقة له بالعميد ^(٥) "سمي صوتي أول مرة وهو في مقعد العمادة ولكن عندما لقيته للمرة الثانية وجدت أن صوتي قد تطبع في ذهنه، فعرفني لأول ما فتحت فمي، ثم لاحظت بعد ذلك أن ذهن ذلك الرجل يشمل الدنيا كلها" وتذكر ابنة حسين مؤنس ما حكاها لها والدها عن فضل طه حسين عليه فتقول ^(٦) "من الأشياء التي لم ينسها أبى أبداً للدكتور طه حسين أنه هو الذي رشحه في البعثة التي سافر بها إلى أوروبا ونال بها درجة الدكتوراه. وحكى أبى أنه كان عليه أن يقوم بكشف طبي كامل قبل سفره للخارج (كان شينا مثل القومسيون الطبي الحالي)، ونجح أبى في جميع الفحوصات إلا في كشف النظر فكان طوال عمره يعاني من نظر ضعيف، وكان هذا العجز سيمتعه من السفر. فذهب للدكتور طه حسين وحكى له ما حدث - وكان على ما أظن في وزارة المعارف حينذاك - فأمر بالإعفاء من شرط النظر".

وتواصلت العلاقة بين حسين مؤنس تلميذاً وأستاذاً ومستولاً عن معهد مدريد، وبين طه حسين ، ويخبره بفكرته في رسالته التالية والتي ينوي تنفيذها بإطلاق اسم طه حسين على قاعة محاضرات المعهد "تقديراً للفضل".

(٤) في بيت حسين مؤنس - مجلة أكتوبر - ٨ ديسمبر ٩٦.

(٥) أكتوبر ٢٨/٨/١٩٩٥.

(٦) في بيت - السابق.

الطسلاوة

يقول حسين مؤنس:

سيدي وأستاذي

تحية واحتراما وبعد

لإني أعتذر إليكم عما أضيعه من وقتكم بهذه السطور، وأعتذر كذلك عن تأخري في الكتابة إليكم، والسبب في التأخير أنني كنت أحسب أن ليس لي من نفسيكم موقع يسمح لي بمخاطبتكم، وقد ظلمت على ذلك حينما حتى تحدثت إلى صديقي الأستاذ "غومس" فأراح نفسي من هذه الناحية، وفهمت منه أنه لا زالت لي في نفس أستاذي بقية من حسن الظن تسمح لي بالتفضل بالكتابة، ويعلم الله مدى عرفاني بجميلكم.

وأحب أن أؤكد لكم أنني بازل أقصى الجهد في تهيئة هذا المعهد على الوجه الذي يمكنه من أداء رسالته كما رسموها له. وقد انقضت عليه فترة من عدم الاستقرار بسبب وضع أموره بين أيدي غير المتخصصين، ولكن كل شيء يسير الآن سيراً طبيعياً، وأنا اجتهد في أن أفرغ من مهمتي خلال الأشهر الباقية لي من عام الانتداب.

وقد كانت في نفسي فكرة كنت أتحين الفرص لإبرازها إلى حيز الوجود، ثم تحدثت إلى الأستاذ "غومس"، في أن نضع لوحة تذكارية في المعهد باسم المرحوم أحمد زكي باشا، إذ كان في الحق أول من لفت النظر إلى أهمية الدراسات الآسيوية، وقد اتفقنا على تنفيذ الفكرة، ووجدت أن الفرصة سانحة لتنفيذ فكرتي في نفس الوقت، وهي أن نطلق على قاعة المحاضرات في المعهد اسمكم تقديراً للفضل، واعترافاً بالجميل، وسيتم الأمران بإذن الله في يوم واحد.

وتعلمون كذلك أن الأستاذ "غومس" قد ترجم كتاب "الأيام"، والترجمة الآن في المطبعة، وقد كتب مقدمة لها غاية في العمق والطلاوة، وقد رأيت أن أترجمها إلى العربية، وأنشر الترجمة في المجلة في عددها الذي نعهده الآن. وسيعطيني أصول المقدمة بعد غد لأترجمها.

معذرة عما أضعت من وقتكم، وألف شكر على ما سبق من فضلكم عليّ وعلى هذا المعهد.

المخلص

٥٤/١/٢٠ م

حسين مؤنس

المعهد المتنافس

ويحاول حسين مؤنس تدعيم دور المعهد المصري بمديره في مواجهة المنافسة التي يلقاها من معهد الثقافة العربية ، الذي أنشأه الأسبان، ويفاجئنا بالدور الذي يلعبه بعض ممثلي الدول العربية المتعاونين مع المعهد الأسباني، مما يجعلنا نربط بين ما فعله بعض العرب في الخمسينات وما فعله بعض العرب في التسعينات عندما دعموا شركة والت ديزني في مواجهة الموقف الذي أراد العرب اتخاذه ضدها حينما سمحت بالبروج لفكرة أن القدس إسرائيلية في معرضها ١٩٩٩ بأمریکا، وبعد أن كانت الشركة على وشك اتخاذ موقف تزاجع فيه، اتصلت بها بعض الدول العربية لطمانتها من عدم اشراكها في المقاطعة التي اعترز العرب اتخاذها إذا ما استمر الجناح الإسرائيلي في المعرض بروج لفكرته التي تتعارض مع الحقوق العربية ، فما أشبه اليوم بالأمس.

يقول د. حسين مؤنس في رسالته ونصها:

وزارة المعارف المصرية

المعهد المصري للدراسات الإسلامية

مديره - أسبانيا

سيدى وأستاذى

تحية واحتراما

أتشرف بأن أقدم إليكم المجلد الثاني من صحيفة المعهد، وهو يضم العديدين الأول والثاني لهذا العام، وقد جعلناهما في مجلد واحد، نظرا لتأخر الكثيرين في تقديم أبحاثهم في الموعد الذي كان محددًا لصدور العدد الأول. وترون من تصفح المجلد أنني حرصت على أن أضع به أساساً لما سيصدر من أعداد هذه الصحيفة في الأعوام المقبلة، وقد استعنت في ذلك بخير ما وجدت من نظم ترتيب المجلات العلمية ، وأضفت بابا لتقد الكتب قمت بكتابة معظمه بنفسى، وبابا للأنباء قمت بتحريره أيضا، وجعلته معرضا لنشاط المعهد والنشاط المصرى الثقافى العام فى أسبانيا.

والمجلد يضم أحد عشر بحثا لباحثين مصريين فى القسم العربى، وخمسة أبحاث فى القسم الأفرنجى، منها اثنان بأفلام مصرية . وجعلت فى نهاية القسم العربى بابا خصت فيه الأبحاث المنشورة فى القسم الأفرنجى، وكذلك قمت بتلخيص المقالات العربية فى نهاية القسم الأوروبى.

وقد نشرت في العدد الترجمة العربية لقدمة الترجمة الأسبانية لدرة الأدب العربي الحديث، وهي كتاب "الأيام"، وقد راجع الترجمة "غوسية غومس" وأقرها. وبعد، فهذه يا سيدي ثمرة متواضعة من ثمرات غراسكم، فإن هذا المعهد مدين لكم بوجوده، ومع أنني أنتظر بين لحظة وأخرى أن يصلني الأمر بالرحيل، فيأني أرجو أن تضيفوا إلى أفضالكم على هذا المعهد فضلا جديداً، فبعثوا إليه بمقال يكون فاتحة العدد الأول من المجلد الثالث بإذن الله.

وقد كتبت إلى الوزارة أكثر من مرة أرجو أن تتخذ قراراً بشأن انتدابي هنا، وعلمت أن الوزارة تفضلت فطلبت إلى كلية الآداب تجديد الانتداب، فاعتذرت، فرجوت انتداب زميلي وتلميذكم الدكتور عبد العزيز الأهواني، ولازلت أنتظر ما يستقر عليه الأمر.

والمواقع أنني في حرج شديد، لأن صالحى الشخصى يستدعى عودتى إلى الجامعة بسبب ما أحمله الآن هناك من مسئولية كبيرة، وأنا أخشى فى نفس الوقت أن يوكل هذا المعهد بعدى إلى غير مختص فيضطرب أمره من جديد ويعجز عن أداء رسالته، ونحن اليوم فى منافسة شديدة لا يخفى على سيادتكم أمرها، فإن الأستاذ "بروفنسال" مع صداقته لنا يضاعف الجهد فى الأندلسيات ليصغر شأن المعهد المصرى بالنسبة إلى معهده هو فى باريس، بل هو يجتهد فى التدخل فى شئوننا ويرجو أن يفرض علينا وصاية تؤذينا، وقد اجتهدت هذا العام فى دفع هذه التيارات كلها، وأنا أسرُّ إليكم بذلك، لأنه سيكون فى القاهرة عن قريب، وسوف يحوم حول هذه الأمانى فى أحاديثه معكم ومع المسئولين.

ومن ناحية أخرى أنشأ الأسبان معهداً جديداً سموه "معهد الثقافة العربية الأسبانية" رئيسه الأستاذ "غوسيه غومس"، وهدفه البعيد إحلال أمر المعهد المصرى بمزاجته فى ميدان عمله، ومن أسف أن بعض ممثلى الدول العربية هنا يعينونه على ذلك ويعملون على استدعاء أساتذة من بلادهم للمحاضرة فى المعهد الأسباني من ناحية، ونشر أبحاثهم فى المجلة التى سيصدرها من ناحية أخرى، إلى أشياء أخرى يطول شرحها وليس مقامها هذه السطور. وهذا هو الذى يجعلنى أميل إلى التضحية بل المخاطرة بمصالحى فى سبيل حماية هذا المعهد، والحفاظة على رسالته. ولو أتى الأهواني لاطمأنت بعض الاطمئنان. لقد أطلت عليكم بهذا الحديث، ولكننى أعرف أنه يهمكم، ولهذا أذنت لنفسى فى الاستطراد. مع أصدق التحيات وأخلص الشكر.

تلميذكم

٥٤/١٠/١١

حسين مؤنس

سعد زغلول

ينقذ مصطفى مشرفة من لطف السيد!

كان د. علي مصطفى مشرفة باشا، أول مصري يحصل على الدكتوراه في العلوم^(١) وفي سنة ١٩٢٦ طلب من جامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) أن تعينه أستاذا للرياضة، فأبى المدير وكان وقتئذ لطفى السيد باشا وبلغ الأمر "سعد زغلول" وكان رئيسا لمجلس النواب ، فسأل لطفى باشا: لماذا يرفض تعينه ؟ وكان الجواب: أن علي مشرفة لم يبلغ الثلاثين.. قال سعد: إن صغر السن لا يجوز أن يحول دون الانتفاع بمواهب الناخبين". لقد كان مشرفة كذلك أول من حصل على دكتوراه في الفلسفة ، وأول عميد لكلية العلوم، وله أكثر من ٢٥ بحثا علمياً في علوم الرياضة الطبيعية، وله أكثر من ١٢ كتاباً علمياً في مختلف نواحي النشاط العلمي، وقد دعت^(٢) "جامعة برنسون" الأمريكية لإلقاء سلسلة من محاضراته القيمة في الذرة (في بلد الذرة) كأستاذ زائر فيها ، وفي المرة الثالثة ١٩٤٧ في هذه الجامعة تقابل مع ألبرت أينشتاين أحد عباقرة العلم وأكبر علماء الطبيعة عند نيوتن، صاحب النظرية النسبية التي أدت إلى صنع القنبلة الذرية.

وقد لفت مشرفة نظر ألبرت أينشتاين بعمله وعبقريته الممتازة وقال عنه بالحرف الواحد: إن هذا العالم المصري القذ صاحب عبقرية ممتازة. لقد ألقى مشرفة عددا من المحاضرات القيمة في الذرة حضر إحداها ألبرت أينشتاين وصدق له". ولم يكن مشرفة عالماً فقط بل^(٣) "كان فناناً أتقن العزف على البيانو والكمنجة وألف قطعاً موسيقية ، وترجم بعض الأوبرات إلى اللغة العربية واشترك في إنشاء جمعية موسيقية لتمصير الموسيقى الأجنبية ، وكان يترجم الأغاني الإنجليزية إلى اللغة العربية.. شعراً".

بل إن مشرفة كتب رواية لم يستكملها هي "قنطرة الذي كفر" ، عن ثورة ١٩١٩، التي حولت بطل الرواية الشهير، بقنطرة ،^(٤) "من متملق وضع لا يعف حتى عن القوادة إلى بطل فدائي يقدم

(١) المصور ١١/٢٧/١٩٥٠.

(٢) أكتوبر ١٦/٧/١٩٩٥.

(٣) المصور السابق.

(٤) الجمهورية د. شكوى عباد. ١٩٩٦/٩/١٥.

على الموت مطمئنا في سبيل بلاده، ورغم أن الرواية مكتوبة باللغة العامية إلا أن الناقد الأدبي د. شكرى عياد يؤكد^(٥) "أن رواية الدكتور مشرفة تظل درسا عظيماً في الفن الروائي لأنها تستعمل هذه الوسائل كما ينبغي".

لقد كان^(٦) مشرفة نابغة وعبقريا متعدد المواهب، إنه يقول^(٧) "في أعماق كل عالم فنان .. هذا إذا صح أنى عالم" لقد كان أول عالم مصرى يشترك في الموسوعة العالمية للشخصيات العلمية، طبعة نيويورك ، وطبعة لندن.

^(٨) ونحن لا نكاد نتذكر أحداً من علمائنا على امتداد القرن العشرين ... الذى يوشك على الأفلول ... سوى د. مصطفى مشرفة الذى يحتفل بمئويته والذى ارتبط اسمه كواحد من عشرة في العالم يفهمون نظرية النسبية "لأينشتين" ناهيك عن بروز اسم د. أحمد زويل في القصة الأخيرة، غير أن وجود عالين أو ثلاثة إذا أضفنا اسم د. فاروق الباز عالم الفضاء الذى رسم خريطة للقمر حتى قيل إنه يعرف سطح القمر كعرفته لكف يده، عدد لا يكفى (وإن كان لطفه حسين رأى آخر حول ندرة العلماء سنورده من خلال نص مجهول له عن د. مشرفة) على مدى قرن من الزمان لكى يقول شعب إنه دخل عصر العلم أو أن أبنائه قد شاركوا في المسيرة العلمية العالمية ، خاصة إذا علمنا أن هذه المساهمة نصب خارج بلادهم لا داخلها. ولعل ذلك يتعلق أساساً بدقة التخصصات العلمية التى قد لا تتوافر في بلادهم النامية ومن ثم تصبح الاستفادة بهم غير ممكنة. وإن كانت د. فينيس كامل وزيرة البحث العلمى السابقة قد علقت هذه المسألة على قلة الإمكانيات حين ذكرت في حوار مشهور لها بمجلة "المصور" الغراء أثناء وجودها بمنصبتها أن ثمانين بالمائة من ميزانية البحث العلمى تذهب كمرتبات ولا يبقى للبحث العلمى ذاته سوى عشرين بالمائة ، مما يجعلنا نساءل: لماذا؟ ونعتقد أن الإجابة ضرورية جداً لإعادة النظرة في هذه النسبة أو هذه القسمة التى يجب أن تصب لصالح البحث العلمى لأنه لم يعد هناك مجال في العالم سوى للأقوياء. والقوة هنا هي القوة العلمية في المقام الأول لأنه على أساسها تبنى أى قوة كانت سواء سياسية أو اقتصادية أو عسكرية ، حيث لم تعد القوة بمقدار ما تمتلك من وسائلها كمستهلك لها ولكن بمقدار ما تمتلك من مواردها كصانع لها. ومن هنا لم يكن مستغرباً أن يموت يحيى حقي - أدينا الكبير - وهو يقول "أعطوني ولو ربع مخترع".

(٥) السابق

(٦) مواليد ١١ يوليو ١٨٩٨ بدعياط.

(٧) الهلال سبتمبر ١٩٦٢.

(٨) مقال للمؤلف نشر بأهرام ١٠/٧/١٩٩٨. بمناسبة مئوية مشرفة.

وإذا كانت بداية دخولنا عصر العلم قد بدأت مع د. علي مصطفى مشرفة فإن الاحتفاء بمنويته تصبح حقا ليس واجبا فقط بل ضروريا ولازما لكي نغرس في نفوس الأجيال الجديدة قيمة العلم والعلماء ليصبح رجل العلم قدوة يقتديها الشباب ويتمنوا التمثل بها كما يحدث بالنسبة لأهل الفن وأهل الرياضة.

وقد اخترنا أن نحفل بمصطفى مشرفة من خلال وليقتين : إحداهما خطاب لم يسبق نشره أرسله العالم الكبير إلى د. طه حسين الذي كان الجميع يتحلقون حوله ويراسلونه ويזורونه باعتباره رمزا لعصرهم أو كأنه أباهم، يستوى في ذلك أهل الأدب وأهل العلم.

وقبل أن نقرأ خطاب مشرفة إلى طه حسين ينبغي أن نتعرف على علاقته بطه حسين. وهي علاقة يحدثنا عنها العميد نفسه في الوثيقة الثانية وهي نص مجهول تحت عنوان "كلمة حضرة صاحب المعالي الدكتور طه حسين بك وزير المعارف العمومية في تأبين المغفور له الدكتور مصطفى مشرفة باشا وذلك في مساء يوم الأربعاء الموافق ٨ مارس ١٩٥٠" كان مشرفة بالنسبة لطه حسين كما يقول "الصديق الكريم والزميل العزيز والأخ الوفي، الذي لم يعرف إخاؤه ضعفا ولا وهنا على اختلاف الظروف".

أما مشرفة العالم فقد رأى فيه العميد "مثلا قائما للجد والدرس والتضحية في سبيل العلم، مثابرا على المكروه في سبيل العلم والطموح المتصل الذي لا يعرف الضعف ولا الوهن في الوصول إلى المثل العليا، واتخاذ المادة وسيلة لا غاية".

وأما قيمة مشرفة لبلده فهو فيما بدأه "من تكوين جيل من أجيال الشباب العلماء بطبيعة الحال.

كما أن قيمته ظهرت في أن "مصر كلها امتحتت في علم من أعلامها بل ومن أعظم أعلامها ارتفاعا وبعد ذكر في الآفاق".

ثم يؤكد طه حسين حقيقة ندرة هذا الصنف من العلماء حين يقول "فأمثال مشرفة من النابغين النابهين الذين يرفعون ذكر أوطانهم والذين يضيئون منار الإنسانية بالعلم والمعرفة - أمثاله قليلون، إذا خسروا الوطن فلا بد له من صبر طويل، وانتظار مستطيل قبل أن يقصر بمن يخلفهم . وإذا فقدهم فلا بد له كذلك من الانتظار حتى يجد من يتم ما بدأه".

أما رسالة د. علي مصطفى مشرفة إلى د. طه حسين فعلى قصرها فسوف تكشف لنا عن الكثير... تاريخ الرسالة "اللاتين" ١٨ يوليو ١٩٣٨ ويقول نصها:

سيدي العزيز الدكتور طه بك

أشكرك على مساعدتك القيمة وعلى لطفك الذي لن أنساه.

لم أسمع بعد بنتيجة مساعي بعد، وقد كتبت اليوم أسأل. على العموم إذا حصلت على الوظيفة فسوف أكتب لك بذلك.

هذا وأنا أتمنى لك أجازة سعيدة وأرجو أن تتقبل تحياتي واحترامي.

المخلص مصطفى مشرفة

أما محتوى الرسالة فيدل على شيئين هما من أخص صفات طه حسين:

مساعدته للتابعين ومساعدته للمحتاجين.

وكلا الأمرين شيء واحد تلخصه كلمة "العطاء" فهو في الجامعة ينتقط النبهاء التابعين. ويأخذ بيدهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، حتى يبرز نبوغهم، وفي خارج الجامعة يقدمهم إلى الناس ويشجعهم بكلماته وينشئ وجودهم، فمن يحتاج إلى بعثة يسهلها له. ومن يحتاج إلى تقديم يقدمه. ومن يحتاج إلى وظيفة يساعده إليها ويسرها له عند أولى الأمر.

وفي حالة د. مصطفى مشرفة فما هو ياترى نوع المساعدة "القيمة" التي قدمها طه حسين لمشرفة. ليس لدينا ما يؤكد نوعية هذه المساعدة ولكن نرجح أنها إما كتاب نادر، أو مجموعة كتب علمية نادرة يبحث عنها مشرفة ، فنجح طه في العثور عليها له، وإما تعريفه بمجموعة من العلماء الأجانب أفاد منهم مشرفة.

أما الوظيفة التي يتحدث عنها مشرفة فكما هو واضح من الرسالة أن طه حسين قد توسط لأحد من يتوسط لهم في الحصول على وظيفة في اتجاه قدرة مشرفة على توفيرها. وبين أيدينا رسالتان من الشيخ المراغي، والشيخ الباقوري يجيان فيها طه حسين إلى وظيفة أرادها لاثنين من تلامذته قد تتوافر لهما مناسبة أخرى في غير هذا المقام.

وتدل الرسالة الوحيدة النادرة التي أرسلها مشرفة لطه حسين على أن طريق الرسائل لم يكن هو وسيلة التلاقي بين رجل العلم ورجل الأدب. بل كانت الزيارات المتكررة هي الوسيلة الأوفر حظا ونصيبا في الحوار بين طه حسين ومصطفى مشرفة كما يدل حديث العميد عن آخر عهده بمشرفة قبل رحيله في النص المجهول المشار إليه سابقا حين يقول مخاطبا مشرفة:

"وإنني لأذكر ذلك الحديث الذي تحدثت به إلي في التليفون ذات مساء حين أخذ النهار ينقضي مجرأ أذباله الشاحبة. وحين أخذ الليل يقبل مرسلا ظلماته القاتمة - دعوتني فأسرعت

إلى التليفون وتحدثت إلى .. فكان صوتك بعيدا وكان صوتك ضعيفا . وكان أشبه الأصوات بصوت المتحدث حين يتحرك القطار، يتحدث من النافذة فيسمع إليه الواقفون، وإن حديثه ليشترش شيئا فشيئا.

كنت ترسل إلى تحياتك من بعيد، وكنت تبتني بأنك مريض، وبأن المرض هو الذى آخر زيارتك لى، وبأنك ترجو أن تخرج غدا أو بعد غد، ثم تزورنى، فما أكثر ما بينك وبينى من حديث.

وكنت الخ عليك فى الأتعجل الخروج، فإن خروج المرضى قبل أن يتم لهم البرء خطر بغضب، ثم أصبح فأسمع نعيك يأتى من بعيد، فيصعقنى ، كما جاءتى أمس تحياتك من بعيد فملأت قلبى حيا وحنانا وذكرى، ثم نسعى فنشيع جنازتك ذاهلين، لنسعى أقدامنا وتتحرك أجسامنا ولا تصدق عقولنا، ثم تمضى الساعات وتمضى الأيام ونفتقدك فلا نراك".

ولكن طه حسين يفرق بين حياتين:

"فإن الأحياء حين يفارقون هذه الدنيا لا يفرون فى قبورهم وحدها إلا أن يكونوا من الأحياء الذين ليس بين حياتهم وموتهم فرق، فأما الأحياء الذين تنفع حياتهم والذين تعمير حياتهم بالجد والطموح فى المثل الأعلى ، فهؤلاء لا يقرو فى قبورهم إلا أضعف أشخاصهم وهو الجسم، أما قبورهم الخالدة المتجددة الحياة التى توعد وتشر العبرة وتشجع على الحياة وتشجع على احتمال المكاسره - قبورهم هذه الخالدة - فهى فى قلوب الذين عرفوهم واتصلوا بهم. وما أشك فى أن لشرفة فى قلوبنا جميعا مكانا ممتازا من هذه الأمكنة".

محمد عوض محمد .. كن طه حسين!

تعتبر^(١) مؤلفاته الجغرافية بمنزلة اللبنة الأولى في المكتبة العربية الراهنة، بل إنه اشتهر وهو في مدرسة المعلمين العليا بقصيدة وطنية استلهمها من ثورة ١٩٠٩، وحين نشرت في "الرسالة" علق عليها طه حسين بقوله "إن شعر هذا الجغرافي لا تنقصه الروعة".

وكان مترجماً متمكناً أجاد قواعد اللغات الإنجليزية والفرنسية والفارسية والتركية والألمانية التي ترجم منها مباشرة "لفاوست" شعراً كالأصل قال عنه طه حسين أيضاً في مقدمته "لقد بهرتني الترجمة العربية فما يتقضى إعجابي بها وما أجد إلى تحقيق الثناء عليها سبيلاً" وكان د. محمد عوض محمد (مواليد ٣ مارس بالمنصورة ١٨٩٥) عالماً باللغة العربية أيضاً - كما يقول عنه د. محمد سليمان عضو النجم اللغوي "وعوض عالم لغوي خبير بالنحو والصرف، متمكن من قواعد اللغة"، وقد انتدب لتدريس الأدب في معهد الدراسات العربية العالمية.

رشحته مكاتته للمشاركة في وضع ميثاق الأمم المتحدة، وإعلان حقوق الإنسان، يسر عهد إليه بوضع الوثيقة الخاصة بالرق، وتواصل عمله بهذه المنظمة الدولية بانتخابه عضواً بالمجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو، ثم باختياره عضواً بلجنة حقوق الإنسان التابعة لها، ويجسد اهتمامه العلمي بإفريقيا وشعوبها، بتأسيس معهد الدراسات الأفريقية، بالقاهرة، ويعين وزيراً للمعارف ١٩٥٤ لفترة قصيرة يعود بعدها للجامعة، ثم ليقضى سنواته التالية عاكفاً على مؤلفاته ومترجماته استكمالاً لمشروعه المزدوج في الجغرافية والأدب، ومن كتبه المهمة في هذين المجالين: فن المقالة، فن الترجمة، حديث الشرق والغرب، ملكات الجمال، سكان هذا الكوكب، التوجيه الأدبي (بالاشتراك مع طه حسين)، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية، نهر النيل.

وقد قال عنه د. مهدي علام أنه "أول من كتب الجغرافية بلغة أدبية".

وفضلاً عن هذه الثقافة الموسوعية التي يتمتع بها محمد عوض محمد، فقد كانت له مواقف وطنية وشخصية تعبر بصدق عن مقولة أن: الرجل هو الموقف، فقد اعتقل^(٢) وهو في السنة النهائية بمدرسة المعلمين العليا، حيث شارك في قيادة الطلبة في مظاهرات ضد الإنجليز قبل ثورة ١٩٠٩ بثلاث سنوات، ونفى إلى جزيرة مالطة قبيل نفي سعد إليها، ثم عاد ليحصل على دبلوم

(١) د. عمر الفاروق -- مجلة العربي أغسطس ٩٦، وأهرام ١٩٩٥/٣/٣.

(٢) إبراهيم الأسويطي خلال إبريل ١٩٧٤

المعلمين العليا من منازلهم ، ثم ذهب في بعثة دراسية إلى إنجلترا ليتخصص في الجغرافيا التي اختارها بدلا من التاريخ، حيث كانت البعثة المطلوبة لذين التخصصين فقط، وقد رأى أن تخصصه في التاريخ في هذه البعثة سيجعله يدرس تاريخ إنجلترا أكثر من أى تاريخ آخر. كما تقضى المناهج بذلك، فآثر أن يدرس الجغرافيا ، فحصل على البكالوريوس من جامعة "ليفربول" ، ثم حصل في عام واحد (١٩٢٦) على الماجستير ، ودكتوراه الفلسفة من جامعة لندن.

وحينما كان محمد عوض محمد في مؤتمر اليونسكو لتمثيل مصر في المجلس التنفيذي ليونسكو ، حدث العدوان الثلاثي، فوقف يهاجم هذا العدوان، واستطاع أن يجذب عتلى الدولى الأخرى للتصفيق له ويجعلهم يخطبون منددين بالعدوان ، ولأول مرة في تاريخ اليونسكو يفشل ممثلو فرنسا وإنجلترا في الانتخابات.

وقد اشترك د. محمد عوض محمد مع الدكتور طه حسين في الجهاد العلمى الأخلاقى بالجامعة وترسيخ تقاليدها، واشترك مع طه حسين في رفض منح الدكتوراه الفخرية لبعض السياسيين ، من كلية الآداب، كما كانت تريد حكومة صدى، وذلك حفاظا على كرامة الجامعة وقديستها من استخدامها في السياسة والمجاملات، وكان العقاب لطفه حسين عميد كلية الآداب بإحاطته إلى التقاعد، والعقاب محمد عوض محمد الأستاذ بكلية الآداب، بنقله إلى مدرسة التجارة^(١) "فآثر محمد عوض محمد الاستقالة ، ولكن طه حسين رفض وقال له: لا تقدم استقالتك يا عوض فسوف نقسم مرتبك لتعيش منه نحن الاثنان.

وفعلا لم يقدم الدكتور محمد عوض محمد استقالته وظل في وظيفته يقتسم كل شهر مرتبه مع الدكتور طه حسين".

كن طه حسين (٢)

وأول خطاب من خطابات الدكتور طه حسين كان خطابا أرسله لصديقه من روما وهو يمثل مصر في مؤتمر المستشرقين بروما في ٣١ أغسطس عام ١٩٣٥ . والخطاب يعد وصفا فكاهيا لحال أهل بيت طه حسين وهم يتهياون للسفر، ويطلب منه فيه أن يمثل في حفل تكريم الأستاذ "ليتمان" فكتب يقول :

(١) مع البار بآخر ساعة ١٣/٦/١٩٧٩.

(٢) المصدر السابق.

أخي العزيز

أدركتي كتابك الطريف صباح اليوم قبل أن ترحل عن "سانش" ولست أكتب هذا ردا على ما في كتابك من فن، فإن ذلك يحتاج إلى هدوء لا سبيل إليه في يوم تحزم الأمتعة وتتهيأ الأسرة فيه لسفر مهما يكن قصيرا فليس بينه وبين السفر الطويل فرق فيما يحس جمع المتفرق، وتفريق المجتمع، وحمل الأثقال وما يتصل بذلك من الأمر والنهي ومن الزجر والوعيد .

إنما أكتب إليك لأرجو منك مع الشكر الكثير أن تقوم عنى بالرد السريع على الذين يريدون تكريم الأستاذ "ليتمان" ، فأنا حريص جدا على أن أشرك في هذا التكريم، ولست أدري كيف أكتب إلى هؤلاء الناس ولا كيف أرسل لهم ، فأكتب إليهم بالنيابة عنى، وتقبل في سبيل ذلك شكرا كثيرا ، ولكن أحب أن تكتب باسمي أنا لا باسمك أنت، أى تفرض أنك طه حسين. وكم أحب أن يكون هذا الفرض صحيحا ، إذن لاحتملت أثقالا لا أدري كيف تحتملها ولا كيف تستقبلها، ولكن هذا يصلح موضوعا لقصة طريفة ما أظن أن أحدا يحسن كتابتها غير "أوسكار وايلد" ومهما يكن من شئ فكن طه حسين ساعة من نهار، وأكتب إلى هؤلاء الناس فقل لهم: إن كتابهم لم يصل إلى إلا بعد أن طوف فى أقطار الشرق والغرب، وإنى أشاركهم بكل قلبي فى تكريم الأستاذ العظيم ، ثم ضع عنوانى فى مؤتمر المستشرقين بروما حتى لا تكتبوا إلى فى برلين حيث أنت .

أما بعد فإنى استغفر الله فإننا جميعا آسفون لأنك لاتستطيع أن تلقانا فى انس.

ولست أدري لماذا استقبل مؤتمر المستشرقين كارها له معرضا عنه فى هذه المرة ، ويكفى انى أهين له شيئا، ولعلنى لا أهين له شيئا، فقد مضى الوقت أو كاد.

وما رأيك فى هذه الحرب المقبلة أتحبها أم تبغضها ؟ أنتظر منها لمصر خيرا أم شرا؟ أظن أنها ستضعف الإمبراطورية البريطانية؟ أما أنا فأذكر مقالك الخطير، والاحظ كل يوم أن جماعة من كبار السياسة الإنجليز يكتبون فى الصحف الإنجليزية مقالات تذكر بهذا المقال التاريخى العظيم الذى يدل على أن نبوءتك لم تكن أدبية ولا فلسفية، وإنما كانت نبوءة عالم يتفن الجغرافية بعض الاتقان، على أنى أكره الحرب وأشفق منها وأتمناها مع ذلك بقسوة لأننى أنتظر منها ضعف أوروبا. وتقدم الشرق نحو الحرية، فهل ترانى مخطئا؟

وبعد فقد أطلت، ويبقى أن يسافر هذا الكتاب الآن، فتقبل منا جميعا تحية فيها أسف كبير وحب لا حد له ، وسأكتب إليك متى استقر بنا المقام فى السن.

طه حسين

شاهد على عصر هتلر

وبين أيدينا رسالة للدكتور محمد عوض محمد أرسل بها في ألمانيا سنة ١٩٣٩ والحرب على الأبواب، ومن هناك يصف أجواء الحرب التي تباها، وهي شهادة هامة جدا من قلب الأحداث المتسارعة. يقول:

في ٢٦ أغسطس

أخي العزيز

تحية صادقة ، وسلاما عظيما

لست أدري أيهما أكثر نجهما، وتليدا بالغمام، أجو هذا البلد الأمين، المنعزل عن العالم، أم جد السياسة الحمقاء: الذي يزداد كل يوم نجهما واكفهراراً. ولست أنكسر عليك أنتى حينما كنت بألمانيا - ولم أبرحها سوى أمس - كان الاستعداد للحرب على قدم وساق. فقد عطلت جميع الأعمال تقريبا والصناعات، مكشفة برقع أو بثلت عمالها، بينما الآخرون يعملون فيما له صلة بالحرب من قريب وبعيد؟ ولقد رأيت أسوار المنازل الحديدية تستزع ، ويقام مكانها أسوار من الزرع . لأن ألمانيا تريد ألا تترك قطعة من الحديد يمكن الانتفاع بها.

وكان الناس يعطون ربع كيلو - استغفر الله بل مائة وثمانين جراما - من الزبدة كل اسوع، إذ لا بد من التوفير للأيام العصية . ولقد رأيت بعضى الشبان حتى طلبه الخريبة والبرية يؤتى بهم من أقاصى البلاد للإسراع فى جمع المحصول، ولا تزال فى ألمانيا جهات تحتاج إلى بضعة أيام أخرى لكي يتم فيها هذا العمل.

فأمامنا بضعة أيام للتفكير ، قبل أن تقوم الحرب التي لم يعد من قيامها بد.

وقد تركت ألمانيا منذ ثلاثة أيام حينما رأيت الأزمة قد تناولت البنزين الذى تغذى به أوليفيا. فقد مرت ثلاثة أيام لم ير الناس فيها البنزين إلا شيئا يسيراً ، ثم انفجرت الأزمة يوماً أو يومين، وكنت حينئذ على سواحل البحر البلطى، وبينى وبين سويسره ألف كيلو متر ، فقطعتها فى ثلاثة أيام.

وقد أقيت عصى النسيان هنا، فى بلدة صغيرة، أردت أن استريح فيها أياماً قلائل، ولأفكر فيما يجب علينا عمله. وكذلك لأستشفى من السعال الذى لا تزال فى الحلق منه بقية ، وما ينبغي أن نواجهه الأيام العصية بالسعال والركام.

هنالك ناحية في الاتفاق الروسي الألماني، لست أدري هل خطرت لك ولم أرها في الصحف القليلة التي قرأتها.

ذلك أن الاتفاق قد تم بعد أن أخذت المخاضات الحربية تجرى مجراها. ولا بد من الفرض بأن المفاوضات الألمانية الروسية كانت جارية في الوقت نفسه؟ أليس من الممكن أن الروس قد أرادوا أن يعلموا شيئا عن خطط الحلفاء الحربية، لكسب تنفع روسيا وحليفاتها الجديدة بهذا العلم؟

وهذا يدخلنا في افتراض جديد، وهو أن الصداقة الجديدة بين روسيا وألمانيا، سببني على خطة مشتركة جديدة، والصحف الألمانية تتحدث جهاراً في اقتسام بولونيا مرة أخرى. فإن حدث هذا، فليس من الضروري أن تعتدى ألمانيا على وازاج أو على بولونيا. ويكون الاعتداء من روسيا نفسها! فلا يستطيع الحلفاء أن يفعلوا شيئا.

وهكذا يجنى العالم ثمرة شرمطة الإنجليز! بقى التحدث فيما نحن في أمره: لست أدري هل أنت بعد في كنتال أم في باريس، وهانذا أرسل هذا إلى كنتال لعلك تجده قبل أن تسافر إلى باريس.

من رأيي إذا دام هذا الاكفهار في الجو السياسي ألا نظل جامدين، بل نعود إلى مصر فوراً.

أما أنت والأسرة الكريمة فمن الصواب أن تفكروا جدياً في إمكان تعجيل العودة، وكذلك يجب التفكير -- إذا تلبد الجو تلبداً شديداً -- في تعديل برنامجكم الخاص بالأستاذ كلود. ورأيي أنا ألقه بكل تحفظ واحترام: أن يبقى هو وتعود الست معكم.

يؤلمني أن تكونوا في باريس في هذا الوقت العصيب، فلا أقل من تظميني بكلمة ترسلها إلى بعنواني (....) بزوريخ.

وأنا شخصياً سأذهب إلى زوريخ يوم الاثنين للسعي في تعجيل موعد السفر.

وتقبل تحياتي الصادقة وسلامي للأسرة جميعاً وللصديق العزيز فريد.

عسوس

لم أقل كلمة عن حكومتنا الجديدة، ومن رأيي الضعيف أنها أحسن من القديمة ألف مرة بالإحاطة في فريد.

لا كباب ولا عوض

وسندرك كثيرا قيمة د. محمد عوض محمد عند طه حسين حين نقرأ له هذه السطور من رسالة يعثها إلى صديقه الغائب في فترة إقامته بالسودان، حيث يحبره بحديث ثقافي هام هو ميلاد مجلة "الثقافة" ولكنه يعتبره ميلادا ناقصا فاترا لأن "عوض" لم يشارك فيه،^(١) يقول طه حسين: وقد حدث حادث خطير ولكن غيبتك جعلته فاترا، فقد ظهرت مجلة الثقافة، ولو كنت حاضرا لكان ظهورها حريا أن يعجب ويغرب وأن يغيظ ويحني، ولكنها من غيرك أشبهتني بطعام الفرنسيين أو بطعام الإنجليز الذي يخلو من الفلفل وما يشبهه، وقد كدت أشبه الثقافة بالكاروت أو بحساء البوردج فأقوم، فلعلك تستطيع أن تشيع فيها شيئا من القوة والحدة وترد عنها بعض الفتور.

ومن الأحداث الخطيرة عندنا: أن أزمة الخدم مازالت حادة فقد ذهب الطياخ بعد أن ذهب السفرجي، ونحن نستقبل في كل يوم طارنا يرمينا من الطعام أشكالا وألوانا، ولو قد شهدت مائدتنا لضحكنا وأضحكت، ولكنك بعيد عنها، فهي مظلمة فائمة يسودها الغيظ والخصام "ما أشك في أنني لست الوحيد الذي يطالبك بهذه العودة، وما أرى إلا أن أصدقاءك جميعا يكتبون إليك كما أكتب الآن".

"وعلى كل حال فأنا أكتب إليك في الساعة التي تعودت أن تأتي فيها قبيل عودتهم من السبما (يقصد أسرة طه حسين) وأبعد الفراغ من ترجمة مقالة الراديو.

وقد منمت كل شيء حتى العشاء الذي لا سمك فيه ولا كباب ولا عوض!"

* * *

ومحمد عوض محمد مقال جميل مجهول يحمل فيه شخصية صديقه طه حسين رأيت أن أقدمه كاملا لأنه يقدم شهادة من رأى وسمع، وهي شهادة على عصر بقدر ما هي شهادة على شخص.

(١) المصدر السابق

جن .. طه حسين^(١)

هذه الأعوام الطوال، التي تقف بيننا وبين الماضي، كأنها الحجب الكثيفة والأستار المسدلة، وكل عام يزيد فيها حجاباً جديداً وسراً قائماً. أريد اليوم أن اخرقها بضوء الذكرى، وأعود بنفسى وبالقارئ، إلى يوم قد مر عليه نيف وعشرون عاماً، وأنا إذ ذاك تلميذ أختلف إلى دور العلم إذا أقبل النهار، واغشى الخافل والجماع إذا أقبل المساء.

لم أكن أسمع بحفل حافظ إلا هرعت إليه، ولا بخطيب ذى خطر إلا احتلت في الوصول إليه، وما دام الحفل شائقاً والخطيب ذا شأن، فبهيات أن يحول بينى وبينه حاجب سمج أو جندي شديد المراس، وفي إحدى هذه الحفلات ألفت نفسى في دار الجامعة المصرية القديمة وسط جموع من الناس قد احتشدت، وعلى المنبر وزير مصر ثروت باشا ومن حوله جماعة من خيرة رجال مصر، وقد جلسنا صامتين معجبين، نصغى إلى الخطيب إثر الخطيب، وكل يتحدث إلينا عن فتي من أبناء الجامعة المصرية، قد منحه الدكتوراه، فكان أول أبنائها المرزبن.

ثم استطالت الأعناق، وتحولت الانظار صوب المنبر، وساد الصمت العميق، لأن هذا الفتى، الذى كنت سمعت به، ولم أكن رأيت من قبل، قد وقف ليشكر الذين احتفلوا به وكرموا هذا التكريم. فإذا فتى ذو وجه طلق، تكسوه لحية سوداء ذات طول وعرض، وعلى رأسه عمامة أزهرية، أو ما يشبه العمامة الأزهرية، وعلى جسده جبة وقفطان أو ما يشبه الجبة والقفطان.. أخذ يتكلم فإذا صوت يجمع بين الشدة والعدوية، ولسان عربى قسوى، من ورائه جنان ثابت، وبديهة حاضرة لا تغيب، هذا الصوت الذى اسرعى انتباهى فى ذلك اليوم، قد ألفتة فيما بعد فلم أعد أتنبه إليه، ولكن كثيراً من أصدقائى أسروا إلى أن هذا الصوت ركن لا يستهان به من أركان هذه الشخصية التى كلفت أن أصفها هنا اليوم.

لقد أخذ الفتى طه يتحدث إلى الناس فى ذلك اليوم، فلم يحاول أن يستتر وراء غشاء من التواضع الكاذب، بل أخذ يشكر الذين كرموه واحتفلوا به. لا لأنه يستحق التكريم بل لأن فى هذا تكريماً للعلم، ورفعاً لشأن العلم. وأذكر أنى انطلقت إلى دارى مساء ذلك اليوم، وأنا معجب بما وفق إليه ذلك الطالب فى موقف ليس الكلام فيه بالشئ الخين اليسير.

لم أكن أدرى فى ذلك اليوم - وأنى لأدعى جاهل أن يدري؟ - أن سيدور الزمان دورته،

(١) هذا مقال مجهول محمد عوض محمد بمناسبة احتفال جامعة ليون بفرنسا بتكريم طه حسين ومنحه الدكتوراه الفخرية، وقد نشر المقال فى عدد اغلال ديسمبر ١٩٣٨، واحتفظ به طه بين أوراقه الخاصة.

وتجمع بينى وبين هذا الفنى المكرم ظروف الحياة، فإذا أنا جرم صغير وسط هذه المجموعة الكوكبية العظيمة ، التى امتلأ بها ذلك الفلك الخطير ، الذى تدعوه كلية الآداب.

إن الذين لا يعلمون عن كلية الآداب سوى أنها إحدى كليات الجامعة ، لم يكلفوا أنفسهم عناء فى تعرف الحياة العلمية والثقافية فى مصر. فإن فى جدران هذا المعهد صفاء وإخلاصاً وإنكاراً للذات يعز عليك أن تجد له نظيراً فى أى معهد آخر. وليس من شك أن هذا البناء الراسخ القواعد، القوى العمد، الذى ضم بين جدرانته أفضل ما فى مصر من جهود وتضحية . لم يكن ليبلغ ما بلغ من قوة ومثانة ، لولا ما بذله طه حسين من خدمة صادقة، وجهود متصلة.

إن ما فى طبع طه من دماثة ورقة ، ومن بعد عن الكبير والغرور، قد جعله قوة تجذب وتقرب، وتؤلف. فلم تكذ تستقر قدمه فى معهده هذا حتى أخذ يضم إليه جماعة من خيرة أبناء مصر، وأبنيلهم نفساً، وأكرمهم قلباً. وكان شأنه فى هذا كالباحث عن الكنوز، التى لا يعلم سواه مقرها، ولا كلمة السحر التى يجذبهم بها. وهكذا استطاع هذا الساحر الخلاب أن يضم إليه ما بين عتية وضحاها، أعلاما هائلة مثل أحمد أمين ومصطفى عبد الرازق. فقل لى بحقك فى أى ركن من أركان هذا القطر السعيد كنت تجد نجوما ثلاثة، باهرة النور ساطعة الضياء، مثل طه حسين ومصطفى عبد الرازق وأحمد أمين . ثم لم يمض وقت حتى تلاهم من صفوة أبناء مصر مثل إبراهيم مصطفى وعبد الوهاب عزام وأمين الحولى.

وقد قصرت الكلام على هؤلاء لأنهم جميعاً قد اتفقوا فى صفة واحدة جليدة، لم يدركها ولم يقدرها إلا القليل، ذلك أنهم قد جمعوا إلى الثقافة الإسلامية الخالصة التى أحاطوا بها إحاطة نادرة، ثقافة عصرية غربية، قد تزودوا منها بأقدار متفاوتة، ولكنها أقدار صالحة على كسل حال. وإنى - وأنا من الذين حرموا هذه النعمة - أقرر فى غير تردد أن هذه العصبة التى جمعت بين الثقافتين هى خير من يسهر على إرشاد مصر، وتوجيهها فى هذا الوقت العصيب، الذى تتنازعها فيه المؤثرات المتباينة المتنافرة.

أجل، وإن شخصية طه حسين قد كبرت ، وتعددت نواحيها حين ضرب بسهم عظيم فى كلا الثقافتين ، وبلغ فى كل منهما منزلة ليس من السهل على المتخصص المنقطع لإحدهما أن يبلغها ، فإنك قد تجلس إلى الرجل المثقف - وليكن حظ من الذكاء وإقرأ - وتحدث إليه، فتراه يدور فى دائرة واحدة لا يستطيع أن يعدوها، فإذا كانت هنالك مواقف جديدة، لم يستطع أن ينهض فيها إلا بمضد محدود. أما طه الذى جمع إلى حدة الذكاء وحضور الذهن - ثقافة الشرقين والغربيين، فقد أصبح نبوغه متعدد الأركان، مختلف الفنون، فهو الكاتب الذى أسلمت له العربية قيادها. والخطيب الذى يجمع إلى البيان النادر، مقدره مدهشة على اختيار الكلام الذى يلائم كل

موقف، وهو في النضال ذو الحججة القوية ، والموفق في إيجاد حل لكل مشكل. وبيحث الغربيون الذين يقدون إلى ديارنا، عن مصرى يستطلعون من حديثه نواحي النهضة المصرية الحديثة فلا يجدون مثل طه في قوة بيانه إذا تحدث إليهم بلسانهم الأعجمي، فأطلعهم على ثقافة الشرق، وعلى نهضة مصر، وما يجيش بصدرها من آمال، وما تعانیه من صروف. لم يكن - بعد ذلك - بد من أن يسر ذكر طه في الآفاق وأن يسمع به أهل الصين في الصين، وأن تحتفل به معاهد العلم في فرنسا أو غير فرنسا من الأقطار.

ستقول: ما أشبه الليلة بالبارحة، بالأمس البعيد وزير مصرى جليل مثل ثروت ، وجامعة مصرية ناشئة ، تقيم حفلة رائعة لتكريم طه حسين الطالب، وبالأمس القريب وزير فرنسى خطير مثل هريو، وجامعة فرنسية عريقة كجامعة ليون تحتفل بطه حسين الأستاذ.

أجل، ولكن حياة طه حسين لم تكن كلها حفلات تكريم وتقدير. فإن هذه السفينة العجيبة لم تلق بها يد الدهر، في بحر كله هدوء وصفاء، بل كثيراً ما عصفت بها العواصف الهوجاء، وتقاذفها الموج التائر الأحمق. حتى أشفق عليها محبوبها أن ترتطم بصخر قاس، أو يلقي بها في ساحل موحش مقفر.

وفي استطاعتك أن تعجب - ما وسعك العجب - في أن القائمين بالأمر في مصر بدلا من أن يغيظوا بطه، قد أخذوا يضطهدون طه، ثم يعمون في اضطهاده إلى درجة يصعب أن يتصورها عقل عاقل. وأكبر مظهر لهذا الاضطهاد ما حدث في ربيع سنة ١٩٣٢ حين أخرج من الجامعة إخراجا، ثم أخرج من خدمة الحكومة إطلاقا، ثم أمعنوا في اضطهاده حتى طلبوا إلى شركة مصر الجديدة أن تخرجه من داره التي يسكنها. فأذعنت الشركة لأمر أولي الأمر، وأبدلت طه من داره داراً أخرى لا تقل عنها رونقا وجمالا، وإن زادت عليها في الأجر قليلا. ورأى الناس هذا الاضطهاد ، فأخذوا يقللون من الردد على داره. وأخذ بعضهم - حتى من كان يظنهم أصدقاءه - يتحجّل ظروفا ويحتلقها اختلاقا، لكي يتنزع بها إلى مخاصمته ومغاضبته. فلم يزل حتى قبل زائروه وانقطعت تلك الجموع الحاشدة التي كانت تغد إلى داره كالسيل المتدفق.

وأذكر أني قلت لأحمد أمين في ذلك الوقت : إنني لأشتهي اليوم الذي أرى فيه طه وقد عادت إليه الدنيا، وأرى هل تستطيع تلك الوجوه الكاخة أن تهافت عليه ذلك التهافت القديم، فضحك أحمد أمين ضحكته الفلسفية العظيمة، وقال: يا صديقي ، ما أعظم سداجتك ، إنك سراًهم يومئذ وقد ازداد تهافتهم عليه وتراجهم على داره.

ولقد زرت طه بعد ذلك حين رضى عنه السلطان، وكان اليوم عيداً من الأعياد، فألفت قسي داره أكداما من الهدايا، ورسائل التهنته. ورأيت صاحبي مكتئباً، فسألته ما خطبك، قال إنني

ذكرت مثل هذا اليوم من العام الماضي، وجعلت أقارن بين اليومين فأحزنتني المقارنة، ولكن لعل هذا شأن الحياة.

على أن زمن الخنة هذا - الذي دام أعواماً ثلاثة - قد أظهر من أخلاق طه نواحي كانت خافية؟ وبرزت فيه شخصيته القوية في مظهر لايد للمنتصف - مهما كان شعوره نحو طه - من اكباره واجلاله . فلقد كان في ذلك العهد القاسي عظيماً، عظمة لم يبد في مثلها من قبل ولا من بعد. في ذلك الزمن الذي انقطع فيه عن طه مورد رزقه الوحيد، وأمنتت دولة ذلك العهد في اضطهاده، وهجره كثير من أصحابه وأقرانه، لم يعتلى صدر طه حقداً ولا موجدة على أحد. ولم يكتسب طبعه شيئاً من المرارة، وقد ظن الناس أن طه بعد أن ترك خدمة الحكومة وما تدره من رزق، سيعمد إلى حياة متواضعة، فيسكن في منزل متواضع. ويكتفى من المعيشة بأخفها وأهونها على الجيب ، وأنه سياتخذ نفسه وأسرته بشئ من الحرمان والاقتصاد، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن، وظل طه هو طه، ذلك المكسب المتلاف، الذي لا يستقر الدينار في كفه إلا ريثما يطير عنها. ولم تتغير معيشة طه في تنى بل ظلت مائدته حافلة غنية، وداره فخمة واسعة، وموقده يبعث بالدفاء والحرارة ، وسيارته تقطع الطرقات عدواً. وكان المقادير شاءت أن تكون أشد عطفاً عليه في هذه الحال، فكانت لا تدعه في الضيق إلا ريثما تيسر له طريق السعة. وقد اشتدت الأزمة مرة ثم إذا هي تفرج بتبونه عرش الصحافة الوفدية، وبين الوفد والأحرار الدستوريين في ذلك الوقت صداقة أو ما يشبه الصداقة. ولعل عطف الوفديين على طه في عهد الخنة هذا، هو الذي أسس بينه وبينهم صداقة ومودة. وبهذا لم يعد طه تابعاً لحزب دون حزب، أو جماعة دون أخرى، والناس في أمر طه ينقسمون إلى قسمين ، هما كالقطين بعداً - ولا وسط بينهما - فقسم شديد الحب له والإعجاب به، وفريق يدل مظهره على البغض الشديد له والنقمة عليه. وبعضهم لم يتورع حتى عن ارتكاب الجرائم لايدانه والإيقاع به. وإذا استثنينا قليلاً من الذين أكل قلبهم الحسد لطفه على نجاحه وتفوقه ، فإن أكثر الناقلين عليه يصعب أن نجد سبباً لبغضهم ونقمتهم. فهل هذا التناقض الغريب يرجع أمره إلى طه نفسه، أم إلى أخلاق الناس عامة وفي مصر خاصة؟ يغلب على الظن أن الأمر يرجع إلى كلا السببين. فنحن في مصر - ويا للأسف - يغلب على خلقنا الإسراف، والبعد عن الاعتدال، فنحن نضحك فنسرف في الضحك ، ونحزن فنسرف في الحزن. ونحب فتغلبو في الحب، ونبغض فنسرف في البغض. أليس من الجائز أن هذا هو شأن الناس في طه، وأن بعدهم عن الاعتدال هو سبب تعصبهم الشديد لطفه أو عليه؟ هذا هو الراجح عندي، ولكن من الجائز أيضاً أن شيئاً من هذا يرجع إلى طه نفسه. فإن خلق الشجاعة قد يشرف أحياناً على التهور، وقد عشق طه الصراحة المرة في أول حياته، واندفع في سبيلها اندفاعاً شديداً لم يقف فيه عند حد، ولم يكن

يعرف، ولم يرد أن يتعلم كيف يدارى ولو قليلا، فإذا خطرت له فكرة، وأراد أن يدافع عنها، أو رأى في إنسان، أو في مؤلف، أو في موضوع، رأياً، لم يتردد في الجهر بما يراه دون أدنى تفكير في العواقب.

ذلك كان عهده في أول حياته، وقد دفع ثمن هذا حتى وهو طالب بالأزهر، يوم حرم شهادة العالمية. وقد استغلت الخصومة السياسية هذا الخلق في طه، وجعل بعض ذوى الأغراض ينفخون في تلك الجمرة ويعنون في إشعالها. وهذا الخلق الثائر كان لا بد أن يهدأ على مدى الزمن، وتنكسر حدته، ولكن هذا التطور لم يتم إلا بعد أن أشعلت نيران، أثبت أن تحصد حتى بعد أن أصبح طه بعيداً عن ميادين السياسة، وفي معزل تامعن تلك الخصومات.

من الأسف المؤلم أن السياسة التي أفسدت كل شيء في مصر، لم تتورع عن أن تقتحم الحرم الجامعي، وتعيث يدها الأليمة بنظم الجامعة واستقلالها، ولم تزل ويا للأسف تنير الضفتان بين الأخ وأخيه، فتقيم من الطلاب جماعات تقتل وتشجر. وطه يحاول جهده أن يقى الجامعة - أو على الأقل كليته - غوائل السياسة، فيفوز أحياناً ويخذل أحياناً، ولو أن طه في بلد هادئ آمن، والجامعة تزدى رسالتها في أمن وطمأنينة، لجنبت من جهوده وجهود أصحابه أضعاف ما تجتبه الآن، وبرغم هذا كله، فقد استطاع بإخلاصه الشديد للجامعة، وحرصه على خدمتها بكل ما أوتي من قوة، أن يكون له فيها اليوم مكانة منقطعة النظير، فهو موضع الحب والتقدير من زملائه. وحب الطلبة له - الذى يوشك أن يكون عبادة - ليس مجرد تحمس طائش، بل مبعثه هذا الخنو الشديد الذى يحسه نحوهم، وما يديه فهم من العطف الذى لا يعرف حداً، والذى يكاد أن يكون ضعفاً. فبالرغم من مواقف الخزم التى قد يققها معهم فى كل ما له صلة بالدرس والتحصيل والسلوك، فإنه لا يستطيع أن يملك نفسه إذا سمع بقصة طالب فقير أو عاطل، أو فى حاجة إلى المعونة. وقد أصبحت كلية الآداب فى عهد طه وليس فيها من الطلبة من يدفع رسوم الدراسة سوى عدد قليل لا يكاد يبلغ الثالث. ومهما رسب الطالب فى الامتحان، فإن طه لا يستطيع أن يفرض الرسوم على طالب فقير. ولن ترى فى العالم كله معهداً يرسب فيه الطالب عامين متتاليين ثم يتمتع بالمجانة.

وهكذا ترى طه مزيجاً من القوة، التى تشرف أحياناً على العنف، والحنان المشرف على الضعف، ولقد يسى إليه المسئ ويعمن فى الإساءة، ثم يقصده بعد ذلك فى حاجة، فإذا طه يسيل رقة وعدوية، وإذا هو يتنهض إلى قضاء حاجة المحرم نهوضاً عجيباً، كأنما يسعى لتأدية فرض، أو لمقابلة الجميل بمتله.

وبعد فإنك ستسألنى وأسألك - ويسأل بعضنا بعضاً -: كيف استطاع طه، هذا الذى يتهاوت عليه أصحاب الحاجات، والذى تراكمت عليه الواجبات، وكيف يتاح له الوقت لكى يعد الدرس،

ويؤلف المقالات، ويصنف الكتب؟.. إن الجواب عن هذا السؤال ينطوي على سر كبير من أسرار نجاح طه. فإن الذي قضى عليه بهذا العمل الكثير المرهق، في الجامعة وغير الجامعة، قد رزقه قوة على العمل المتصل ليس من السهل أن تجد لها مثيلاً. وليس بالشئ النادر أن تراه يبدأ أعماله إذا أقبل النهار، فلا يتقطع عنه العمل بعد ذلك إلى منتصف الليل، اللهم إلا لحظات قلائل يصيب فيها حفاً يسيراً من الطعام والشراب.

ولكن بعد هذا كله لابد من الاعتراف بأن إنتاج طه العقلي، كبير جداً إذا قيس إلى وقت فراغه القليل، والسر في هذا قد يكون راجعاً إلى توفد ذهنه، وسعة إطلاعه، وامتلاكه ناصية اللغسة العربية، بحيث تراه في تأليفه كمن يعرف من بحر لا كمن ينحت في صخر. وإلى جانب هذا كله، وفوق هذا كله، تراه يستند في عمله إلى حظ من الإلهام الغريزي، الذي يسوق إليه الآراء الجديدة سوقاً، ويمكنه من أن يولد من الحبة الصغيرة دوحه باسقة، ممتدة الفروع والأغصان.

تقول العامة ان الحديث عن العفاريات إذا ابتداءً فهيئات أن ينتهي، وأصدقاء طه وخلصاؤه مجمعون على أن في طه عنصراً جنياً لا شك في وجوده، ولهذا فإن الحديث عنه لا يمكن أن ينتهي إلا إذا قطعناه بالقوة.

وبعد، فهذه صورة مقتضبة قاصرة ناقصة لهذا الإنسان العجيب، الذي مدحه الناس بإسراف، وشتموه بإسراف، وأحبوه بإسراف، وأبغضوه بإسراف، وقل أن تجد شخصاً كرم كما كرم طه، واضطهد كما اضطهد.

فلنتم إذن حديثنا عن طه الممدوح المشتم، المحبوب المكروه، المكرم المضطهد. طه القوي إلى درجة العنف حين يريد أن يدفع شراً، أو يدافع عن رأى يراه. طه الضعيف الرقيق، إذا قصده السئ ليعتذر، أو صاحب الحاجة يشكوها له. طه الجليس المتع، والصديق الوفي، والابن البر، والأب المشفق. طه اللين الجانب الرقيق الحاشية، الحشن اللمس الصعب المراس. طه ذى الكف الناعمة الطرية. والمخالب الحادة القاطعة.

وبعد. فلقد كان برنارد شو غير محبوب كثيراً بين الإنكليز، بعد أن علا نجمه في كل بلد إلا في بلده. ثم لم يلبث الإنكليز أن رضوا هم أيضاً عن برنارد شو، فهل ينتهي الأمر بالمتصرين أيضاً إلى أن يجمعوا على تقدير طه والاعتراف بفضله، دون أن يكون هنالك ذلك الشدوذ السخيف الذي نسمع به من آن لآن؟.. ذلك ما اعتقده فإن الساخطين على طه قد أخذ عددهم منذ زمن بعيد يقل شيئاً فشيئاً. ولا بد أن تذهب ريجهم تماماً بعد وقت غير طويل.

محمد عوض محمد

أزمات طه حسين في الجامعة

واجه طه حسين الكثير من الأزمات، في الجامعة أهمها وأخطرها ثلاث: أولها أثناء أزمة الشعر الجاهلي التي أثارت عليه عاصفة من الهجوم لأنه حسب من اتهموه يفسد طلابه بأفكاره الهدامة بتجرته على الثوابت في الدين والأدب، وكلنا يعلم أن هذه الأزمة قد انتهت لصالح طه حسين بحفظ التحقيق ضده، غير أننا سوف نكشف الآن فقط من خلال أوراق طه حسين التي نشرها للمرة الأولى أن طه حسين كان قد قدم استقالته من الجامعة ولكنه بتدخل لطفى السيد تم إقناعه بالعدول عنها، أما الأزمة الثانية فمعروفة ومشهورة وهي التي اصطدم فيها مع إسماعيل صدقي وأحيل بعدها إلى التقاعد، ثم كانت الأزمة الثالثة خلال عمادة طه حسين حول كتابين يتم تدريسهما بكلية الآداب واعتبرهما الذين أثاروا الأزمة كتابين يمسان الدين، وقبل الأزمة الأولى وبين الأزمات الثلاث وبعدها حدثت أزمات أخرى كان سببها دائماً طه حسين.

يحدثنا طه حسين الفتى الأزهرى بصدى سماعه لأول مرة عن الجامعة حين يقول: "لم يكده هذا القرن يبلغ السابعة من عمره حتى سمعنا دعوة تقرب في مصر وتدعو إليها الصحف ويتحدث بها الناس، وهي الدعوة إلى إنشاء جامعة مصرية كالجوامع المعروفة في أوروبا.. وأشهد أنني حينما سمعت هذه الدعوة أول مرة لم استقبلها إلا بالضحك فقد كنا - طلاب الأزهر - لا نعرف إلا الجامع، أما هذه الجامعة التي كانت تتركب لنا مؤنثة، فكنا نضحك منها ونسأل عما يمكن أن تكون، ثم فهمنا هذه الدعوة إلى الجامعة فاستحال ضحكنا منها إلى رضا عنها وطموح إليها..

جامعة فؤاد في عهدها الأول

أما كيف نشأت فكرة الجامعة؟

^(١) "ففي سبتمبر ١٩٠٦ نشر المرحوم مصطفى كامل الغمراوي بك نداء في "المؤيد" دعا المصريين فيه إلى إنشاء "جامعة مصرية" وبعد ذلك بأيام كتب سيد أحمد المنشاوي بك يقرر أن والده أحمد المنشاوي باشا تحدث في الموضوع إلى نفر من أصدقائه منهم سعد زغلول وقاسم أمين، وعرض أن يوقف أربعين فدانا في جهة "باسوس"، و"أبو الغيط" لتتأسس الجامعة عليها.

(١) الهلال - عدد خاص عن الاحتفال بالعيد الفضي للجامعة - يناير ١٩٥٠.

هكذا برزت الفكرة إلى حيز الوجود، ونحمت لها الصحف تحمسا شديداً ، وعرض الشيخ على يوسف على أصحابها الاجتماع في دار المؤيد، واتخاذها مقراً مؤقتاً، ففضلوا الاجتماع في دار سعد زغلول بشارع الإنشا.

وفي ١٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦ عقدت الجمعية التأسيسية للجامعة المصرية أول اجتماع لها في بيت سعد في شارع الإنشا بالقاهرة . وقررت إذاعة بيان على الجمهور وفتح باب الاكتاب".

ومن بين أوراق طه حسين التي احتفظ بها عثرنا على صفحة مطبوعة من القطع الكبير بعنوان "الجامعة الأهلية" يتوى على قائمة للتبرعات وأهمها تبرعات الأميرة فاطمة إسماعيل، وصدى ذلك عند الشعراء والزعماء والأدباء ومنهم طه حسين نفسه، حيث تقول هذه الورقة :

الجامعة الأهلية

من التبرعات التي قدمت للجامعة خمسة آلاف جنيه من وزارة الأوقاف ولكن أكثر التبرعات كانت أهلية (بالجنيه) منها:-

١٠٠٠	حسن حججوم
٥٠٠	أحمد حيدر باشا
٥٠٠ + ٦ أفدنه	مصطفى كامل الغمراوي
١٥٠ فداناً	الأمير يوسف كمال
٥٠ فداناً	حسن زايد بك
١٠٠ جنيه	سعد زغلول
٧٣ فداناً	عوض عريان
٥٠٠ جنيه	حسين عيد

وكان أهم التبرعات تبرع الأميرة فاطمة إسماعيل التي قدمت ستة أفدنة بجوار قصرها في الدقي ، وستمائة فدان للصرف من ريعها على الجامعة ، وجواهر تساوي ١٨ ألف جنيه. وقال أمير الشعراء أحمد شوقي في مدحه للأميرة لهذا الكرم:

كسوتها ، وهي أهل للذي كسيت كما كسا جنيات الكعبة الكاسي

فلا صنيع كصنعك في محاسنه ولا لفضلك في الأجيال من ناسي

أما طه حسين فقال مخاطباً الأميرة في قصيدة نشرتها (الجريدة) بتاريخ ١٩/٩/١٩١٣:

عشت للشرق فان الشرق محتاج إليك رفع الله منار العلم فيه ... بيديك

وهبت الجامعة السعد، فنالت نعمتك فهي في أمن من الدهر بما فازت لديك

يا مثال الجسود والبر هنا فسي بلديك إغا الحمد وحسن الذكر موقوف عليك

وأرسل الزعيم مصطفى كامل من باريس خطاباً إلى محمد فريد أمين اللجنة التي ألفت لتكريمه عند عودته يشير فيه إلى مشروع إنشاء الجامعة المصرية قائلاً: هذه هي (الهدية) الوحيدة التي يليق بالوطنيين إهداؤها لمصر والمصريين، فلتنسى الأحزاب انقساماتها ولينس الصحفيون خصوماتهم وتلق الأحقاد في هوة لا يسمع فيها لعذر ولا دوى، وتجتمع الأمة لإتمام هذا العمل الضخم وتحقيق ذلك المشروع الذي كله خير ونفع عميم.

الأزهريين أكثر استفادة

ويؤكد طه حسين أن الأزهريين الذين دخلوا الجامعة كانوا أكثر استفادة من هؤلاء الذين لم يتعلموا بالأزهر، "وأستطيع أن أقول إن هذا التعليم كان له أثر سريع في نفوسنا - نحن الأزهريين - عن إخواننا الذين درسوا بالمدارس المدنية. وهو قد أتاح لنا أن نلتقي مرات مختلفة في الأسبوع الواحد. بعد أن كنا في عزلة تامة، وأتاح لنا أن نتحدث بعضنا إلى بعض وأن نتعاون وأن ندرس معاً، وأذكر أنني كنت قد التقت مع بعض هؤلاء على أن أعلمه المنطق الذي كنا ندرسه في الأزهر ويعلمنى هو لغة من اللغات الأجنبية".

ويتذكر طه حسين كيف أنه اضطر إلى الاستدانة ليدخل الجامعة المصرية القديمة في عهدها الأول "وحين تقدمت للجامعة الأهلية كان على أن أدفع جنيهاً واحداً رسم تسجيل، ولم يكن معنى ما أدفع، فطلبت من الزيات صاحب "الرسالة" أن يدفع هذا الجنيه ولم أرده له ولن أرده".

وتأتى الفرصة لطله حسين ليعبر البحر إلى السوربون في بعثة على حساب الجامعة إلى فرنسا، بعد أن استوفى شروطها المطلوبة وحصل على أول دكتوراه عن أول رسالة جامعية تمنح لطالب في تاريخها، وكانت عن "ذاكري أبو العلاء المعري" والتي أثارت ضجة وصلت إلى الجمعية التشريعية التي يرأسها سعد زغلول، بعد أن اتهم أحد أعضائها، طه حسين بأنه نجنى على أبي العلاء وأخرجه من دين الإسلام، مما يستوجب حرمانه من حقوقه الجامعية، وعدم سفره في البعثة التي رشح لها للسفر إلى فرنسا، وذهب هذا النائب إلى حد المغالاة فطالب بإغلاق الجامعة التي منحت طه حسين إجازة الدكتوراه، واستطاع سعد زغلول أن يقنع هذا النائب بسحب مسؤاله الذي يعتزم تقديمه للجنة التشريعية لأن من شأنه ألا يثير فتنة في الجامعة فقط بل سيمنح لبيها إلى الأزهر نفسه الذي

يقتضى الأمر إغلاقه أيضاً لأن طه حسين كان يدرس فيه قبل الجامعة.

وحدث الفتنة إلى حين، ليسافر طه حسين إلى فرنسا، ليصكث هناك أكثر من سنة، ثم يعود مضطراً بعد إفلاس الجامعة التي أعادت مبعوثيها إلى حين تيسر الأمور، ومر طه حسين بفترة من أقسى فترات حياته التي تحطمت فيها آماله أو كادت، ليقدم هو بنفسه السبب الذي كان سيلغى بعثته نهائياً عندما قارن بين دروس أحد مشايخ الأزهر، ودروس أساتذته بفرنسا، ونشر ذلك على الملأ في جريدة "السفور" مما جعل هذا الشيخ يشكوه إلى مجلس الجامعة مطالباً بإلغاء بعثته لتظاوله، ولولا أن الذي قام بالتحقيق مع طه حسين بناء على قرار مجلس الجامعة، هو أستاذه أحمد لطفي السيد الذي أنهى المشكلة، لحرم طه حسين من العودة مرة أخرى إلى باريس لاستكمال دراسته، وقد عاد بعدها مظفراً تقيم له الجامعة احتفالاً بحضره وجهاء القوم فرحاً بألحاح أبنائها الذي حصل على أول دكتوراه من الخارج .

وقائع الاحتفال بطه حسين

نقرأ من بين أوراق طه حسين خبراً مكتوباً بخط اليد يسبق هذا الاحتفال تقول سطورها:

الخروسة : ٧ ديسمبر ١٩١٩

في الساعة السادسة بعد ظهر اليوم تحتفل الجامعة المصرية ، ويحتفل معها الشباب المصري الناهض بافتتاح محاضرات الأستاذ الدكتور طه حسين في التاريخ القديم، وسيحضر الاحتفال أعضاء مجلس إدارة الجامعة وكثيرون من رجال العلم والأدب في مصر.

والأستاذ الدكتور طه من غير ما أنجبت مصر علماً وخلفاء، ومن خير من نتظر مصر منهم عملاً في سبيل ترقية مستواها العقلي بالطرق العلمية الصحيحة الحديثة التي استقاها من موارد الغرب وأضافها على صفات الثبات والاستمرار والتعمق التي اكتسبها من المدة التي قضاها في الأزهر بمصر.

ولا يشك عندنا في أن حفلة اليوم العلمية ستكون فاتحة نهضة علمية مباركة يستفيد منها طلاب العلم: شبابهم وشيوخهم، وتدفع بهم إلى الأمام في سبيل الرقي والتقدم.

وفي ورقة أخرى نقرأ عن وقائع الحفل بتاريخ اليوم التالي في ٨ ديسمبر ١٩١٩ الخروسة ، تحت عنوان: الدكتور طه حسين يلقي درسه الافتتاحي بالجامعة المصرية، تقول السطور التي احتفظ بها طه حسين بين أوراقه:

كان أمس موعد إلقاء الدكتور طه حسين أستاذ التاريخ القديم بالجامعة المصرية، أول درس له بعد عودته من أوروبا متزوذا بالطرائق العلمية وأساليب البحث الحديث. فبدأ شباب مصر يقد على دار الجامعة من الساعة الخامسة بعد الظهر، وكان من مختلف الطبقات، يضم الأستاذ، والمدرس، والخاص، والطبيب، والصحفي، والأديب. وعند الساعة السادسة أقبل أعضاء مجلس الإدارة يتقدمهم حضرة صاحب المعالي ثروت باشا، الوزير السابق، يتبعه سعادة إسماعيل حسنين باشا وكيل المعارف، ومرفق حنا بك الخاص، وعلى بك بهجت مدير دار الآثار العربية، وشكري باشا وكيل الحفافية، وحسن سعيد باشا، فتقدم الأستاذ إسماعيل رأفت بك وأخذ بيد الأستاذ طه وقدمه إلى ثروت باشا، ثم ارتقى إلى مقعد المدرس، فقابل الحاضرون الأستاذ الجديد بالتصفيق الطويل، ثم وقف بعد ذلك ثروت باشا وقال:

أيها السادة: في العام الماضي وفي هذه القاعة افتتح صاحب المعالي زغلول باشا الوكيل الثاني للجامعة المصرية درس آداب اللغة العربية الذي ألقاه الأستاذ الشيخ "أحمد ضيف"، وإنني لسعيد اليوم أن أقدم لحضراتكم الدكتور طه حسين (تصفيق) ابن الجامعة، وأحد متخرجي إرساليها بفرنسا، وإنني لفي غنى عن تعريفكم بمقام الرجل، ومكانته من العلم والأدب، فالدكتور طه حسين معروف بيننا من قديم بما اشتهر به من التبوغ والذكاء النادر.

حياة الدكتور طه حسين العلمية بدأها طالباً في الجامعة الأزهرية، ثم انتسب بالجامعة المصرية، وواظب على الحضور فيها سنة ١٩١٤، فتقدم لنيل شهادة الدكتوراه فيها، وذكرى أبي العلاء لا تزال في أذهاننا جميعاً، تلك الرسالة الفلسفية الخطيرة التي تقدم بها لنيل شهادة الدكتوراه، تلك الرسالة التي نالت المنزلة الكبرى والشهرة الفاتحة.

كان الأستاذ طه حسين أول عالم شرقي نسج هذا المنوال في أبحاثه الفلسفية، عندما بحث أطوار فيلسوف الشرق أبا العلاء المعري. نجح الشيخ طه حسين نجاحاً باهراً، فكان أول دكتور أخرجته الجامعة المصرية، وتبينت فيه إدارة الجامعة تلك الكفاءات العلمية، وظهرت تلك المقدرة الاستثنائية، فلم ترد أن يقف الشيخ طه حسين إلى هذا الحد، فانتخبته لأن يكون عضواً في إرسالية الجامعة بفرنسا ليدرس التاريخ فيعود إلى الإفادة في دار الجامعة. ذهب واشتغل في كلية الآداب في السوربون، وحصل على إجازة الليسانس فيها، ثم نال الشهادة العالية في العلوم التاريخية.

وإنني لأذكر بمزيد من الفخر والإعجاب أن المدة التي قضها كانت أقصر مدة بمضيها الطالب في تحصيل ما حصل.

استقالة لم تتم

وأراد طه حسين أن يرتقى بالجامعة المصرية لتكون كمثيلاتها الأوربيات، فأدخل دراسة التاريخ اليوناني إلى الجامعة لأول مرة ، فرضى القليل وسخط الكثيرون الذين رأوا في هذه الدراسة مضيعة للوقت والجهد فيما لا يفيد، ثم بدأ طه حسين يتحو في دراسة الأدب منحى جديدا قوامه الشك في كل النوايت والمسلمات الموروثة، وليضع بذلك اللبسات الأولى للدراسة العلمية المنهجية للأدب العربي، ولينقل طه حسين منهجه من داخل أسوار الجامعة إلى خارجها بمقالات في الصحف، والتي توجهها بكتابه القنبلة "في الشعر الجاهلي" والذي تضمن محاضراته التي ألقاها في الجامعة، لتصبح دراسة الأدب بعد صدور هذا الكتاب ليست كدراسته قبله، وأصبحت قصة هذا الكتاب معروفة ومشهورة تناولتها الكثير من الكتب، ولا نرى داعيا لتكرارها هنا، أما الجديد الذي سوف نكتشفه هنا لأول مرة فهو قرار طه حسين بالاستقالة من الجامعة بعد الضجة التي أثرت ضده والانتهاكات التي علقته برقبته، ولكن أحمد لطفى السيد بالاتفاق مع وزير المعارف نجح في حفظ هذه الاستقالة كأنها لم تكن ولذلك لم نسمع عنها، وسنجدها في هذه الوثيقة التي نشر نصها الذي كتبه مدير الجامعة لطفى السيد:

الجامعة المصرية.

قلم المستخدمين.

المرجو عند الرد ذكر هذا الرقم م ١-١٦/١.

القاهرة في ١١ مايو سنة ١٩٢٧

جناب المحرم ناظر كلية الآداب

جوابا على كتاب الكلية رقم ٥٨ في ٥ مايو سنة ١٩٢٧ أشرف ياخبار جنابكم أننا بعد أن قابلنا حضرة صاحب المعالي وزير المعارف استطعنا إقناع حضرة الدكتور طه حسين بأنه لا داعي لاستقالته ، وأن الجامعة تحرص على إبقائه في كرسية، ولذلك حفظنا الاستقالة المذكورة ونرجوكم إبلاغ حضرته ذلك.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

مدير الجامعة المصرية

الإمضاء "أحمد لطفى السيد"

الأزمة الكبرى

ولكن العاصفة تعود مرة أخرى للظهور بعد اصطدام طه حسين برئيس الوزراء إسماعيل صدقي وحكومته ، على إثر رفض طه حسين منح الدكتوراه الفخرية لبعض السياسيين، وتظاهر طلبة الجامعة أثناء زيارة الملك فؤاد للجامعة برفقة رئيس وزرائه صدقي باشا احتجاجا على حكومته الديكتاتورية، ثم رفض طه حسين محاولات صدقي لاستماتته لرئاسة تحرير صحيفة حزبه، ولم يكن هناك بد من عقاب طه حسين وإخراجه من الجامعة ونقله إلى ديوان وزارة المعارف وإحالة إلى المعاش بعد ذلك وتجديد فتح ملف قضية الشعر الجاهلي مرة أخرى، ويقوم طلبة كلية الآداب بالإضراب عن الدروس احتجاجا على إخراج أستاذهم وعميدهم، وكان من المشاركين في هذا الإضراب الطالب نجيب محفوظ بقسم الفلسفة بكلية الآداب. ويرفع طلبة الكلية التماسا إلى الملك فؤاد لإعادة عميدهم إليهم، وأعرب مجلس كلية الآداب عن أسفه ودهشته لهذا القرار الذي لم يعلم به إلا من الصحف، وتوسع دائرة الإضراب لتشمل طلبة كليات العلوم، والحقوق، والطب، كما أضرب طلبة مستشفى قصر العيني.

ووقعت مصادمات خفيفة بين الطلبة والبوليس، أما مدير الجامعة أحمد لطفى السيد فقد كان الجميع يترقبون موقفه، وبدأوا ينحون عليه باللوم لتأخره في اتخاذ موقف حاسم من إقالة طه حسين من الجامعة.

وتذكر صحف تلك الفترة أن طلبة كلية الآداب "قابلوا مدير الجامعة وأبلغوه احتجاجهم فنصح لهم بالتزام الهدوء واعدأ إياهم ببذل قصارى طاقته لحل الإشكال بما يصون كرامة الجامعة ويكفل لها استقلالها.

وللحال شرع حضرته في مخاطبة ولاة الأمور بالموضوع، فاستكر الطريقة التي جرت عليها وزارة المعارف في معاملة الدكتور طه واعتبرها ماسة بكرامته وكرامة الجامعة كلها، وطلب إعادة العميد المنقول إلى كليته في خلال ٤٨ ساعة.

وطلب أحمد لطفى السيد من ولاة الأمور أن يعتبروه بحكم المستقيل من منصبه إلى أن يسوى الإشكال بما يصون كرامته وكرامة الجامعة، فإذا لم يسو على هذا المنوال استقال من منصبه نهائيا، فرغب إليه ولاة الأمور في التريث وربما ينجلي الموقف فأمسك عن إعلان استقالته ولكنه انقطع عن الذهاب إلى مكتبه.

وظن بعضهم يومئذ أن مدير الجامعة تساهل في حقوقه وفي الدفاع عن كرامة الجامعة، فبدأوا يتحون عليه بالفوم، فتحمل لومهم صابراً آملاً أن يوفق إلى حل الإشكال حلاً مرضياً.

فأقترح لتقريب شقة الخلاف أن يعود الدكتور طه إلى كلية الآداب أستاذا فلم يقبل اقتراحه وعندئذ صمم حضرته على الاستقالة فأرسلها إلى وزير المعارف مكتوبة قبل ظهر الخميس ١١ مارس ١٩٣٢* ولكي يضيع ولادة الأمور أمام الواقع أرسل صورة منها إلى بعض الصحف فنشرت فيها بعد تسليمها للوزير بساعات. فألارت استقالته لثائرة طلبة مسائر كليات الجامعة ، فاجتمعوا يوم الجمعة.. وقرروا الإضراب يوم السبت احتجاجاً . وكانوا قد أضربوا قبل ذلك عقب إذاعة خبر نقل الدكتور طه مشاطرة لزملائهم طلبة كلية الآداب في إظهار عواطفهم إزاء هذا الحدث*.

ولم يتوقف صدق هذا الحدث الذي وصفته الصحف بالمشكلة الخطيرة، داخل الجامعة وخارجها فقط، بل امتد إلى باريس بين الطلبة المصريين المبعوثين هناك، كما ستقرأ ذلك في وثيقة تكشف عن ردود الفعل هناك لأول مرة ، وهي عبارة عن رسالة بعثت بها الطالب محمد مندور عضو البعثة المصرية في باريس.

انقسام المبعوثين

يقول: أستاذنا العزيز

تحية واحتراما وبعد فقد بلغنا منذ زمن بعيد خبر ما نزل بكم من ظلم صارخ استنزل لعنات الوطن من أدناه إلى أقصاه أرضا، وما كان من صمودكم بالحق وقيامكم على الكرامة، وما نحن ناتيكم بدورنا معاهدين عند إليكم أيد لن تضطرب في النود عن رجل طالما أحسن لذويها وغمرهم بفضله ، وما عجبنا كيف نساك وقد حملنا من محبتك ما نجيش به قلوبنا وتنطق عنه حواسنا وهل من سبيل إلى الفرار عن واجبتنا المقدس في الاحتجاج على ما نزل بمعهدنا الكريم - وطننا الثاني - من اعتداء صارخ كان لسوء حظنا أن نفذ في شخصكم المحبوب مما ضاعف الجرم وبالغ في وقع الجريمة، وهل أقل من أن نقول للظالم أنك قد ظلمت ، أما والله أن الذل عار وقبيح بمن يرض به.

منذ أن وصلنا الخبر المشنوم اجتمعت بزيملى شعيرة أفسدى وتحدثنا فيما يجب علينا عمله ، وبسرعة اتفقنا على إرسال تليفراف للوزير نحتج فيه على الاعتداء على استقلال

الجامعة الذاتى فى شخصكم ، ونطلب إعادتكم إلى العمادة وبالفعل وضعنا الصيغة كالأبى حرفيا من "مبعوثو كلية الآداب يحتجون من الضرر الواقع على استقلال بيتهم فى شخص عميدهم الخيوب ويرجون إعادة النظر فى هذا القرار".

وتركنا لفظة "ترجو" نستبدلها بلفظة "تطلب". حسب رأى الأغلبية ، ولما كان من الصعب التفاوضا جميعا فى مكان واحد كتب شعيرة أفندى الصيغة مع استبدال لفظة "ترجو" بلفظة "تطلب" ليكون لنا الخيار عند الإرسال باعتبار أن من يقبل الأكثر شدة يقبل الأقل بالأولية. ومر شعيرة على إخواننا أعضاء اللجنة لأخذ امضاءاتهم ، وبالفعل أمضى عزت والحضيرى ونجم والشحات أيوب وعثمان أمين وعلى حافظ وشعيرة وأنا طبعاً ، ألا أنه كما لا يخفى عليكم أخذ إخواننا الأفاضل فى التفكير فى سطورة الحكومة، وما الجبن كما تعلمون إلا نتيجة التفكير الطويل، وبالفعل جاء عزت بعد أن أمضى بنحو ساعتين أو ثلاثة وجاء معه عثمان أمين حيث كنا مجتمعين: شعيرة والشحات وأنا وأخبرونا بعدولهم عن رأيهم هم والحضيرى ، وبأنهم لا يريدون الاستهداف للخطر، فرأيت حسماً للتزاع ورغبة فى عدم انشقاق الكلمة أن نستبدل كلمة يحتجون ، بكلمة "يأسفون".

وبهذا لا يكون التلغراف إلا عبارة عن أسف ورجاء ، وبعد أخذ ورد لاحت منهم الموافقة، وانفض المجلس على ذلك ، وبالفعل أرسل شعيرة التلغراف بعد أن دفعوا جميعاً الاشتراك فى أجرته، وأرسله بالصيغة الخفيفة، مع أنهم أمضوا على أشد صيغة ، ومرت الأيام حتى كان أول إبريل، وذهبنا إلى مكتب اللجنة لأخذ الشيك ، فإذا بالديوانى بك يدعونى إليه ثم يسألنى عن التلغراف ولماذا أرسلناه، وتناقشت معه طويلاً فى: هل يجب أن يكون للجامعة استقلال ذاتى أم لا ؟ وهل للجامعات فى أوروبا هذا الاستقلال أم لا ؟

وفى هذه الأثناء جاء "عزت" فسأله الديوانى بك عن نفس التلغراف فإذا بعزت بصيح بأنه غير موافق على إرسال تلغرافات وأنه لم يرسل شيئاً، وإنما أنا وشعيرة اللذان أرسلنا التلغراف، فسألته أمام الديوانى بك : هل أمضى على التلغراف أم لا ؟ فأجاب بالإيجاب ولكنه عاد فقال: ولكن عدت فعدلت، ثم قال: وهما هو الدليل على استنكارنا للتلغراف وعدم موافقتنا عليه . فعلا قدم للديوانى بك ورقة بهذا المعنى وفى أوقح الألفاظ وعليها إمضاؤه كزعيم للجنة والاعطاط - وأستمحكم عذراً فى استعمال هذه الألفاظ فهى جديرة بهم - ومعهم إمضاء الحضيرى طبعاً وعثمان أمين وحسين نجم، فعلا الدم فى رأسى ووصفته بما هو جدير به من ضعف الأخلاق وخافة الزبىة، وقلست للديوانى بك : إن قطع رأسى عن بدنى أهون إلى من الإمضاء على هذه الورقة. فأخ فى أن أرجع عن رأيى فأبيت ، وما كنت

استطيع غير ذلك، والفرقنا على هذا.

هذا ولا يغيب عنكم أن الديوانى بك لم يتلق أى خبر من مصر عن هذا التلغراف، وإنما هم إخواننا الأفاضل هم الذين وشوا إليه بالتلغراف، وبصيغة التلغراف، ويرى الديوانى بك أن فى قولنا "نأسف على الاعتداء على استقلال الجامعة" جرحاً للوزير، وهو تفكير غريب، ويفرض صحته فنحن نتحمل مسئوليته، وها هو ينتظر ما سوف يكون من الوزارة.

والغريب أن عزت وإخوانه يتحدثوننا بالثبات على مبدئنا، لأنهم يظنون أن فى ذلك هلاكنا الأكيد، حيث نفرّد بالمسئولية، وعندئذ لا تجبن الوزارة عن رفتنا، وهو ظن خاطئ منهم، لأننا لا نعبأ بالوزارة ولا برفتها ما دمنا على حق، ومبادئنا أخلاقنا سليمة من هذا الجبن الشائن، ولقد ذكرتني هذه الحادثة بعيد الظاهر السملوطى وغيره ممن يسمونهم فى مصر بشاهد الملك، حيث يتسلل أحد ضعاف النفوس ويتبرى جرياً وراء منفعة فانية لينزل الشر بزملائه، وهو انحطاط أخلاقى لو كنت قاضياً وكان القانون طوع أمرى لأنزلت بهم عقوبة الإعدام فى غير رحمة ولا أسف.

ولكم كان عزيزاً على نفسى أن أذكرهم أن الدكتور طه الذى يتفرون من حوله الآن ويخشون من الانضمام إلى صفه كان صاحب الفضل فى إيصالهم إلى ما يحرصون عليه الآن حرص الكلاب على الخيف، والعباد بالله، وأنه لولاك لظفوا بمصر صباحاً يتضورون جوعاً، وهب أننا لا نحكم على الأمر إلا من الناحية الأخلاقية البحتة، أينتظر من ناس كهؤلاء عملاً كهذا.

لقد قلت لعزت أمام الديوانى بك أنه لا يجوز له أن يظمن أن الديوانى بك ينتمى له بإخلاص، بل على العكس الديوانى بك كوزير المعارف، وكأى إنسان عدو أو حبيب لاشك يحقر أمثال هذه الحشرات، وإن انتم لها فى الظاهر بحكم الوظيفة أو المنفعة، وقلت أكثر من ذلك وهو صحيح ومنطبق على هؤلاء الكلاب.

أما والله إننى على أتم استعداد للعودة إلى مصر إذا كانت الوزارة تسأى على أن أقول كلمة الحق فى سبيل رجل أنا مدين له بما لا قبل لى بوفاته، وأكبر دليل على ذلك هو أنسى لم أكتب بالتلغراف بل أرسلت مقالة لجريدة السياسة منذ زمن بعيد ولعلها نشرت، وعنوانها (من هى كلية الآداب ومن عميدها)، ومنذ يومين أرسلت لنفس الجريدة مقالة أخرى عن (استقلال الجامعات) ولو كنت فى مصر لملأت بقاع الأرض بصيحات الحق تدوى فى آذان الظلمة وتهز من عروشهم.

وهكذا يا سيدى الأستاذ ترى القدر وانحطاط الأخلاق حتى بين الشباب الذى كنا

للأسف نرجو منه الخير لهذا الوطن المكين ، ولكن لا تأسوا ولا تحزنوا فسوف تكون الكلمة لنا لأننا على حق، ولأننا نسعى وراء نفع هذا الوطن ونفجع ذويه ، فلنصبر على صيهم قليلا حتى يأتي العدل والحرية ، وعندئذ نضع على الظلم قيودا متينة لا انفكالك لها، كما أتوسل إليكم في الاعتماد على إخلاصنا إلى النهاية ، فإننا وإن كنا لا نزال في مستقبل العمر ولا يزال صوتنا غير مسموع ، فسوف يأتي يوم نصيح فيه بالحق، وإذا ذلك تنشر مآلكم من فضل، وتتم ما بدأتم من عمل صالح لنؤدي بعض ما هو واجب علينا لكم وجوباً أبدياً لا أداء له يغير الصبر على محبتكم والإخلاص لشخصكم المحبوب مهما نزلت بنا من صروف ، وعليكم من تلميذكم المحب المخلص سلام الله ونحيته.

مندور

فصلاح مغفل

ويعتبر الدكتور مندور من أبرز تلامذة طه حسين ، ويروي هو بنفسه قصة تعرفه على طه حسين فيقول^(١)

"فتحت الجامعة الجديدة أبوابها سنة ١٩٢٥ .. وتقدمت ضمن أول دفعة التحقت بكلية الحقوق، وكانت هناك سنة إعدادية تعد الطلبة للالتحاق بكليتي الحقوق والآداب.. وأول يوم في السنة ألقى علينا د. طه حسين محاضرة عن "الشعبوية وانتحال الشعر" ثم طلب منا أن نلخصها في خمس دقائق، وعندما قرأ الدكتور تلخيصي للمحاضرة قال لي :

أنت يا ولد باين عليك ممتاز ، رايح تخش كلية إيه؟

قلت: كلية الحقوق .. أصلى عاوز أبقى وكيل نيابة. فشخط في وقال : أصلسك فلاح مغفل.. أدخل كلية الآداب يا غبي وانت تبقى طالب ممتاز وتساخر أوروبا.

وسمعت كلام الدكتور طه.. كنت أدرس الحقوق الصبح وأدرس الآداب بعد الظهر.. وحصلت على ليسانس الآداب قسم اللغة العربية واللغات السامية سنة ٢٩، وفي العام التالي لجحت في ليسانس الحقوق.

(١) "عصر حياتي" لعبد العراب عبد الحى - ١٩٦٦.

كتبوا اسمي ضمن بعثة مسافرة إلى فرنسا ، ولكني رسمت في الكشف الطلي ، وكنت قد كتبت بحثا عن الشعر الجاهلي وأعجب به طه حسين فأخذه إلى حلمي عيسى باشا ، ناظر المعارف، وقال له: "اقرأ هذا البحث"، وأصدر ناظر المعارف قرارا بإعفائي من الكشف الطلي، وسافرت لأدرس في السوربون.

وفي السوربون حصلت على ليسانس في الأدب الفرنسي واليوناني وفقه اللغة وعلم الأصوات اللغوية ، وهو علم يبحث في أصوات اللغة وموسيقاها ويحلل الموجات الصوتية وكمها ودرجة الارتكاز اللغوي فيها، ودرست أيضا التشريع المالي والمذاهب الاقتصادية السياسية ، وحصلت على دبلوم فيها. وقامت الحرب، فرجعت من فرنسا لأعمل مدرسا مساعداً في كلية الآداب، أدرس للطلبة "الترجمة الإنجليزية"، وقدمت رسالة عن "تاريخ النقد المنهجي عند العرب" وحصلت على الدكتوراة في الأدب العربي.. وعندما افتتحت جامعة قاروق في الإسكندرية نقلوني إليها مدرسا للأدب العربي، وهناك قابلت إحدى طالباتي - اسمها "ملك عبد العزيز"، كانت تقول الشعر وتجح بامتياز فتزوجتها".

هذا نموذج لتلاميذ طه حسين الذي تسليح بالثقافة والعلم على أعلى مستوى قبل أن يتصدى للنقد الذي صار أحد المرززين فيه، فقد تخرج من مدرسة طه حسين الجامعية، وبأها من مدرسة.

تسبحة "مى"

نعود إلى طه حسين في الجامعة ، وعودته بعد زوال عصر صدقي ، ليهنئه الكثيرون بالعودة، وعنهم الأنسة "مى" أديبة أدبيات عصرها (التي دق لها قلب طه حسين حين سمع صوتها لأول مرة) التي نلصح سعادتها في هذه الرسالة القصيرة الطريفة المعبرة ، فنقول: ناديتُ بالتليفون ثلاث مرات لأطلب موعداً للزيارة لعلني أن الدار مزدهجة دائماً بالزائرين ، وأنا أبتعد عن الازدحام ، ولكن التليفون طبعاً مشغول لأن تليفون العميد عميد التليفونات، كم أنا سعيدة بزيارة وبدون زيارة، أرجو أن يعود لطفى بك قريباً إلى الجامعة "ليستقر الحق في نصابه"، على نحو تعبير كاهن أوزوريس. مع التهنئة بعيد الفطر المبارك.

"مى"

أزمة جديدة

وتأى سنة ١٩٣٩ لتشهد أزمة جديدة بخصوص كتابين يدرسان فى كلية الآداب ، ولسوك طه حسين بنفسه بروى قصة الأزمة فى نص تقريره الذى رفعه إلى مدير الجامعة أحمد لطفى السيد، وما انتهى إليه مجلس الكلية بشأن ما أثارته الصحف حول الكتابين ، فيما تضمنناه من مسام بالدين والرسول.

يقول نص تقرير طه حسين.

كلية الآداب

١٤ مارس ١٩٣٩

حضرة صاحب المعالى مدير جامعة فؤاد الأول

تفضلتم فتحدثتم إلى فى شأن ما أثير من لفظ فى الصحف حول كتابين يقرؤهما طلاب السنة الثالثة بقسم اللغة الإنكليزية.

فأتشرف بأن أرفع إلى معاليكم أن مجلس الكلية اجتمع فى يوم ١٣ مارس سنة ١٩٣٩ وعنى بدرس هذا الموضوع. وسمع فيه البيان الذى أدلى به رئيس قسم اللغة الإنكليزية. وراجع الكتابين المذكورين. فتبين ما يأتى:-

١- أن الكتابين اللذين أثير حولهما اللفظ هما كتاب محادثات خيالية تأليف و. س. لاندر، والرواية التمثيلية "جان دارك" من تأليف برنارد شو. ولا بد هنا من الإشارة إلى أن الكلية لا تصرف للطلبة كتباً، وإنما يشير الأساتذة بمطالعة فصول خاصة أو مؤلف خاص ، فيستطيع الطالب أن يستعير الكتاب من مكتبة الجامعة، أو يقتنيه لنفسه إذا شاء.

٢- فإما الكتاب الأول فهو عبارة عن محادثات خيالية كل محادثة منها تتناول موضوعاً خاصاً، وكل منها مستقل عن الآخر تمام الاستقلال. هذه المحادثات تبلغ نفا ومائة محادثة. وقد كلف الطلبة أن يطالعوا المحادثات الآتية:-

(١) محادثة بين أيسوب وردوبى

(٢) محادثة أخرى بين أيسوب وردوبى

وموضوع هاتين المحادثتين (الحياة الأخرى، وخرافات اليونان).

٣) محادثة بين إسكندر المقدوني وكاهن آمون.

وموضوع الحديث - القرابة ، والفضيلة، وحياة الإسكندر.

٤) محادثة بين اللورد بيرون وريشارد هوكر

وموضوعها مسلك المرء في وقت الشدة، وقيمة العلم والحكمة.

٥) محادثة بين أوليفر كرمويل ووالترويل .

تدور حول موقف كرمويل من الملك شارل الأول.

٦) محادثة بين لويس الرابع عشر والأب لاشيز .

وموضوعها عقلية الفاتحين.

٧) محادثة بين الجنرال كليبر وأحد الضباط الفرنسيين

وموضوعها نهضة مصر

هذه المحادثات التي كلف الطلبة دراستها ليس فيها إشارة للإسلام ولا للنبي عليه السلام، ولا تمس الدين من قريب أو بعيد.

فالشكوى من هذه الفصول باطلة لا أساس لها.

٣- الكتاب الثاني مسرحية جان دارك ليرنارد شسو من الكتب التي يطالعها الطلاب في الكلية منذ ستة أعوام. وقد ترجمت إلى اللغة العربية ، وتداولها الناس ، دون أن تحدث ضجة أو تثير احتجاجا.

والقطعة المعترض عليها عبارة وردت في حديث الأسقف كوشون ، في الفصل الرابع وهو يخاطب الإيرل ورك ، أراد المؤلف أن يصور هذا الرجل بالتعصب الأعمى والغباء فأجرى على لسانه عبارة يقارن فيها بين أعمال جان دارك وأعمال محمد (عليه السلام) الذي وصفه بالمروق ، وبأنه عدو المسيح.

وقد رد عليه محاوره بأنه عرف المسلمين فرآهم قوما كراما، بل إنهم يفضلون قومه من نواح كثيرة.

من هذا يبدو أن المؤلف لم يرد أن يعطن في الإسلام أو أن يؤذى النبي صلى الله عليه وسلم وإنما أراد تصوير أسقف متعصب جاهل من أساقفة العصور الوسطى ، ثم رد عليه بعد ذلك.

ولسنا نرى ناساً في شيء من هذا فقد حكى القرآن الكريم أقوال المشركين الذين كانوا يصفون النبي بالسحر والكهانة والخنون والكذب ثم رد عليهم

بهذا لا تحذ الكلية بأسا في فراءة هذه القصة ولو رأت الكلية فيها أو في غيرها أدنى مساس بالدين لمنعت دراستها معنا مانا. فهي حريصة ككل الحرص على الأيساء أحد في شعوره الدينى لأنها إنما أنشئت للعناية بالعلم وبالعلم وحده وهي ترى أنها قادرة على التفريق بين ما يتقع الطلاب وما يضرهم وأنها خليقة أن تكون موضع الثقة التامة في هذا كله وأنها في غير حاجة إلى أن تدحل هيئات غير جامعة في شئونها التعليبية وتفصلوا يا معالى المدير بقبول وافر احترامى ...

عميد كلية الآداب

(طه حسين)

ورغم افتتاح لطفى السيد بما جاء في التقرير الذى رفعه إلى وزير المعارف وافره عليه . إلا أن الخبيص يماحاً بأن رئيس الوزراء قد أبلغ شيخ الأزهر بأن امر "تمنع قراءة الكتابين وبجمعهما من أيدى الطلاب. ومع رغبة رئيس الوزراء في إرضاء الأزهر تراحم لطفى السيد عن تصامنه مع مجلس الكلية. وعدل وزير المعارف د. محمد حسين هيكل عن موقفه المؤيد أيضاً. ويتصاعد الأمر باعتداء طلبة من كليات أخرى على كلية الآداب مصدر الأزمة. بل ويعتدون على مكتتب العميد نفسه.

اقتحام كلية الآداب

التعاضيل نفروها في رسالة طه حسين إلى لطفى السيد:

حصرة صاحب المعالى مدير الجامعة المصرية

أتشرف بأن أرفع إلى معاليكم ما ياتى . عندما تحدثتم إلى ستان شكوى بعض الناس من قراءة كتابى جان دارك لرباردسو. وأحاديت خيالية ل (لندر). وعدد معاليكم بنى سائطر في الأمر. وبانى لن أتردد في أن أطلب إلى مجلس الكلية مع فراءة هذين الكتابين ان كان فيهما نى يروح الشعور الدينى أو يهين الإسلام. ثم تحدث إلى معالى الوزير فحدد له هذا الوعد. ولم تنقض ساعات حتى علمت مكه ثم من الصحف أن سلطة غير جامعة (الأزهر)

تدخلت في الأمر واحتجت عند حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء .

فلما كان الغد عرضت الأمر على مجلس الكلية فسمع بيان الأستاذ المختص، ونظر بنفسه في الكتابين، ورأى أن ليس على الكلية بأس من قراءة قصة جان دارك لأن كاتبها لم يرد إيذاء الإسلام، وإنما صور رأى أسقف، متعصب جاهل من أسافة القرون الوسطى، ثم رد عليه . ورأى المجلس كذلك أن الفصول التي تقرأ من كتاب أحاديث خيالية لا تحس الإسلام من قريب ولا من بعيد، واعتبر الأمر منتهيا، ورفعت إلى معاليكم تقرير المجلس . فوافقتم عليه كتابة وأرسلتموه مع موافقتكم إلى حضرة معالي الوزير ، وقد صرحتم لي ولغيري من الزملاء بأنكم ترون رأى الكلية، وتتضامنون مع المجلس فيما اتخذ من قرار . ولا تسمحون بالتدخل في الشئون التعليمية للجامعة بحال من الأحوال، وقد صرح معالي الوزير لي ولغيري من الزملاء بأنه لا يرى غبارا على تصرف الكلية.

واعتقدنا أن الأمر قد انتهى، ولكني علمت أمس من معاليكم ، ومن معالي الوزير أن حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء قد كتب إلى الأزهر ينسب بأنه أمر بمنع قراءة الكتابين وبجمعهما من أيدي الطلاب.

ولم يكن مقامه الرفيع قد تحدث إليكم أو إلي في شأن من ذلك أيضا . وقد رغبت في مقابلة مقامه الرفيع مع معالي الوزير لإقناعه بوجهة نظر الكلية ، فلم تيسر هذه المقابلة . ثم أصبحتنا، فإذا طلاب من كليات غير كلية الآداب يقتحمون الكلية وينتهكون فيها حرمانت المدرس، ويخرجون الطلاب من دروسهم، يصطغون في ذلك العنف والقسوة، ويعتدون على الطالبات بما يجب أن تعف عنه الألسنة النزيهة، ثم يهينون العميد ، ويهجمون على غرفته ثم يتفرقون دون أن يعنى أحد بحماية الكلية أوردتهم عنها.

ثم دعيت إلى مكتب معالي الوزير فعلمت من معاليكم ومن الوزير نفسه أن حضرة صاحب المقام الرفيع مصمم على تنفيذ ما كتب به إلى الأزهر، وطلبتما إلي أن أعرض الأمر على مجلس الكلية لعله يغير رأيه ، فاعتذرت من ذلك . وقد ينتما لي أن الظروف الحاضرة لا تسمح بالإغضاء عن هذه الفتنة التي تثار . فقلت: إن كلية الآداب لم تثرها، وإن من حق الحكومة أن تصنع ما تراه خيرا لحماية النظام واتقاء الفتنة.

وقد رأيت من معاليكم رجوعا عما سجلتم من التضامن مع مجلس الكلية ، ورأيت من معالي الوزير عدولا عن موقفه الأول أيضا، وكنت أنتظر أن ما كان من اعتداء على الكلية يجب أن يسمع قبل كل شيء، لا أن يبدأ بالتسليم للمعتدين.

من أجل هذا كله أتشرف بأن أرجو من معاليكم أن تفضلوا فزفروا إلى حضرة صاحب المعالي الوزير استقالتى من منصب العميد، كما أتشرف بأن أبلغ معاليكم أنى مستعد لأداء ما يجب على الأستاذ من إلقاء الدرس يوم تستطيع الجامعة أن تحمى الأساتذة والطلاب فى كلية الآداب من مثل هذا الاعتداء الذى حصل اليوم.

وتفضلوا بقبول تحيتى وإجلالى

استقالتى

وهذا هو نص استقالة طه حسين احتجاجا على الموقف السلبى لوزير المعارف ومدير الجامعة من الاعتداء على كلية الآداب وعميدها.

يقول طه حسين:

حضرة صاحب المعالي مدير الجامعة المصرية أتشرف بأن أرفع إلى معاليكم أن طلابا من غير كلية الآداب قد أغاروا صباح اليوم على الكلية، جماعات، فانتهكوا حرمات الدرس، وأهانوا الأساتذة واعتدوا بالضرب على الطلاب، وآذوا الطالبات بسبب يجب أن ترتفع عنه الألسنة التزيهة. ونادوا بسقوط العميد وهجموا على غرفته. وتفرقوا بعد ذلك دون أن تعنى الجامعة بحماية الكلية أو ردهم عنها.

وكان مصدر هذا العدوان ما أثير من لفظ حول كتابين يقرآن فى قسم اللغة الإنجليزية ومعاليكم تعلمون أن مجلس الكلية قد نظر فى هذا الأمر ورأى أن ليس فيما يدرس فى الكلية ما يجرح الشعور الدينى أو يؤذى الإسلام أو ينال من شخص النبى صلى الله عليه وسلم.

وقد رفعت الكلية فى ذلك إليكم تقريرا فبلموه وسجلتم موافقتكم عليه ونضامكم مع أساتذة الكلية.

على أنى رأيت اليوم حين القيا عند معالى الوزير أنكم قد غيرتم رأيكم وبلمتم أن تسمع قراءة الكتابين نظرا للظروف.

وكنت أظن أن أول شىء كانت تحب العناية به هو حماية الكلية من العدوان. ومعاتبه المعتدين عليها، وتمكين الأساتذة والطلاب من أداء واجبه العلمى.

لهذا كله أرجو أن تفضلوا فترفعوا إلى معالي الوزير استقالتي من منصب العميد، وأنا بالطبع مستعد لأداء واجبات الأستاذ كلها يوم يحضى الأساتذة والطلاب في كلية الآداب من مثل العدوان الذي حصل اليوم.
وتفضلوا بقبول تحيتي وإجلالي.
٢١ مارس ١٩٣٩ طه حسين

رد الاستقالة

ولكن لطفى السيد مدير الجامعة يرد الاستقالة إلى طه حسين قائلا له في الرسالة التالية:

جامعة فؤاد الأول

الجيزة في ٢٦ مارس ١٩٣٩

حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك

عميد كلية الآداب

تحية وسلاما

اطلعت على استقالتكم التي حررتموها بتاريخ ٢١ مارس سنة ١٩٣٩ وقد أسفت أشد الأسف للحوادث التي دعتمكم إلى تقديمها.

ويسرنى كل السرور أن أعيد إليكم هذه الاستقالة راجيا أن تعودوا إلى عملكم في الكلية بما أعرفه لكم من كفاية وإخلاص.

وتفضلوا عزتكم بقبول احترامي

مدير الجامعة

أحمد لطفى السيد

لن أرشح نفسي

ويبدو أن لطفى السيد قد نجح كعادته في إقناع طه حسين بالعدول عن استقالته، ولكنه بعد شهرين من استقالته التي لم تتم، سوف تحمره حكومة محمد محمود باشا على الاستقالة بعد أن أعيد انتخابه عميدا في مايو من نفس السنة ١٩٣٩، التي جرت فيها أحداث الأزمة السابقة التي لم

تكن الحكومة فيها راضية عن أدائه لمواجهة ما رأت أنه فتنة ، فاسترضت الأزهر، وتخلّى وزير المعارف ومدير الجامعة عن طه حسين وكلية الآداب، مما كان ينذر بأن طه حسين لن تعرض عنه الحكومة عميدا، رغم إعادة انتخابه بالإجماع، فاضطر للاستقالة من العمادة ليبقى أستاذا بالجامعة، ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يجبر فيها طه حسين على الاستقالة، فقد سبق أن عين عميدا لكلية الآداب ١٩٢٨ خلفا لعميدهما الفرنسي ، ولكن وزير المعارف الوفدي يتدخل لكي لا يتم هذا التعيين ، باعتبار أن طه حسين محسوب على الأحرار الدستوريين وهم على طرفي النقيض مع الوفد الذي يبغضهم ويبغضونه ، ولم يجد طه حسين مفرًا من الخضوع للعاصفة التي كادت أن تهب مثيرة أزمة سياسية، وحفظا لإزاحة ماء الوجه طلب طه حسين أن يعين أولا تم مستقبل. فوقع بعض الأوراق . ثم قدم استقالته ليعود العميد الفرنسي إلى كلية الآداب مرة أخرى.

وحين يختار طه حسين عميدا بعد انتهاء مدة العميد الفرنسي ، ولم يكفد يمر يومان على تعيينه، حتى يطلب إليه وزير المعارف في حكومة صدقي ، أن يستقيل ليتفرغ لرئاسة تحرير صحيفة حزب رئيس الوزراء إسماعيل صدقي ، ويعتذر طه حسين، ثم يخرج الحكومة حين يرفض منح الدكتوراة الفخرية لبعض السياسيين، وتم نقله إلى وزارة المعارف، ثم إحالته إلى المعاش بعد ذلك . إلى نهاية القصة المعروفة حتى عودته ١٩٣٤ . ومنذ أن أجبر طه حسين على استقالته الأخيرة ١٩٣٩ . اعتذر بعد ذلك عن أي ترشيح لمنصب العميد، كما ستلاحظ في رسالته إلى عميد كلية الآداب ١٩٤٠ والذي دعاه مع بقية الأساتذة للتشاور في مسألة الترشيح للعميد . فيقول في رسالته:

صديقي الأستاذ العميد

كنت أود أن أحضر الاجتماع الذي دعوتنا إليه، ولكنني مضطر إلى أن أذهب إلى الوزارة لموعد ضرب بيني وبين الوكيل للقاء رئيس مجلس الشيوخ، وربما كان التحرير في بعض المسائل خير من التقرير.

فأرجو أن تقرأ على الزملاء تحيى وأن تبلغهم أنني لن أرشح نفسي لمنصب العميد ولن أقبله إذا عرض عليّ مهما تكن الظروف. فالخير ألا يذكرنا في ذلك، وسأحضر الجلسة المقبلة للمشاركة في الانتخاب إن شاء الله.

ولك أصدق التحيات

٢٧ مارس ١٩٤٠

ويظل طه حسين أستاذا يلقى المحاضرات بالجامعة ثم يعينه نجيب الملالى مستشارا فيا لوزارة المعارف التي يرأسها، ويتدبه مديرا لجامعة الإسكندرية التي ساهم بتصيب وافر في إنشائها، ثم يصل طه حسين بعد ذلك إلى أرفع مناصب التعليم كوزير للمعارف في حكومة الوفد الأخيرة.

ليظل أسناد الجامعة الذي لا يسي، والعميد الذي لا يعيب عن الذاكرة، ووزير المعارف الذي لا
يندكر من ورراء المعارف، نم التعليم، سواه. كان وزارة التعليم لم يشغلها عبر تاريخها سوى وزير
واحد هو طه حسين.

نضع أنفسنا حيث تريد لنا المروءة

لا حيث تريد لنا المنفعة

ولا يسي طه حسين أن يخص بالشكر والتحية كل الذين وقفوا إلى جانبه في أزماته سواء
داخل الجامعة من أساتذة أو طلبة، أو خارجها من الطلبة المعوثين في الخارج، كما لا يسي دور
الصحافة التي وقفت بجواره مشجعة مؤيدة، وبين أيدينا صفحة وبعض صفحة من أوراق طه
حسين. غير مؤرخة، ولكن مصحونها يدل على أن سطورها قد تحدث بها طه حسين إلى طلبته
داخل قاعة المحاضرات وربما كانت في منزله تحية للذين أتوا لمؤازرته من طلبته أثناء أزمة أو محنة -
كما أصابها - إخراجها من الجامعة كما تدل عليها تحيته إلى لطفى السيد، الذي قدم استقالته
احتجاجا على ما حدث، وورغم أن طه حسين كان لا يحب التحذات في السياسة داخل قاعات
الدرس - إذا كانت كلمته قد القاها بالجامعة - إلا أن الحدث الذي شهد فيه طه حسين مساندة
كبرى جعلته يخرج عن تقاليده بشأن إبعاد السياسة عن الجامعة، وألقى هذه الكلمة المعبرة عن
سعادته عن ساندوه حفاظا على كرامة الجامعة:

يقول طه حسين مستفتحاً بأبيات من الشعر:

لقد زادني حبا لفسى أنسى	بغض إلى كل امرئ غير طائل
وإني شقي باللنام ولا أرى	شقيابهم إلا كسريم الشسمائل
إذا ما رأني قطع الطرف بينه	وبيني فعل المعارف المتجاهل

عند هذه الأبيات من شعر الطرماح ابن حكيم، انتهى بنا الدرس صباح الخميس الثالث
من هذا الشهر، وقد استعدناها واستجدناها، وكأنا كنا نحس أن صباح ذلك اليوم كان

وتم ربما كانت هذه الكلمات في ذكرى الأزمة التي عاد معها متصرا مواكبة لخص الشهر الذي وقعت فيه، أو كان
هو سجدت إلى من استعملهم في سنة من طلبته في نفس الشهر الذي وقعت فيه أزمة

ينذرنا بما سيحمل إلينا مساءه من تلك الخنة الجامعية التي ذقناها قبلونا منها الخلو والمر،
ووجدنا منها الخير والشر. وعرفنا منها أن فينا والحمد لله نفوسا آبية، وأنوفنا حمية، وقلوبنا
تعرف كيف تستقبل الخير وتحتمل المكروه.

نعم وكأنما كنا ونحن نستعيد هذه الآيات ونستجدها نتواصى بالخير والصر، وبمعاهد
بعضنا بعض على الوفاء والبر، ويقسم بعضنا لبعض لنكونن رجالا نعرف الكرامة ونقدرها،
ونضع أنفسنا حيث تريد لنا المروءة لا حيث تريد لنا المنفعة.

لقد افترقنا بعد الدرس هادئين باسمين تفكر في الدرس الذي يليه، ثم لم نلتق بعد ذلك
في درس ولا بحث. وإنما التقينا في حب ومودة، وفي نصيح وتعزية وفي عواطف كلها تميز
الكرام من اللئام.

أفيؤذن لي بأن أهدى أصدق التحية وأجمل الشكر إلى أولئك الذين تفضلوا بالغضب
للجامعة ولنا، والعطف على الجامعة وعلينا، من أعلام هذا البلد وقادة الرأي فيه.

أفيؤذن لي أن أشرك معهم هذه الصحف الكرمة التي آفرتنا وناصرتنا ولم تبخل علينا
بتشجيع ولا تأييد. ثم أفيؤذن لي أن أخص الأستاذ الجليل أحمد لطفي السيد بك بتحية الابن
البار والتلميذ المخلص والصديق الحميم.

أما أنتم أيها الأصدقاء الأعزاء من طلاب الجامعة عامة، وكلية الآداب خاصة فأذنوا لي
في أن أقول لكم ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم للأَنْصَار في حديث جرى: "إنكم
لتنكرون عند الفزع وتقلون عند الطمع". فحيا الله هذا الثمر الكريم لهذا الغرس الكريم،
ولكم على العهد أن أبذل ما أملك من قوة، وما أستطيع من جهد لأكون عند ظنكم بي
ورأيكم في.

أقبلوا على دروسكم كراما أعزاء، واسموا حياتكم الجامعية، فقد أنشأتوها كرمة
عزيزة، وليكن بيتنا موثق من الله ألا نؤمن إلا بالحق ولا نخلص إلا للعلم ولا نرعى إلا
بالكرامة. وإلى اللقاء.



من محمد فريد أبو حديد رائد الرواية التاريخية

إلى طه وزير الفلاحين

الإسم ثنائي "محمد فريد" والنقب "أبو حديد" والمولد في أول يوليو ١٨٩٢ في إحدى قرى دمنهور بمحافظة البحيرة. وقيمته الأدبية مجهولة وإن كانت كبيرة، حيث يعتبره النقاد "رائد الرواية التاريخية في مصر" وبذلك أصبحت "القصة التاريخية" على يد فريد أبو حديد "منهجاً بين حقيقة التاريخ وقدرة الإبداع الفني" وذلك حسب تعبير لجنة فحص إبداعات أبو حديد لترشيحه لجائزة الدولة التي حصل عليها في الآداب.

ومن إبداعاته: إبنة المملوك، زنوبيا ملكة تدمر. أبو الفوارس عنزة بن شداد. المهلهل بن أبي ربيعة. أنا الشعب، وغيرها. ولأبو حديد دراسات تاريخية مهمة عن: عمر مكرم، صلاح الدين الأيوبي، علي مبارك.

وله في الشعر المرسل إنتاج وافر مثل: مقتل سيدنا عثمان، ميسون الفجرية، خسرو وشيرين. فضلاً عن بعض الترجمات.

وهو صاحب فكرة سلسلة "أولادنا" للأطفال.

وهو من مؤسسي مجلتي "الرسالة، والثقافة" في عهدهما الأول.

وعمل سكرتيراً عاماً لجامعة الإسكندرية عند إنشائها، وشغل منصب وكيل وزارة التعليم، ومستشاراً فيا للوزارة، كما عمل بالرقابة على الصحف واستبعد بسبب مقال لتوفيق الحكيم قام بتصريحه رغم ما به من تعريض بالحكومة وإن صيغ في شكل أدبي. وأسهم أبو حديد في الحركة التعليمية بالمغرب، وليبيا مساهماً في إنشاء جامعة طرابلس. ومن العجيب أن مشاركة محمد فريد أبو حديد في مجال التعليم بمصر والعالم العربي كانت تقوم على الحب والإخلاص في كافة المواقع التي تولاها رغم أنه دخل كلية المعلمين على غير رغبته وتخرج منها ١٩١٤ واشتغل بعدها بتدريس المواد الاجتماعية ومنها التاريخ الذي لم يكن يخرج في مادته قبل سنوات قليلة عن التاريخ الإسلامي.

وقد أراد محمد فريد أبو حديد أن يرضى حبه للقانون الذي حرم من دراسته بدخول كلية المعلمين، فقام بإشباع رغبته في دراسة القانون وتخرج من مدرسة الحقوق ١٩٢٤.

ولأبو حديد خبرة في التعليم أراد أن يستفيد بها المعلمون، ومن خلاصة تجاربه^(١) التي ركز

(١) الملل عدد فبراير ١٩٥٦.

فيها على أهمية دور المعلم. قال:

• السر الأعظم الذي يجعل للتربية أثرها هو مقدار ما تبلغ به من النجاح في تحريك عقول الأبناء ومشاعرهم.

• إن المعلم هو العنصر الفعال والعنصر الجوهرى فى التربية

• إن من واجب المعلم أن يؤدي حق كل فرد من تلاميذه بمعرفة معرفته تامة والعناية به كأنه ولده.

• المعلم للتلميذ الصغير رجل عظيم، ولذلك كان على المعلم أن يكون عظيما وأن يكون له قلب كبير.

• المعلم الصالح هو الذى يعد تلاميذه أصدقاء له.

ويتذكر أبو حديد أنه حين أساء إلى أحد تلاميذه فى لحظة غضب، عاد فاعتذر لتلميذه فصار صديقا له.

وفى المقابل قام تلميذ آخر بعد ذلك موجهها لأستاذه أبو حديد عبارات فاسية فتعجب لأنه لم يعتمد الإساءة إليه فقال له : أنا آسف لمسلكتك وغاضب عليك ، فصمت تلميذ الفصل جميعا. ثم قدموا له جميعا الاعتذار عن زميلهم الذى صار لأستاذه صديقا.

وعندما تولى طه حسين وزارة المعارف بدأ اهتمام أبو حديد كبيرا واتسعت أمله فى تطوير التعليم، وإن أبدى بعض المخاوف مما نشرته بعض الصحف عن بعض التراجعات الخاصة بالتعليم. ولكن أبو حديد طمأن نفسه بوجود طه حسين والذي لن يسمح بمرور شئ ضد مكاسب التعليم. وأبدى بعض الملاحظات على نظم التعليم السائدة آنذاك ورغبته فى تطويرها.. فيقول فى رسالته.

هسؤلاء القلاحين

حضرة صاحب المعالي الدكتور طه حسين بك

وزير المعارف العمومية

تحية مباركة خالصة وبعد.

فإني أكتب هذا إلى الصديق الكريم والأديب الأملئى لا إلى الوزير وحده. ولهذا كان كتابا خاصا أثرت أن أبعث به نجوى. بعد تردد طويل بين أن يكون حديثى خاصا وسبب أن يكون على صفحة الثقافة. وتحاشيت آخر الأمر أن أكتب فى الصحيفة حتى لا يتطرق إلى أحد شك فى بيتى .

فما أردت إلا أن أبلغ كلمتي إليك خاصة لأطلعك على أمر إن كان فيه خير فقد بلغت القصد وإن كان بعد أن ننظر فيه لا يبدو لك صواباً، فقد أدبت واجبي نحوك ونحو التعليم الذي خدمته حياتي ولا أستطيع إلا أن أؤدى فيه واجبي ما حيتت وإن لم أسأل عن رأيي.

أحب أيها الصديق الكريم - وأنت رجل فكر وقلب كبير أن أبين لك أن نظام التعليم القائم إن كان يتطوى على مواضع تستوجب الإصلاح، لم يكن وليد نزوات طائشة ولا بدوات طارئة. بل أحب أن أبين لك أنه لم يكن وليد رأى القائمين على أمر وزارة المعارف في الديوان العام كما يظن البعض.

لقد كان رأى أولى السلطة في الوزارة منذ سنوات - فى أول الأمر - أن يقصروا تعليم الكافة على مرحلة قصيرة وهي مرحلة ذات أربع سنوات وكان يراد بها أن تكون المرحلة الأولى - بين السادسة والعاشر - وكانوا يرون أن يختار من بين من يتعلمون فى هذه المرحلة قدير محدود يمتضى إلى التعليم المتوسط فالثانوى فالعالي إذا أهلتهم لذلك طبيعتهم.

ورأينا نحن المعلمين - وكنت إذ ذاك رئيساً لجمعية المعلمين - أن فى هذا رجوعاً إلى الوراء فى تعليم الكافة . فناقشنا الرأى، واحتدم بيننا الخلاف فى المجالس الخاصة والمجالس الرسمية حتى انتهى الأمر بأن تحدينا هذا الرأى فى مؤتمر عام أقيم فى سنة ١٩٤٥ . وقد درس ذلك المؤتمر كسل مسائل التعليم ، وأعد القائمون عليه تقريراً وافياً بما استقر عليه الرأى فى شتى المسائل المتصلة بالتعليم العام.

ولم يجد الوزير إذ ذاك بدا من النظر فى الأمر على ضوء ما أبدى من الآراء، وعقد لجنا استشارية عدداً، وكانت النتيجة هذا النظام القائم .

والذى يمكن أن يعد أساسياً فى هذا النظام القائم هو ما يأتى:

أولاً - وهذه أكبر مسألة نعدها نصراً كبيراً أن التعليم الأولى ، أى تعليم المرحلة الأولى قطع شوطاً كبيراً نحو التوحيد. ذلك بأن اعترف النظام للمدارس الأولية بحق التقدم لتلاميذها إلى الامتحان الذى يؤهل للمضى فى الدراسة إلى التعليم الثانوى وما بعده إذا كان التلاميذ أهلاً فى الاستعداد للمضى فى الدراسة النظرية . وأعطى بذلك لتلاميذ المدارس الأولية الحق فى أن يسوروا بسائر أبناء السواد من حيث الاستطاعة ، وكسبوا حق التعليم فى المدارس الثانوية أو الفنية المتوسطة، وحق مواصلة الدرس إلى الجامعة إذا كانوا لتلك الدراسة أهلاً بطبيعتهم . وكانت اللغة الأجنبية أكبر مشكلة فى هذا الأمر، فأعطى لتلاميذ المدارس الأولية حق التقدم لامتحان الشهادة الابتدائية بغير الإلمام باللغة الأجنبية على أن يستأنفوا دراستها فى المرحلة الثانوية.

وقد اعتبرنا هذه الخطوة نصرا عظيما للديمقراطية ولتكشاف الفرص، ورأينا أنها قد أتاحت الفرصة للعمل على توحيد التعليم في المرحلة الأولى توحيدا تاما في المستقبل القريب. وكانت هزة الفرح فينا عظيمة أننا حققنا بهذا الانتصار أملا كنا نعلق به منذ ١٩٢٤ عندما عقدنا مؤتمر التعليم الأولى الكبير أيام أن كان المغفور له الشيخ جاويش مرافيا للتعليم الأولى. فقد كنا نطمح منذ ذلك التاريخ في توحيد المرحلة الأولى، ولكن الظروف لم تواتنا فلم نستطع الاقتراب من الأمل المرجو حتى ظفرتنا بهذه الخطوة عام ١٩٤٥.

فهل هناك تفكير في النكوص عن هذه الخطوة؟

إني كصديق . وكمصري وكأديب ممن يخلصون لك ويحسون لك التوفيق والخير كله. وكرجل يقدر تفكيرك حق قدره ، ويهتز عندما يقرأ أدبك الناطق بالعاطفة الإنسانية الخالصة - أسأل الله أن يكون خوفي من هذه الناحية وهما بعيدا عن الحقيقة.

والذي يدعوني إلى الخشية أنني قرأت في الصحف كثيرا من التلميح إلى فكرة العودة إلى ما يطلق عليه اسم التعليم الريفي في القري. وقد فهم هذا التعليم الريفي على غير وجهه من الكثيرين، بل لقد سمعت ممن هم أعضاء في لجان إعادة النظر في النظم القائمة ما يدل على أنهم يحسون الخير في العودة إلى تعليم ريفي يقر الفلاحين في بينهم الريفية ، ويجعلهم طائفة ليس لها من الأمل في الحياة إلا أن يفلحوا الأرض في قراهم ولا يخرجون منها إلى مرحلة أخرى من مراحل التعليم بحال من الأحوال. بل إني قرأت هذا في بعض التقارير الرسمية وناقشت فيها أصحابها ، ويؤسفني أن أقول أن هؤلاء الذين يفهمون من التعليم الريفي أنه وسيلة لقصر الفلاحين على أعمال الحقول والصناعات الريفية، لا يعرفون معنى التعليم الريفي كما هو مفهوم في البلاد الأوربية أو الأمريكية، وهي البلاد التي بدأت إصلاح التعليم على أساس المدارس الريفية .

فالمدارس الريفية عند هؤلاء ما هي سوى مدارس من صميم التعليم العام وإن كانت تتوسل في تعليمها وتربية أبنائها بالبيئة الريفية المحيطة بالمدارس. فهي تستخدم الحقل والمصنع الريفي للسمو بمدارك التلاميذ، ولتضييق أذهان التلاميذ على الحقائق الطبيعية والإنسانية التي حوهم بصفحتها وسائل تعليمية. ولكن تلاميذ المدارس الريفية في تلك البلاد لا يقصرون على مرحلة دون أخرى ولا يُمَيِّزون عن سائر زملائهم في المدن الكبرى. ولا يجنبون عن مواصلة المدرس كما يواصله زملائهم وبنو أوطانهم في غير البيئة الريفية، ولهذا أعود فأقول إني أسأل الله أيها الصديق النبيل القلب ألا تعود البلاد إلى الوراء في عهد توليك الوزارة بل أسأله تعالى إلى أن يوفقك إلى أن تأخذ بيد أبناء الريف وهم صلب الأمة المصرية لتجذبهم إلى التيار التعليمي الأقوى وتمد بهم الذكاء المصري والمقدرة المصرية والخلق المصري عامة.

ثانياً: عمد النظام القائم إلى إطالة مدة التوجه إلى الدراسة الجامعية فجعلها سنتين بعد أن كانت سنة واحدة كما أنه جعل السنة الثالثة من التعليم الثانوى إرهاباً لهذا التوجيه.

ثالثاً: جمع بين الذكور والإناث فى مدة التعليم الثانوى وجعلها خمس سنوات للجميع.

رابعاً: جعل السنتين الأولى والثانية من التعليم الثانوى مرحلة اختيار المواهب للتلاميذ واستعدادهم.

خامساً: جعل أساسه أن السنتين الأوليين من التعليم الثانوى مرحلة وسطى تشعب بعدها الدراسة بحسب استعداد التلاميذ، فكل يتجه إلى ما يحسنه فى مستقبله.

سادساً: جعل التعليم الثانوى خاصاً بمن تهيئهم طبيعتهم للدراسات النظرية التى هى الدراسات الرئيسية فى المرحلة العليا من التعليم.

سابعاً: حاول النظام الجديد أن يحدد الفروق فى الأسنان بين تلاميذ المرحلة الثانوية. فإن لكل سن من الأسنان طبيعة تستوجب طبيعة خاصة فى المعالجة. وما ينبغى أن تعالج بطريقة واحدة مجموعة مكونة من طبقات متباعدة فى السن.

وقد كان فى ذهن واضعى هذا النظام أنه قد آن الأوان للعدول عن الطريقة القديمة التى تجعل مراحل التعليم محددة بعدد من سنوات الدراسة كأن تجعل التعليم الابتدائى مكوناً من أربع سنوات دراسية، والتعليم الثانوى مكون من خمس سنوات يقضيها الطلاب بحسب ما يستطيعون فى أعوام قد تبلغ ضعف السنوات الدراسية فربسبون عاماً بعد عام فى الفرقة الواحدة حتى يستطيعوا آخر الأمر النجاح فى الامتحان.

كانوا يمسرون الرغبة فى العدول عن هذا النظام إلى ما هو متبع فى البلاد الأخرى، وذلك بأن تحدد المراحل بأسنان التلاميذ فيكون التعليم فى المرحلة الأولى بين السابعة مشلاً والحادية عشرة، والمرحلة الثانية بين الثانية عشرة والسابعة عشرة بغير أن يعطل التلاميذ وبغير أن يسمح لهم بالسرب عاماً بعد عام.

وقد كان هذا الأمل يتطلب لتحقيقه قلباً للنظام كله وتغييراً جوهرياً فى الأساس القائم على الامتحان السنوى، فرؤى فى هذه الخطوة أن يكفى بالتقريب بين طلاب المرحلة الثانوية الأميرية فى السن على أن يربحاً تحقيق الأمل الأكبر إلى أن تهيأ له ظروفه.

فالنظام القائم أيضاً أيها الصديق الكريم لم يكن إمعاناً من أصحاب السلطة فى الوزارة بل كان وليد تفكير شارك فيه جمهور رجال التعليم. وكان منهم من وهب قلبه وحياته لخدمة التعليم مختصاً. فإذا كان فى هذا النظام مواضع للنقد - وهذا أمر لا يخلو منه نظام - فإني أظن أن الخير فى أن التغيير ينبغى أن يكون بعد تحديد مواطن النقص فى إخلاص وأناة، وأن يقوم بذلك قوم قد

أشربت قلوبهم بحبة المصلحة والإخلاص للتعليم وسعة الأفق والعلم بما هو بسبيله من البحث.
وإني واثق بأن الأمور سوف تؤول إليك آخر الأمر لئرى فيها رأيك . ولهذا فأنسا مطمئن إلى
أنها ستجد فيك صاحب الرأى الحر الناقد، وستجد فيك الرجل الأديب المتزن الذى لا يقيم وزنا
إلا لما يحقق مصلحة أبناء الأمة. والذى لا ينظر إلى عامة الشعب إلا أنهم عصب الأمة. والذى
يحمل لفلاحى القرى ما يحمله من الحب لساثر أبناء مصر. بل لعله أكثر إيماننا بهؤلاء الفلاحين
والعامة، ممن حملوا أمانة التعليم إلى اليوم.

ولقد كنت أيتها الصديق الكريم أوترلو استطعت أن أشافهك بهذا الحديث لولا علمى بأن
وقتك يضيق عن مجالس المشافهة. فلعلك إذا خلوت ساعة قرأت هذا الكتاب وهو إمام بعض ما
فى النفس. وإذا رأيت متفضلا أن تخصص لى ساعة أخلو فيها بك لتتحدث فى مثل هذا الأمر كان
ذلك فضلا كبيرا. والسلام عليك ورحمة الله من المخلص.

محمد فريد أبو حديد

١٩٥٠/٣/٢٩

محمد كامل حسين

صاحب الكتاب الذي لم يرح صاحب وقارئه !

قال عنه "حاك بيوك" المستشرق الفرنسي "إنه أحصى عشرة مفكرين في العالم فكان د. محمد كامل حسين من بينهم".

إن عالمنا وأدينا من مواليد ٢٠ مارس ١٩٠١ بالنبوية في قرية "سبك الضحاك"، وقد وضع أخيه الأكبر محمد الصادق حسين في الأربعينات كتابا يسورخ لعلماء "أسرة السبكي" نشره طه حسين في مطبوعات مجلة "الكاتب المصري" التي كان يتولى رئاسة تحريرها.

يصف بداياته ومواقف صديقه في الطب والأدب والحياة. السيداد . د. حسين فوزي^١ لم اعرفه عاصبا إلا في ليلة من ليالي في صحن الجامع الأزهر الشريف إبان ثورة ١٩٠٩. وقد ذهبت جماعسا لمقاومة خطيب من خطباء الحفل يرمع إثارة الخلاف بين الوفد المصري والأحزاب البائدة" وفاد كامل من فرفضانه غاضبا يحرك خيزرانة ليست له. ويعلن بأن الخطيب لا يفهم شيئا مما يتحرض به. وهاج القوم وأراحوا الخطيب عن منبره.

ويضيف السيداد: نعم أذكر أول يوم لكامل بمدرسة الطب المصرية وقد خرجنا من محاضرة للكيسياء للمرحوم الدكتور محمد شمس الدين. ركب كامل دراجته بعد أن رتب كتبه على حاملها اخلصى ويتم تنظر منزله بالخلصة القديمة قبل أن يتقلوا فيما بعد إلى حلمية الزيتون" وكان محمد كامل حسين هو أول مدير لجامعة عين شمس باختيار طه حسين، وهو عضو التجمع النقوى. والتجمع العلمى. ومجمع الجراحة بباريس. والجمعية البريطانية لجراحة العظام. وحائز على جائزة الدولة التفديرية مدين لانسانه فسمه جراحة العظام في مصر. والثانية عن كتابه الأشهر: "قرية ظالمه" الذى ترجمه لأكثر من سبع لغات. ومن الطريف أن نجيب محفوظ قد فاز بجائزة الدولة فى الآداب "عن قصر المتوق" فى نفس السنة (١٩٥٧) التى حصل فيها محمد كامل حسين على الجائزة التى كان من المقرر تقسيمها بينهما. ولكن تقرر منحها كاملة لكل منهما بصفة استثنائية. أما الذى يريده محمد كامل حسين من قرية ظالمه، فهو كما يقول "قدمت المسيح الإنسان الذى يعمل من أجل الإنسانية. كان يريد أن يصنع الصمير فوق التدين. ولكن أهل التدين قصصوا عليه قيل أن

١٠ / ابريل ١٩٧٧

ينقله أهل الضمير. كان يريد أن يرفع الإنسانية فوق الوطنية والقومية، ولكن الوطنية فضت عليه قبل أن تنقله الإنسانية. إنه لم يؤذ أي فرد من بني إسرائيل، ولم يكن أي فرد منهم ليؤذيه، ولكنه يؤذي إسرائيل مجتمعة. وجماعتهم هي التي انتفعت منه.

لقد كان يريد أن يرتفع الإنسان درجة عن حب الوطن كما ارتفع الإنسان من قبله درجة عن حب القبيلة، وكما ارتفع من قبل ذلك درجة عن حب الأسرة، وكما ارتفع أيام البدائية الأولى عن حب الذات.. عن الأنانية."

ويقول عنه طه حسين إنه "كتاب لم يرح كاتبه" قد أهدى لنا فيه خلاصة حياته وصفو تجاربه، ونتيجة جهوده المتصلة التي أتفقها دارساً للطب والجراحة، معالجاً للمرضى، مبتلياً أخبار الناس وأسرارهم، محتجناً ما يكون من سيرتهم أفراداً وجماعات حين يعرف بعضهم بعضاً، وحين ينكر بعضهم بعضاً، وحين يمكر بعضهم ببعض، وحين يسعى بعضهم إلى بعض بالخير والمودة".

وفي عام ١٩٦٢ نشأت بين د. محمد كامل حسين، والعقاد معركة حول كتاب الأول "وحدة المعرفة" حين اتهمه الثاني بنقله عن كتاب آخر باسم "المكان والزمان والربوبية" للفيلسوف الإنجليزي "صمويل الكسندر"، لقد أراد محمد كامل حسين أن يقول لنا في كتابه: إن المذهب العلمي يمكن أن يهدينا إلى الحق إذا امتد إلى ميدان الفلسفة والدين، كما أنه يحاول أن يقدم تفسيراً علمياً للقضاء والقدر، ويبحث عن الفجوات بين القوانين، وغيرها.

وقد رد د. كامل حسين على اتهام العقاد له قائلاً:

إن الأستاذ العقاد صادق الحس في الشعر والأدب ولكنه ليس صادق الحس في البحوث العلمية وما يقوم عليها. فرد عليه العقاد ساخراً: إن هناك تشابهاً تاماً بين مبتكراتك ومنتحللات الصمويل قبلك، ثم تقول أنت أنه جهل بالتميز بين المذاهب والآراء، لأن هذا التميز يحتاج إلى زمن طويل ويشترط فيه البدء بالقدرة على تجيير العقظام، ثم لا يكفى فيه أكثر من قراءة خمسين سنة، وأكثر من عشرين بحثاً وكتاباً في مذاهب الفلاسفة والمفكرين، ثم لاغنى فيه عن طريقة واحدة من البحث هي طريقتك في بحث دوائر المعارف ومراجع العلوم.. يا دكتور إن كنت بعدها لا تحس حاجتك إلى التميز الذي جردتنا منه فأنت أمتد خلق الله".

ويصف طه حسين قراءات د. محمد كامل حسين بأنها "متنوعة أشد التنوع، فهو يقرأ في الطب والجراحة، كما يفرض عليه صناعته، ويقرأ في العلم والفلسفة كما يفرض عليه عقله بطبيعته، ويقرأ في الأدب القديم والحديث، العربي والأجنبي، كما يفرض عليه مزاجه، وهو لا يقرأ بعقله وحده، ولا يقرأ بقلبه وحده، وإنما يقرأ بهما جميعاً".

قصة إلى مؤسس طه حسين

وفي رسالة د. محمد كامل إلى طه حسين يهدى قصة طريفة إلى ابنه مؤسس ، يقول فيها:

٣٢ شارع جامع شركس

١٦ أغسطس ٥٤

عزيزى الدكتور

يقضى علىّ واجب الإخلاص أن أكتب إليك، ويقضى واجب الفن أن أكتب إلى مدام طه، ولما كنت لا أعلم أن الإخلاص يتقدم على الفن في أى وقت من الأوقات فقد رأيت أن أكتب إليها أولاً، ثم غلبت علىّ الرغبة أن أغلب الإخلاص على الفن فلم أستطع، ثم خطر لى أن هذا التغليب سيعطينى فرصة كبرى للتفوق الفنى حين يجين وقت الاعتذار إليها، وعند ذلك يظهر نبوغى، وعلى ذلك سأبدأ بالكتابة إليك.

وأنا أفهم تماماً فرح الأجداد بأحفادهم ، ولم أكن أعلم أن أمانة سلفنا فى أورنا ، وأنا أخشى عليها "التأمرك" وأرحب بعودتها إلى الدنيا القديمة لتبرا من أدواء المدينة الأمريكية التى لم أستطع لها فهما حتى الآن، وأكون سعيداً لو أبلغتها وزوجها خالص تحياتى.

قضيت هذا الصيف أو أنا أقضيه فى القاهرة بين الحر والرطوبة ، ولم أعد أشعر بكثير من الضيق من هذا الذى أعاليه من الجو. وقد خلعت القاهرة من كل من أحب وليس لى عمل إلا أن أقضى الصباح فى المنزل وأذهب إلى عملى مساءً، وأصبحت لا أجد فى ذلك بأساً.

وأدهشنى صدق حدسك - وإن كان ذلك غير غريب منك - فبأنى أقرأ فى تاريخ الفلسفة وفلسفة التاريخ ، وبدا لى أن هناك عهداً يكون خير شىء فيها أن يتصرف الإنسان عن ما يشغل الناس جميعاً ويتفرغ إلى ما لا يعنى به أحد ومالا فائدة فيه، على ما قد يتعرض له الإنسان من نقد الناقدن الذين يرون جينا وخور عزيمة أن لا يبدلى الإنسان بدلوه وأن لا يمس بالحياة حوله إحساساً يجعله يتعرض لأخطارها ولذة الكفاح فيها. على أنى قد أكون كافحت كفاحاً يتفق وما فى نفسى من قوة أو ضعف، وأرائى كالذى يصعد فى الجبل يجد نفسه وقد خف الهواء حوله حتى أصبح أقل جهده يرهقه ويقطع أنفاسه . ولعل ذلك لا يدعوك إلى سوء الظن بى حين ترى عظم كفاحك وقلة جهدى.

وأرجو أن تكون مدام طه فى أحسن صحة وعافية وأن تظل بعيدة عن جونا هذا إلى

أقصى وقت ممكن، ولعل المطر لم يهمر إيطاليا كما غمر غيرها من البلاد، ولعلك تخبرها عن
مقالة قرأتها عن فيضان الدانوب جاء فيها أن الأمير كان أرسلوا هليكوبترات وأكياس ورمل
وجرارات لمساعدة الأهالي وتم ذلك كله، ولكن الطائرات كانت تعمل في مكان، والأكياس
توجد في مكان آخر، والرمل في مكان ثالث، والجرارات في مكان رابع، وكان الطيارون
يلقون أكياسا فارغة، وأصحاب الرمل ينتظرونها في مكان آخر، والجرارات تنتظر أن تنقل
شيئا إلى المطارات، أما الإنجليز فأرسلوا خيراً لقاومة المد وفيضانه، وصل بعد انتهاء الفيضان
يومين. والفرنسيون أرسلوا اثني عشر مهندسا، أبلغهم أهل المدن المصابة أنهم في حاجة إلى
كل شيء إلا المهندسين!

وأنا أعلم أن هذا الوصف بلد لؤنس لأنه يعطيه فرصة للتشجيع لا شك أنه يرحب بها
ولعله يوافقني بأمثال هذه الوقائع.

أما فريد فأبلغه سلامي ورجائي أن يختار للخطابات ورقة أقل شفوفاً فإن قراءة الخطاب
احتاجت إلى حيلة خاصة.

وأتمنى لكم جميعاً وقتاً سعيداً ولكم خاصة راحة البال وإنتاجاً كالذي عهدناه.

المخلص

محمد كامل حسين

إحسان عبد القدوس .. أمام النيابة

إحسان محمد عبد القدوس^(*) هو ابن الشيخ أحمد رضوان من علماء الأزهر، وجده الذى يعمل بالمحاكم الشرعية هو الذى أضرّف على تربيته حتى دخوله الجامعة، حيث أنه عندما وعى لدنيا كان أباه قد انفصل عن أمه، وفي ظل رجل الدين عاش إحسان إلى أن مات جده، فانتقل إلى الإقامة مع عمته حتى بلغ الثامنة عشرة، وعندما دخل الجامعة عاش مع أمه روز اليوسف، التى كانت تدرّبه للإشراف على المجلة التى اشتهرت باسمها، وبرزت موهبته ككاتب قصة واستطاع أن يكون لنفسه اسماً منفصلاً عن والدته الشهيرة، ووالده محمد عبد القدوس الكاتب والممثل المسرحى، وقد لعبت المرأة دوراً هاماً فى حياته وفى قصصه، منذ طفولته حيث أن اسمه المؤنث (إحسان) قد سبب له أول عقدة فى حياته حيث يطارده الأطفال ويعابرونه بالبوتة، يقول "كنت أعود إلى المنزل باكياً وألقى اللوم على أمى وأبى لأنهما سميانى إحسان.. ولكن هذا فجر بداخلى قوة دافعة جعلتنى أثبت دائماً أننى رجل".

بل إن إحسان على الجانب الآخر راح يثبت فى قصصه أن المرأة كالرجل لا حدود ولا تقاليد فيقول "أطلقت المرأة كما أطلق أى رجل فى الحياة، وهذا أعطانى القدرة على أن أعبر عن حقيقة مشاعرها، ولم يذب عن بائى، وأنا أحوض هذه التجربة أنسى سأواجه بكثير من الصياح والضجيج وقذف الطوب.

رأى الحكومة إليه

وفى رسالته إلى طه حسين يحكى إحدى أزماته الكبرى مع إحدى قصصه التى أثارَت ضجة وصلت إلى مجلس الأمة، وكاد إحسان أن يحقق معه فى نيابة الآداب بسببها. فيقول:

استاذى الكبير الدكتور طه حسين

نحية حب كبير والفتنح بك

قرأت فى روز اليوسف كلمة عناب وجهتها لى لأنى لا أرسل لك كتبى.. وهو عناب

(*) مواليد ٣١ ديسمبر ١٩١٩ بكفر مأمورة مركز شبرا اليمن زنى محافظة الغربية.

شرفى والفرحى.. والواقع أنه لم يصدر لى كتاب جديد منذ أكثر من عامين .. وقصتى الأخيرة التى تحمل اسم "أنف وثلاث عيون" رفضت الدولة التصريح بنشرها فى كتاب إلا بعد أن أ حذف منها وأعدل فيها، ورفضت أنا الحذف والتعديل، وبالتالي لم ينشر الكتاب.. ولكن ليست هذه هى المشكلة.. مشكلتى الحقيقية أنى منذ عامين وقد فقدت ثقى فى نفسى إلى حد أنى لم أعد مقتنعا بأن لى إنتاجا أدبيا يستحق أن يقرأه أساذى الكبر طه حسين.. ووجدت نفسى صريع أزمة نفسية فاسية أبعدتى عن كل الناس، وكل مراكز الحركة، وكل من أحبهم.. واكتشفت فى نفسى أنى إنسان ضعيف.. غاية الضعف، بل اقتنعت أنى كنت دائما ومند أن ولدت، هذا الإنسان الضعيف.. أحمل ضعفى فى داخلى، وأحاول أن أخفيه تحت ستار من العناد الكاذب، والغرور المقتعل.. ولم أكن طول عمرى أستطيع أن أهرب من هذا الإحساس بالضعف، إلا عندما أمسك بقلمى وأكتب.. وقد كنت دائما أحمل معاناة هائلة حتى أستطيع أن أهرب من ضعفى وأكتب.. ولكن فى الستين الأخيرتين أصبحت هذه المعاناة أكبر من أن تحتمل.. وأكبر من أن أتغلب عليها.. فاستلمت لضعفى، ولم أكتب خلال هذه الفترة سوى عدد قليل من القصص القصيرة.

لماذا؟

ماذا حدث لى؟

ربما كانت هذه الحملة المجهولة الظالة التى وجهت ضدى وأنا أنشر قصة "أنف وثلاث عيون" سلسلة فى مجلة روز اليوسف.. ولم تكن حملة أدبية، ولم يقم بها أدباء، ولا حتى أنصاف أدباء، إنما قام بها بعض كتاب الصحف المشوهين، فى وقت كانت حالة الصحافة تبيح ليه لثل هذه الأقلام أن تكتب فيه ما تشاء.. وكانت الحملة - كما هى العادة - تقوم على إتهامى بالإشارة الجنسية.. واحترت ماذا أفعل إزاءها فالذين يكتبون ليسوا من الشخصيات المحترمة الذين يستحقون الرد عليهم.. وما يكتبونه ليس مناقشة موضوعية تستحق أن أشرك فيها. إنما هى حملة موجهة إلى شخصى.. فلم أجد إلا أن أسكت.. ولكن هذا السكوت أطمع فى صغار الكتاب، فاشتدت الحملة.. ثم أحاطتها ظروف كثيرة انتهت بأن قدم أحد أعضاء مجلس الأمة سؤالاً عن القصة إلى الوزير المختص.. ولم يكن حضرة النائب أدبيا بل إنه اعترف لى بأنه لم يقرأ القصة أصلا، ولكن قدمت له بعض فقرات منها.. إنه نائب كان يسعى لنشر اسمه فى الصحف.. فقط.

وفى هذا الوقت ذهبت إلى الأستاذ توفيق الحكيم وهو مجتمعاً بأعضاء لجنة القصة التابعة للمجلس الأعلى للفنون والآداب، وعرضت عليه الموضوع كله.. وقلت له: إن

القضية قضية أدبية، وأن لجنة القصة هي صاحبة الحق في أن تيسر رأيها في هذا الاتجاه الأدبي، فإذا وجدت أنه اتجاه ليس من الأدب في شيء، أو أن نشره يعارض المصلحة العامة، توقفت عن السير فيه، رغم إيماني به.. لأن الرأي هنا سيكون رأي لجنة من المختصين.. ثم إنني لا أكذب في هذا الاتجاه فحسب، ولكن معظم قصصى بعيدة كل البعد عن هذا الاتجاه، ورغم هذا فلر كان هذا الاتجاه صالحا للنشر فإن من حقي أن أسير فيه.. و.. و..

تكلمت كثيرا.. وتفضل أعضاء اللجنة والأستاذ توفيق الحكيم، وأيدوا هذا الاتجاه، بل وهنأوني عليه في حماس كبير.. فطلبت منهم أن يسجلوا رأيهم هذا في محضر الجلسة، لا للنشر في الصحف، ولكن فقط لأجأ إليه في حالة تقديمي للمحاكمة إذا حدثت وقدمت. وهنا تراجع الأستاذ توفيق الحكيم، وفهمت منه أنه لا يستطيع أن يسجل هذا الرأي الأدبي الغرض، إلا بعد استشارة الأستاذ يوسف السباعي.. وكان يقصد استشارة الحكومة وخرجت من اجتماع اللجنة.. لست غاضبا، ولكن يائسا.. وأرسلت خطابا إلى الأستاذ توفيق الحكيم اعتذر له عن التجاني للجنة.

ولعل سيادتكم تذكر أن مثل هذه الضجة أثرت عندما كتبت قصة "لا أنام"، والتجانيات يومها إليك عندما كنت مجتمعا بأعضاء نادي القصة، وتفضلت أيامها وأيدت موقفي وشجعني عليه.. وكان التأييد الأدبي أيامها يكفي، ولكن في هذه الحملة الأخيرة لم يكن التأييد الأدبي يكفي، لأن الحملة خرجت عن النشر في الصحف إلى العرض في ساحة مجلس الأمة.

ثم..

حدثت في وسط هذه الأزمة، أن أعفيت من منصب رئيس مجلس إدارة مؤسسة روز اليوسف، ورغم أن السيد الرئيس أرسل إليّ مفضلا، من يقول لي إن إعفائي ليس متعلقا بشخصي ولا بمسئولتي، إنما هو متعلق بظروف بعيدة عنه ككل البعد، إلا أنني ظللت مقتنعا بأن موقفي من الاتجاهات الأدبية كان له دخل في إعفائي.. ولم يكن إعفائي في حد ذاته يهمني، فقد كنت أسعى منذ وقت طويل لإعفاء نفسي من كل المستويات الإدارية، ولكن كان كل ما يهمني هو ألا يكون لإنتاجي الأدبي دخل في هذا الإعفاء.

ثم..

تطوع بعض الناس اندفاعا وراء شهوة الظهور على صفحات الصحف، إلى تقديم بلاغ ضدي في النيابة للتحقيق في القصة التي كتبتها.. وحقت معي النيابة فعلا.

ثم..

أحيل التحقيق إلى نيابة الآداب.. وهنا لم أعقل.. لم أعقل أن يحاسب أديب في عصرنا هذا أمام نيابة الآداب، كالعاهرات، وكالقوادين.. واتصلت بالأستاذ يوسف السباعي، وقلت له: أني لو ذهبت إلى نيابة الآداب، فسيذهب بهدى كمل الأديباء.. وتفضل يوسف واتصل برئاسة الجمهورية التي أمرت في الحال بوقف تحويل القضية إلى نيابة الآداب، ثم حفظها النيابة العامة.

كل هذا دون أن تناقش القضية مناقشة موضوعية من أساسها. لم تناقش الاتجاهات الأدبية.

ولا حرية الأديب.

ولا حق الأديب في التعبير عن الإنسان داخل مجتمعه

لا مناقشة إطلاقاً .

وأحسست بنفسى وحيدا.. وحيدا.. بعيدا.. بعيد عن الحياة كلها.. وشعرت ببرودة شديدة تسرى في عروقي.. برودة كأنها وخز الإبر.. وأرتعش وأنكمش على نفسى أبحث عن الدفء في داخلى.. ولكن البرودة في نفسى كانت أشد.

ولعلك يا أستاذى الكبير تذكر أنى فى آخر مرة زرتك فيها بصحبة أعضاء جمعية الأدباء، أنى ملت على أذنك، وقلت لك إنى فى حاجة إليك، فبانى اجتاز حالة نفسية تدفعنى إلى الاستجارة بك.. وتفضلت سيادتك بأن وعدتنى بأن تعدد لى موعدا عندما أتصل بك تليفونيا.

ولم أتصل بك.. عدت إلى نفسى فأحسست أنى تافه.. تافه إلى حد لا أستحق أن آخذ من وقتك شيئا.

أستاذى

أخشى أن تظن أنى أخضر العود. أشكو كل هذه الشكوى من حملة أثرت على، فى الوقت الذى تعرضت فيه أنت إلى حملات ربما كانت أشد وأقسى. لا يا أستاذى. لقد تعرضت أنا من قبل لحملة أشد، منذ بدأت أكتب فى الصحف، وأنا أتحصل أكبر نصيب من الحملات الضارة.. حملات سياسية، وحملات أدبية.. ولكن كل هذه الحملات لم تكن تؤثر فى منظمنا أثرت الحملة الأخيرة.. ذلك لأنى لم أشعر أبداً - خصوصاً قبل الثورة - بأنى أقف وحدى، كان الناس ينقسمون إزاء كل حملة.. ناس يقفون معى، وناس يقفون ضدى..

وكان الناس الذين يقفون معي يكفونني لشد أزرى على الناس الذين يقفون ضدي.. ولكن..
الدنيا تغيرت .. الناس الآن.. أقصد الذين يتكلمون بصوت عال، لا يقولون رأيهم، ولكنهم
يسألون عن رأى الحكومة ، ولا يحددون موقفهم من القضايا العامة أو الخاصة، ولكنهم
يبحثون عن موقف الحكومة، فإذا لم يكن للحكومة رأى ولا موقف، أصبح لا رأى لهم ولا
موقف.

وهذا هو ما أشاع اليأس فى نفسى. هذا هو ما جعلنى أشعر بالوحدة، والبرودة،
والإنطواء.. ولا أريد أن أقول القرف. وبعد يا أستاذى.

إنى اليوم أحس بقوتك وفضلك ، أكثر مما أحسست بهما فى أى يوم مضى، فقد
احتملت أنت.. أما أنا..

وتسألنى ماذا أريد؟

لاشى..

لاشى إطلاقاً..

إنى فقط أعتذر لك عن عدم إرسال كنى إليك.

وأشكرك لأنك أتحت لى فرصة للتفريح عن نفسى ، وأشكرك مرة ثانية لأنى بالأمس
فقط قرأت - ربما للمرة العاشرة - أحلام شهر زاد.. وربما كانت قراءتى لها هى التى دفعتنى
إلى الإطالة عليك، عشت لنا طويلاً.

مع كل حى وافتتاعى ، وأطيب تمنياتى،

المخلص

إحسان عبد القدوس

١٩٦٦/٣/٤

من أمين يوسف غراب موباسان الشرق إلى أبي طه حسين

حين قررت الدولة أول جائزة للقصة، فاز بها أمين يوسف غراب عن قصته "أشياء لا تشفى" وكان أول من نشر له، محمد التابعي بآخر ساعة، وأول من بشر به طه حسين حين قال عنه:

إن أمين يوسف غراب لا يقل براعة ومقدرة في ميدان القصة العربية الحديثة عن زميله الأديب الفرنسي جى دى موباسان". رغم أنه ليست له ثقافته ولا تعليمه. وحين يقدم طه حسين بعض مجموعات القصصية يقول عنه^(١) "لم يتخرج في الجامعة ولا في الأزهر، ولم يختلف إلى المدارس ولم يجلس إلى الأساتذة والمؤدبين، وإنما علم نفسه فأحسن تعليمها، وأخذها بفنون من العنف حتى انقادت له، فأحسن الانقياد، وقرأت على ما أرادها على أن تقرأه فعرفت كيف تقرأ وكيف تفهم وكيف تسبح ما تقرأه وما تفهمه، وكيف تمثله ثم ترده بعد ذلك أدباً طريفاً، فيه كثير من روعة، وفيه كثير من جمال، لأنها أضافت إليه من خلاصة طبعها ما أسبغ عليه سذاجة حلوة، وأجرى فيه روحاً مصرياً عذبا".

لقد استطاع أمين يوسف غراب^(٢) ابن عمدة شرنوب بمحافظة البحيرة أن يحول محنته إلى استفادة عظيمة، لقد اعتمد أمين على ثراء والده فلم يتعلم حتى ذهب الثراء ولم يعد لأسرته حول ولا قوة، فعمل أمين بأرشيف مكتبة البلدية، ولم يستطع أن يتعلم القراءة والكتابة إلا في الخامسة عشرة من عمرة، ولما غضب عليه رئيسه نقله للعمل بمكتبة البلدية بدمهور، وهنا تلعب الأقدار دورها، يكتب أمين على الكتب يقرأ ويلتهم ما يقرأه ويفرزه على الورق، لا شيء يوقفه، إنه يحول النعمة إلى نعمة، ويكتشف في نفسه موهبة الكتابة ليكون في مقدمة الصنفين بين الأدباء من كتابي القصة، ومن أشهر قصصه: شباب امرأة، ومن رواياته: الأبواب المغلقة، ومن مسرحياته: ست البنات، وهو متهم كزميله إحسان عبد القدوس بسيطرة الجنس على أدهب.

يعتبر طه حسين أباه الروحي، وإذا صافحه انحنى يقبل يده.

(١) أهرام ١١/٢٩/١٩٥٢.

(٢) مواليد ٣١ مارس ١٩١٢.

إنه يقول عنه "أنا أدين لطفه حسين بكل كلمة أكتبها" وفي رسائله المفعمة بالحب والاعتراف بالفضل تجد أمين يوسف غراب يعتبر نفسه ابنا لطفه حسين، ويعتبر طه حسين أباه ، ومعلمه الأول .
في رسالته التالية يحكى قصة ولادة هذه الأبوة التي شعر بها، كما يحكى كيف استطاع طه حسين أن يغير نظرتهم المنكرة للإمام على رضى الله عنه.

قصتي مع الأبوة

أبى العزيز

يا خلاص أقول لك لم يدر بخلدى يوماً، أنتى سأتشرف بالكتابة إليك، لأننى ما تعودت أبداً أن أكتب إلى رجل لا أعرفه حتى ولو كان هذا الرجل هو "طه حسين" وهذه عادة لا أدري أصلها هي أم غير أصلها، ولكن الذى أدريه هو أنتى فلاح نشأت فى بيت أضاع كل ما كانت تقضى به حجراته العديدة من متاع، فى سبيل ما يسمونه العزة والكرامة والأنفة، وما إلى ذلك من مسميات ومشتقات ، حتى ضاع كل شئ. ضاع البيت وضاعت حجراته أيضاً، ولم يبق إلا هذه السلعة التى كلما ذكرتها سألت نفسى أيهما الذى ربيع: المتاع الذى أضاعناه ، أم الوهم الذى اشتريناه.

لهذا أيها الوالد العزيز لم أتشرف بالكتابة إليك من قبل ، رغم ما كان بيننا على البعد، ورغم ما أسديته لى من حسنات وأى حسنات.

أما الآن وقد أسعدنى الحظ وتشرفت بالثول بين يديك . فها أنذا أتشرف أيضاً بالكتابة إلى شخصكم الكريم . وكل الذى أرجوه أن تصدقنى إذا قلت لك أنتى أحببتك . وأنا لم أحبك لأنك طه حسين وحسب ، ولم أحبك لأنك المعلم الأول الذى علمتنى ما لم أكن أعلم ، والذى لولاه كما قلت لك يوماً، لظلمت كما نشأت لا أعرف كيف أرسم اسمى على الورق . وأنا أيضاً لم أحبك يوم أن أظننى عطفك الذى أستشعره قلبى وكان فى حاجة إليه.. لا ولم أحبك كذلك لأنك تفضلت وكتبت عني ما كتبت فخلقتنى بما كتبت خلقاً جديداً - كما قلت لك يوماً - وأسديت لى بهذا الذى كتبت الكثير والكثير جداً من الأفضال ، منها ما هو أدبى ومنها ما هو مادى، ومنها ما حدثتكَ عن بعضه ، ومنها ما سوف أحدثك عن بعضه الآخر إن شاء الله، وكذلك أنا لم أحبك لأن إحساسك المرفه وعطفك الجميل وكرمك الزائد ، كل ذلك أحس بما كان يعمل فى قلبى من آمالى هى عند الأديب غاية ما

يصبوا إليه ، فحققتها لي وحققتها عن طيب خاطر يوم أن تنازلت ورطيت أن تتزوج أدبي بمقدمة تفضل بها علي كتاب من كتبى .. لا . لا . لا لم أحبك لشي من هذا كله . وإنما أحبيتك لما هو آمن عندي من هذا كله ، وأسمى من هذا كله ، وأعز علي الإنسان من هذا كله .. أحبيتك للأبوة الصادقة التي وجدتها فيك ، وكنت أبحث عنها من يوم أن فقدتها . أجل أحبيتك لأنك أبى ، وبإخلاص أقول لك - أبى - وبإخلاص أيضا أقص عليك قصة هذه الأبوة الكريمة .

فقد أحسستها أول الأمر فلم أصدقها وأنكرتها، ثم أحسست بها ثانية فأنكرتها أيضا، ومعذرة في ذلك ، فما كنت أعرف أن السماء تعود فعطي السدى أخذته ، ثم عدت مرة أخرى واحسست بها، ففكرت فيها وتدبرتها ، ثم إذا بي ذات ليلة أستشعرها كما كنت استشعرها من قبل صادقة نقية ظاهرة فياضة بالعطف زاخرة بالحنان مئينة بالحب، فلم أنكرها ولم أتدبرها ، وإنما حررت لها ساجدا سجدة الإيمان .

الإيمان العذب الحلو الذي لا يتذوق حلاوته ولا عذوبته إلا كل من آمن بما آمن . ويعلم الله كيف أسعدني هذا الإيمان وكيف أراح قلبي ليلئد .. ليلة لم أتم فيها من ثقل الفرحه . ومعذرة إذا قلت ثقل الفرحه فكم تحمل الفرحه صاحبها أحيانا ما لم يحتمل أو يكن يظن أنه يحتمل .

وهل يحتمل الإنسان أن يعيش ليلة في السماء، بينما جسمه في الأرض . كان ذلك أيها الوالد العزيز ليلة أن شرفت دار الأوبرا لمشاهدة "ست الينات" أحسست هذا وأنا أجلس إلى جوارك، وأنا أتطلع إلى جمهور النظارة ، وكنا ما أراد أن يستمع استمتع بمشاهدتك أنت . أما أنا فكنت أجلس معك بجسمي فقط، أما ما أودعه الله هذا الجسم من عواطف وأحاسيس وعقل وقلب، أما كل ذلك فكان عند الله يشكر له هذا الصنيع الذي لا يقدره إلا هو . فهو وحده الذي علم كم تصرعت إلى السماء ذات ليلة لكي لا تحرمني أبى . فقد كنت أتصور كل شيء إلا أن أحرم من ذلك الأب . ولذلك لما لم تستجب السماء إلى دعائي ثرت عليها ثورة عفيفة وانهمتها بالعقوق والجور والقسوة والظلم الذي تنهانا عنه في الأرض .

وما كنت أدري وأنا كذلك أنها إنما تنفذ مشيئتها فقط وأنها تدخر لي نفس الأب، ليعطف عليّ نفس العطف، ويحني نفس الحب، ويرعاني نفس الرعاية .

وعندما أيقنت ذلك كان لزاما عليّ أن أشكر الله من قلبي . فلم أجد غير يدك الكريمة أقبليها وأمسح عليها بشفتي، ولعلك تذكر أنها كانت أول مرة قبلت فيها يدك الكريمة، ولعلني أذكر ويذكر الله معي أنها كانت أول يد أقبليها بعد عشر وستين وستة أشهر ، وهو

تاريخ ما كان لي أن أنساه، ولن أنساه.

لست أدري أيها الوالد العزيز لماذا أقص عليك هذا كله؟ إنك ولاشك تعرفه أكثر مني لأنك أنت الذي أعطيتني. بل ولست أدري لماذا أكتب هذه الرسالة وليس هناك ما يدعو إليها؟

أغلب الظن أنني أكتبها بسبب الوحشة التي استشعرتها بعد سفرك. بل التي أحسستها عندما علمت بآ سفرتك المساجي وكنت لا أعلم به ، والتي تحققت منها عندما تشرفت بالذهاب إليك لأقبل يدك مودعا ليلة السفر.

لقد ظلمت طيلة الجلسة أفكر كيف ستغيب عنا ثلاثة أشهر كاملة؟

و كنت كلما طال بي الوقت أو امتلأت بالحجرة بالزائرين وأحاول أن أنصرف ، إما أن يستبد بي هذا الفكر فأجلس ، وإما أن يستبقيني الأخ الكريم فريد، فأشعر بالغبطة والسرور لأنه بذلك يحقق لي ما أريد وهو أن أجلس في حضرتك أكبر وقت ممكن ، وصدقني لولا أنك صرفتنا لبقيت في حضرتك إلى ما شاء الله.

وعندما ذهبت إلى داري بعد منتصف الليل أحسست برغبة صادقة في أن أجلس إليك بقية الليل فجلست إليك مع "علي" وصدقني إذا قلت إنني جلست إلى "علي" متأدياً جداً في آخر الليل ، كما كنت أجلس إليك متأدياً جداً في أول الليل. وأخذت أقرأ، ولعل ما قرأته كان من الأسباب التي دفعتني للكتابة إليك، وقبل أن أحدثك عن بعض تلك الأسباب اعترف لك أنني لم أقرأ كثيراً في تاريخنا الإسلامي، فأنا أضيق بالكتب القديمة وما تملني به من حوقلة وبسملة وعنينة أيضاً، وما كتبه المحدثون فلم يقع في يدي منه شيء يذكر اللهم إلا ما كتبه العقاد وأحمد أمين، وبينسي وبين الالنين من الاستلطاف ما لا يشجعني على أن أقرأ لأحدهما.

فالعقاد قد أبى الله تعالت قدرته إلا أن يجعل أدبه كإسمه عقد وتعقيد ، فأنا لا أفهمه مهما حاولت أن أفهمه ، ويعلم الله كم حاولت أن أفهمه وحملت نفسي ما لا تطيق لكى تفهمه ، ولكنها والله لم تفهمه . لذلك أشققت على نفسي منه، فلم أقرأ له شيئاً ، وأرجو الله تعالى أن لا أقرأ له شيئاً.

أما أحمد أمين فمطله في كتبه كمثل ضارب الطوب – كما قلت له يوماً عندما أنشأ الضافة – يصنع الآلاف ولكن كلها طين. لهذا أنا لم أقرأ في السيرة غير بعض الكتب اليسيرة جداً ، ثم عثمان ، ثم قرأت "علي" . ومعلرة إذا قلت إنني عندما أقبلت على ، "علي" أقبلت

عليه إقبال المكروه لا البطل، لأن فكرتي عن "علي" كانت تختلف الاختلاف كله عن الحقيقة التي جلوتها لنا.

فقد عشت زمنا أكره هذا الرجل وأتهمه بالقسوة والظلم والأناية وحب الذات ، فلولا ولاية "علي" ، وتثبت "علي" بهذه الولاية لما وقع للمسلمين ما وقع عندما ولي "علي" ، ولما حدثت الفرقة بينهم بسبب هذه الولاية ، ولما لاقت أم المؤمنين وهي زوجة رسول الله ما لاقت ، بسبب هذه الولاية ، ولولا ولاية "علي" ما قتل ما قتل من المسلمين ما قتل وكانوا أعوان رسول الله ، ولولا ولاية "علي" ما قتل من المؤمنين ما قتل وكانوا يدعون إلى كتاب الله ، ولولا ولايته لما كان ذلك اليوم الذي رآه المسلمون ، فلم يروا مثله - شناعة ولا بشاعة ولا نكرا - أجل عشت زمنا أكره هذا الرجل وأتهمه بالظلم والقسوة وغلظة القلب ، وبانه أذاق عائشة من القسوة ما لم تذوق امرأة غيرها من قبل ، وعائشة قبل أن تكون زوج رسول الله وقبل أن تكون أم المؤمنين فهي امرأة ، ومع ذلك - قالوا لي - إن عليا عقر جملها وراش عضدها، ثم ذهب هو بنفسه وضرب هو وجهها برمحه. ثم لم يكفه ذلك فبنتهك عليها حرمتها، ثم لم يشف غليله ذلك فيذهب إليها في دار عبد الله بن خلف التي امتلأت حجراتها بحث قتلاه ، لا ليعتذر لها عما فعل ، وإنما ليتندر بما فعل..

هذا كنت أكره هذا الرجل وكنت أقول عنه كما قالت صفية بنت الحارث: يا قاتل الأحبة ويا مفرق الجماعة، أيم الله بنيك منك ، كما أيمت بني عبد الله*

هذا ما كنت أعرفه عن "علي" قبل أن أقرأ "علي" أما الآن وقد قرأته، أما الآن وقد فهمته ، فإني أشعر بكثير من الألم على ما تورطت فيه حينما من ظن آثم، فلقد أقتعنى حقيقة بأنني كنت على خطابين ، وبأنني كنت على جهل كبير . وهذه ميزة ميزك الله بها دون أهل الأرض جميعا وهي إخراج الناس من الظلمات إلى النور، كما أخرجتني من الظلام الذي كنت أعيش فيه إلى هذا النور الذي أصبحت أعيش فيه. إنك بهذا الكتاب قد أنصفت عليا، وهذه حقيقة لاشك فيها، وما كان لغيرك أن ينصفه، صدقتني إذا قلت لك ذلك ، وصدقني أيضا إذا قلت : إن الله تعالى له اليد الطولى على هذا الكتاب ، وأنت تمليه لأنه هو الآخر أراد أن ينصف عليا فلم يجد غيرك يعطيه هذا الحق الذي كان التاريخ نفسه أوشك أن يحرمه منه، كما حرمه بعض الجهلاء الذين كتبوا عنه من قبل ، وكما حرمه أيضا بعض الجهلاء الذين قرأوا عنه من قبل فتورطوا في الجهل الذي تورطت فيه يوما..

لذلك أقول إن الله كانت له اليد الطولى على هذا الكتاب الذي جاء في حقيقته أكبر من أن يمليه إنسان ، وأكبر أيضا من أن يقدر عليه إنسان ، لهذا فانا أشكر الله وأضرع إليه

أن يحفظ ذاتك الكريمة ، وأن يعيدك إلينا على خير ما تروجه الأبناء للآباء . كما أضرع إليه أيضا أن يظنني رضاك دائما، وأن تكلأني رعايتك دائما، وأن يتيح لي من عطفك ورضاك ما أنا في حاجة إليه.

ابنك البار

أمين يوسف غراب

٥٣/٧/٢٨

أسرار في قلب إحسان عبد القدوس

وفي رسالة أخرى يتحدث أمين يوسف غراب عن أمنياته التي لا تتحقق، وانفراد عقد الأدباء بغير وجود طه حسين وركود سوق التوزيع لبعض الأدباء الكبار، فيقول :

ابى العزيز

تلقيت بفرحة كبيرة كتابكم الكريم ، وكم تمنيت أن أكون من الذين وهبهم الله القدرة على تصوير ما يعتل في النفس والقلب من أحاسيس ونزعات ، إذن لحدتكم عن أشياء كثيرة تسركم. فإني لا أعرف شيئا يسر النفس الكريمة ، ويرضى القلب الكبير ، مثلما يسرها ويرضيه العمل على ما فيه الخير والأمن والاطمئنان للناس ، ولذلك لا يسعني إلا أن أضرع إلى الله أن يجزيكم عن هذه الحسنة حسنة، وعن هذه المكرمة الخير والخير.

غير أن الذي أريد أن أؤكد، هو أنني لم أخطئ في الحكم، ولم أخطئ أيضا في التقدير، لأنني لم أحكم ولم أقدر . وإنما أنا رجل كانت حياته أشبه ما تكون بالساعة المعطلة دائما - فمرت عليها لحظة كانت فيها أضيظ ساعات العالم، وهذه رحمة من الله يتصدق بها أحيانا على الذين لا حول لهم ولا قوة.

تمنيت لي أيها الوالد العزيز أن يتاح لي في يوم من الأيام أن أعبر البحر، وأطوف بتلك البلاد الأوربية، وأن أعيش حينئذ بين السهل والجبل، وحينئذ بين البحر والبحيرة، وأن أرى من ألوان الحضارة ما يشوق ويروق، وهذه أمنية طيبة لا تصدر إلا عن قلب كبير، ومع ذلك وقفت عندها طويلا. فإنا أسرف في كل شيء إلا في الأمانى. ولذلك ما تمنيت يوما أكثر من أن أقطع الصحراء إلى مرسى مطروح صيفا، أو أقطع الطريق إلى أسوان شتاء. ومع ذلك مر صيف وصيف ، وأعقبه شتاء وشتاء ، وسيمر صيف وصيف، وسيعقبه شتاء وشتاء، ولن يحقق هذه الأمنية العزيزة، أقصد واحدة منها، وكيف تتحقق أمنية صغرت أو كبرت، وقد

قدر لنا أن لا نظفر حتى بالخيز إلا عن طريق ذلك العرق الأسود - الذى نسود به الصفحات، فيسود علينا حياتنا أحيانا.

أقول ذلك بمناسبة قصة نشرت لى من أيام لى "آخر ساعة" قرأيت - وكان هذا سوء حظ - أن أقرأها بعد نشرها ، وإذا لى من شدة ما لاقيت من خيبة أضحكك دون ما سبب، ولعل هذا هو البكاء ، أو هو شر أنواع البكاء . فقد قرأت شيئا تألفها. تألفها إلى أقصى ما تنطوى عليه كلمة تفاهة من تفاهة. وكذلك ظللت يومها أضحك وأضحك ، إلى أن زال الضحك ورجع إلى صوابى ، إن صح أن الصواب يرجع ثانية. وكان ذلك عندما تذكرت الظروف التى كتبها فيها، ثم تلك القوة الخفية التى دفعتنى إلى نشرها. تذكرت ذلك كله وتذكرت معه قولكم الكريم عنى لى "الأهرام"، وكأنكم كنتم معى وفى حياتى.

"وهو قاص مقصر إلى الآن، لم يحاول أن يطيل القصص فيما أعلم ، وأكبر الظن أن الوقت لم يتح له كما لم يتح له فراغ البال، وأنه إنما يكتب هذا القصص القصير مستجيبا لفند من ناحية ولضغوطات الإنتاج السريع المنتظم من جهة أخرى".

ومع ذلك أصدقكم القول وما كان لى إلا أن أصدقكم القول دائما، أنه لو لم تنشر لى تلك القصة فى الوقت الذى نشرت فيه لكان حزنى على عدم نشرها لا يقل عن ذلك الحزن الذى لاقيته بعد النشر.

وهكذا نعيش، وهكذا نكتب، وهكذا أيضا تكون الضراء التى لحمد الله عليها، ألم يطالبنا بأن نحمده فى الضراء كما نحمده السراء. ولذلك فأنا أحمده كثيرا، وأحمده كثيرا جدا، هذا ما أقطع به وأؤكد، ولكن الذى أستطيع أن لا أقطع به ولا أستطيع أيضا أن أؤكد، هو هل سأحمده فى السراء بنفس الإخلاص الذى أحمده به فى الضراء؟ هذا ما لا أعرفه، لأننى لم أجربه ، وأغلب الظن أننى لن أجربه ، ومع ذلك فأنا أسأل نفسى، ترى هل يصدر هذا الشكر من الأعماق؟

علماء الدين يقولون ذلك وأنا أيضا أقول ذلك . كان بودى أن لا أقول ما قلت ، ولكن إن لم يقل الابن لأبيه كل شئ فللمن يقول؟

الأبناء جميعا فى نادى القصة وفى غيره يقبلون أياديكم الكريمة، ويتمنون لمعاليتكم وللأسرة الكريمة وافر الصحة وموفور الرضاء، وإنسى التقى كثيرا بالأستاذين حسن عزت وإبراهيم الإبيارى، وهما فى صحة جيدة والحمد لله، ويقبلون أياديكم .

أما نحن فى نادى القصة فقد تفرق الشمل أو كاد بعد مفركم ، فأصبحنا لا نتقضى إلا نادرا. وإذا اجتمعنا فعلى غير موعد . فقد التضح أن الذى كان يجمعنا هو تشريفكم والحرص

على المنول بين أيديكم. هذا وقد سافر إلى الإسكندرية الأستاذ توفيق الحكيم من شهر تقريبا. والأستاذ تيمور يقيم هناك بصفة دائمة. وسيسافر في نهاية هذا الأسبوع إلى سويسرا للاستشفاء مع السيدة حرمه. وسافر إلى لندن من أسبوع صلاح ذهني، وسافر في حالة سيئة للغاية وهو من شدة المرض الذي حار فيه الأطباء في مصر يكاد يكون بين الحياة والموت. والله يوفق الطيب الذي سافر إليه في لندن.

هذا وقد نال جائزة الدولة للأدب هذا العام وهي المعروفة بجائزة فؤاد سابقا. الأستاذ الزيات عن كتابه الجزء الرابع "من وحي الرسالة" رجعها الله. والأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله عن قصته الأخيرة "شمس الخريف". وقسمت الجئبهات الألف بين الاثنين بالتساوي، قسمها عليهما حضرة وزير المعارف الذي استشف أدبا رفيعا في الكتابين، أو في الأديبين، أو كما قال.

قابلت إحسان أول من أمس وحدثني بلسان الناشر حديثا طويلا عن سوء تقديره للأمور وكيف أنه لم يطبع من "شجرة البؤس" غير ١٨ ألف نسخة نفذت عن آخرها عند صدورها، حتى الـ ١٥٠ نسخة التي ترسل بالجمان إلى المعتنين اضطر إلى بيعها، هذا خلاف الطلبات الكثيرة التي ترد إليه من بعض المكتبات في الأقطار العربية والتي مازالت تلح في طلب الكتاب. ولما ألهمته أنه كان يجب أن يطبع من شجرة البؤس أضعاف ما يطبع من كتب السلسلة قال لي أشياء غريبة جدا عززها بالأرقام، وهي أن كتب الأساتذة توفيق الحكيم وتيمور وفريد أبو حديد وهم - الثلاثة الكبار - كما تطلق عليهم السيدة روز اليوسف مغيظة حانقة، قد فشلت فشلا ذريعا لا يتصوره عقل؟ فأزهار الشوك للأستاذ فريد أبو حديد طبع منه ١٦ وزع ٥,٤٠٠ وكذلك تقريبا كتاب الأستاذ توفيق الحكيم، ولست أدري سر هذه الظاهرة الغريبة في كتب الأستاذ توفيق الحكيم هذا العام، فقد أصدر ثلاثة كتب لاقت جميعها نفس المصير، فدار أخبار اليوم تشكو مر الشكوى من كتابه "المرأة الجديدة"، وكذلك كتابه "عصا الحكيم" الذي أصدرته دار الفلال، وهذا هو كتابه "شجرة الحكم". وهذه ظاهرة في الحقيقة تبعث على الدهشة كما قلت لإحسان الذي اتضح أنه يحمل هذه الأسرار في قلبه على مضض ولا يوح بها لأحد.

مرة أخرى أقبل أياديكم الكريمة، ومرة أخرى اعتذر عن هذه الإطالة التي سوف لا أحييد عنها طالما هي تسعدني كل هذه السعادة.

أيكم البار

أمين يوسف غراب

الجمهورية المصرية في ٥٣/٧/٢٨

لا أستحق الشتم فقط

وفي رسالته الأخيرة يستعرض أمين يوسف غراب بعض الأخبار العامة والخاصة فيقول:

أبى العزيز الدكتور طه حسين

أقبل أياديكم الكريمة، وأرجو الله أن يمتع سيادتكم والأسرة الكريمة جميعا بالهناء الدائم، وإنى أنتهز هذه المناسبة. مناسبة عيد الأضحى المبارك، وأكرر الرجاء لله عز وجل أن يعيده عليكم جميعا بالخير والهناء، وأن يحفظ لنا حياتكم الغالية وأن تعودوا إن شاء الله في يمن وصحة وهناء بال.

تسلمت بطاقة سيادتكم الكريمة. وبهذه المناسبة أقول أنه من نعمة الله على بعض الناس أحيانا أن يبيح لهم من أسباب شقائهم ما يسعدهم ويرضيهم. فأنا دائما في شهور الصيف أكثر شقاء وذلك لعدة أسباب أهمها بل يكاد يكون كلها بسبب سفر سيادتكم هذا الطويل الذى يشعرنى دائما بالألم لا لشيء ولا لسبب، وإنما هكذا أنا دائما أثناء غياب سيادتكم فى الخارج.

لقد كان يمضى الأسبوع بل وأكثر بكثير ولم أتشرف برؤية سيادتكم أثناء وجودكم فى القاهرة، ولكن هناك إيمان، وهناك اطمئنان، باني فى كنفكم دائما، ومعكم دائما وأراكم فى أى لحظة أشاء.

أما إذا جاء الصيف وجاء معه السفر، فإنما يصير كل ذلك إلى العكس، ويصبح الاطمئنان قلقلًا، والإيمان شكًا، وأحس دائما بالوحدة وأشعر بحقيقة بؤس الإنسان الذى لا حد له.

وهذا شقاء ما فى ذلك شك، أما السعادة التى تشتق من هذا الشقاء كما قلت، فهى مثلا عندما وصلتني بطاقتكم الكريمة، وعندما عرفت العنوان، وعندما فكرت فى الكتابة إلى سيادتكم، وعندما أكتب الآن، و... أرانى ساطيل وساتلفس وسيتهى الأمر بان أشتم من سيادتكم كالعادة، ولهذا سأسكت، ثم أقول:

أولا: كل ما فى الوطن العزيز بخير، وقد مرت فزة الانتخابات بسلام، ولم يحدث ما يستحق الذكر.

ثانيا: عقد مجلس الفنون والآداب جلسته الأخيرة هذا العام مساء السبت الماضى، وقد

اعتذر عن الحضور السيد وزير التربية والتعليم، وأتاب عنه وزير الإرشاد الذي رأس الجلسة ولم ينظر في شئ ذي بال ، وقد أجلت أكثر المواضيع الهامة إلى الدورة المقبلة بعد الصيف إن شاء الله.

ثالثا: أنا والأسرة جميعا بخير والحمد لله، وإبراهيم نجح في النقل من أولى إعدادى وكان تربيته الأول، وكان أول ما أراد أن يفعل أن يذهب إلى سيادتكم ليبلغ سيادتكم النبا بنفسه، ولكنه أسف عندما علم أن سيادتكم في الخارج، وطلب منى العسوان ليكتب لسيادتكم ، ولكن أنكرته منه لماذا لا أدرى.

رابعا: كما سبق وقلت لمعاليتكم أنا أكتب الآن قصة طويلة وقد أوشكت على نهايتها. وأقول من الآن مقدا أنها سوف لا تكون عند حسن ظن سيادتكم لسبب بسيط وهي أن كل صفحة كت أكتبها أمثل شخصكم الكريم وكانى فى حضرتكم الكريمة. فأخاف وأضطرب وأرجع إلى ما كتبت أزيد وأنقص وأنقص وأزيد، وإلى الآن مازلت أزيد وأنقص وأزيد.

خامسا: أعرف جيدا أنتى أطلت جدا وأنتى لا استحق الشتم فقط ولكنى أستحق الضرب، وأنا أعترف بذلك واعتذر عنه.

مرة أخرى أقبل أياديكم الكريمة وأرجو للجميع وليادتكم الصحة والهناء والسعادة. والتفضل بالكتابة إلى لأظفر أنا الآخر بشئ من هذه السعادة .

ابنكم البار

أمين يوسف غراب

من العقاد لطف :

أنت تحتاج إلى شجاعة للكف عن الشجاعة!

يصف طه حسين العقاد بأنه "كان لي صديقاً حميماً وأخاً كريماً"^(١). ويقول "إن أثر العقاد في الأدب الحديث ضخيم جداً لا يمارى في ذلك أحد"^(٢).

وقد كان بين الأدبيين الكبارين علاقة أدبية ، وعلاقة إنسانية أيضاً على عكس ما قد يبدو للناس مما يستنتجونه أحياناً من عنف المارك الأديبية بينهما ، مما دعا طه حسين إلى أن يقول "قد يظن بعض الناس أنه كانت بيني وبين العقاد قطيعة ، وهذا غير صحيح ، فلا أعرف أن خلافاً كان بيني وبين العقاد، وإنما كان العقاد لي صديقاً حميماً وأخاً كريماً"^(٣). والرسائل المتبادلة بين الصديقين هي أكبر شاهد وأعظم دليل.

والرسالة التي أرسلها العقاد ١٩٢٥ إلى طه حسين يناقشه فيها رأى كلاهما في "أدب المعري" وحظ هذا الأدب من الخيال، ويبدو أن أبو العلاء ، سيكون موضع مناقشة فيما بينهما، فيما بعد حين يجمعهما مجمع اللغة العربية ، حيث حدث (يقول طه حسين): "مرة والجمع يستعد لمؤتمره المستوى اقترح الدكتور منصور فهمي أن أعد محاضرة عن أبي العلاء للمؤتمر ، وقد قال في مجلس المجمع وهو يقدم اقتراحه : إن الدكتور طه أعرف الناس بأبي العلاء، وما كاد الأستاذ العقاد يسمع هذا حتى اتدفع قائلاً: بأنه يعرف عن أبي العلاء ما لا يعرفه طه حسين وغيره، وهو أقدر الناس على الحديث في هذا الموضوع. ويقول الدكتور طه : حاولت تهدئة الأستاذ العقاد، وأبدت له رغبتي في عدم الحديث في هذا الموضوع"^(٤).

وفي العشرينات كتب كلاهما مقالا عن أبو العلاء وإن تجاهل طه حسين ما كتبه العقاد، فرد عليه رداً ساخراً في نهاية خطابه الذي اتفق فيه مع الكثير مما نشره طه في مقاله وأثار اهتمامه فكتب له هذا الخطاب:

(١) طه حسين يتحدث عن أعلام عصره - د. محمد الدسوقي.

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

السخرية العائلية

حضرة الأستاذ القدير الدكتور طه حسين

أشكر لك ثناءك واهتمامك وأبدلك التحية مدحا وقدحاً بالصاع صاعين وبالباغ باعين!
وأعجب بشجاعتك في تقريظ كتابي ونقده في صحيفة "السياسة" وإن كنت أسأل نفسي:
هل هي شجاعة حقاً!!

فإن الشجاعة هي معالجة المكروه والإقدام على المخدور، ولا أظنك إلا ملتذا بما في
شجاعتك الأدبية من إيذاء عقائد الناس وإحراج صدورهم، ولو كانوا من أنصارك
وأصحابك! فهي شجاعة حبيبة إلى نفسك تقدم بك على ما تهوى لا على ما تكره، وتجنح
بك إلى ما يبيلك لذة وسرورا لا إلى ما يكلفك جهداً وصبراً، وكأنك تحتاج أحياناً إلى
شجاعة للكف عن هذه الشجاعة.. ولا أزيد على ذلك فتخوض في غموض الفلسفة التي
قلت إنك لا تسيغها (وربما ذلك لأنك تقرأها قراءة متفرج لا قراءة من يهتم بموضوعاتها
ويشغل خاطره بالبحث عن أسرارها).

أما كلامك عن الخيال في "رسالة الغفران"، فأنا أوافقك أولاً على تعريف الخيال
وأرى معك أنه ملكة تستمد الصور والنتائج من الأشياء الموجودة وتؤلف بينها تأليفاً غريباً
يبهر النفس ويفتتها" وعلى هذا التعريف لا أرى للمعروف في رسالة الغفران حظاً من ذلك
التأليف الغريب الذي يبهر النفس ويفتتها، أكبر من حظ الراوية الذي يسرد الأخبار
المسموعة، والقاص الذي يعيد التوارد المحفوظة.

وقد سألت "ماذا يلذنا في رسالة الغفران؟" فأقول: إنما أكبر ما يلذنا في هذه القصة
معدنها لا صورها الفنية. وأزيد ذلك إيضاحاً فأقول: إن قطعة الذهب مثلاً لها قيمتها
التجارية، ولكن قطعة الذهب المصوغة في شكل تمثال جميل أنيق لها هذه القيمة التجارية،
وقيمة أخرى هي القيمة الفنية الجمالية! فهذه القيمة الفنية قليلة رخيصة في رسالة الغفران
لا تصيف شيئاً كثيراً إلى ما فيها من متعة القصص والفكاهة والصور التي تبادر الذهن عفواً
عند ذكر الجنة والنار وما فيهما من أسباب النعيم والعذاب.

فإذا كان في الرسالة متعة فوق متعة القصص والفكاهة المنقولة، فالفضل فيها للسخر
السخرى الذي تفيض به الرسالة لا للخيال الضعيف الذي يظهر فيها حيناً بعد حين، كما

يظهر الوشل المنقطع بين الرمال . ولا أدرى كيف يخطر لك أن تفرق قصيدة دانتي إلى رسالة المعري، وبينهما فرق بعيد يكاد يكون كالفرق بين الشعر والتاريخ حيث يتساوون الموضوع الواحد؟ وأحسب رأيك هذا في خيال المعري جديداً لم تكن تسراه حين كتبت "ذكرى أبي العلاء" فإني أذكر أنك جردته - إلا قليلاً - من الخيال في شعره . ولو كانت "الرسالة" بين يدي الساعة لنقلت لك كلامك في هذا الصدد ، ولكنك في غنى عن نقله . فإن لم تخشى الذاكرة فأنت تقول معي : إن الخيال لم يكن من الملكات التي امتاز بها المعري وإلا لما تركه في الشعر وهو أحجى بأن تتبع فيه منادح التخيل والتصوير والشعور .

وقد وددت لو ذهبت في تحليل السخرية العلانية إلى أقصى ما تنتهي إليه حرية البحث، لأن أبا العلاء لم يكن يسخر من لذات الناس وشهواتهم وإنما كان يسخر بهذه ويعقباتهم وأديانهم كذلك، وأخالني قد فعلت ما وددته - وإن لم أتوسع في هذا البحث - فقلت إن المعري "كان يتسم من آمال الناس في الدنيا والآخرة ثم يعود فيتسم من ابتسامه، ويعبث بالكافرين ويعرض بهم في ظاهر القول وهو بالمؤمنين أشد عبثاً وأبلغ تعريضا" ولم أبعث في هذا المنزع لأنني أرى بعض الحماقات كعض الدمامات أقل من أن يضحك منها أو تسال بأذى السخرية.

وبعد فلست أعتقد أنك من ضعف الذاكرة بحيث أردت أن تظهر لنا في مقالك . فأنت تزعم أنك لم تقرأ "البلاغ" وقد رددت عليه مراراً فكيف اتفق هذا؟ أعلتك ترد علي ما لم تقرأ أو لعلك قد نسيت بإرادتك؟ وقد ينسى الإنسان بإرادته في بعض الأحيان! وأقول لك أخيراً "حسبك فقد عرفت صوت نفسك" وإنه لصوت يُسمع علي ما فيه من النشوز . وتقبل مني التحية والسلام .

عباس محمود العقاد

٢١ يناير ١٩٢٥

الإسرائيلى المعجل

وفي خطاب آخر دال على تبادل الصديقين للرسائل والكتب فيما بينهما كهدايا، يتلصق العقاد بأن كتابه القادم عن "ابن الرومي" لن يهديه لظه بل سيعطيه له قرصاً ، وهي مداعبة تدلنا على الوجه الآخر السامح المطلق للعقاد غير وجهه الذي عرف واشتهر به . يقول في رسالته لظه:

سيدي الدكتور الأجل

تلقيت رسالتك وشكرت تهنتك وإن قدرى هذه التهنة لكبير واعتباطى بما حوته من دلائل العطف النبيل لعميق. وقد تفضلت فذكرت كنى الأدبية فيسرنى أن يوافق ذلك قرب الفراغ من كتاب "ابن الرومى" الذى شرعت فى طبعه قبل سنة وأرجو أن يتم طبعه بعد أسبوعين. وسأرسله إليك ولكن لا هدية.. بل قرضا أسمح لنفسى أن أصفه بالإسرائيلى المعجل.. لأننى أنتظر سداه من آثارك الأدبية فى وقت قريب. والتحيات لك والإجلال.

المخلص

عباس محمود العقاد

٨ أغسطس ١٩٣١

مطلوب عمل

ومما يدل على عمق الصداقة بين الرجلين أن كبرياء العقاد لم تمنعه من أن يتوسط لدى طه حسين ليعمل معه أحد الأدباء فى جريدة "الوادى" التى اشترى طه حسين امتيازها ليديرها ويسرأس تحريرها فى الفترة التى طرده فيها إسماعيل صدقى رئيس الوزراء من الجامعة وأمعن فى إيدانه والتنضيق عليه، فعمل فى جريدة "كوكب الشرق" أولا بطلب من النحاس باشا لمساعدته فى الخروج من أزمته كما ذكرنا سابقا. يقول العقاد:

تحريرا فى ٢٢ مايو ١٩٣٤.

حضرة الأستاذ العالم الجليل

أهنتكم بما صحت عليه عزيمتكم فى إصدار "الوادى" وأرجو له النجاح الذى يحقق رجاءنا ورجاءكم.

وبعد فلا أحسبني أزيدكم علما بالأديب مصطفى كامل الشناوى بعد ما خبرتموه فى رئاسة تصحيح الكوكب وفى تحريره ولكنى اكتفى بأن أذكركم به وأود لو يكون له نصيب فى العمل معكم إذا كان مجاله خاليا فى الوادى، ولكم الشكر والتحية والاحترام.

المخلص

عباس محمود العقاد

مع طه فى محنته

وقد كان العقاد نفسه أشد الذين وقفوا بجانب طه حسين فى محنته التى كانت تمثل اعتداء على الجامعة واستقلالها حين طلبت حكومة صدقي باشا من طه حسين أن يُمسح كلية الآداب التى هو عميدها ، الدكتوراة الفخرية لبعض السياسيين ، فلما رفض ، قام وزير المعارف آنذاك - حلمى عيسى باشا - بإقالة طه حسين ، فاستقال مدير الجامعة أحمد لطفى السيد احتجاجا وتظاهر الطلبة من أجل عميدهم ، وكتب العقاد منددا بهذا التصرف قائلاً: حتى مع الفرض بأن *الدكتور طه حسين* مخطئ كل الخطأ فى الأسباب التى عزيت إليه فإن ذلك لا يغير وصف المسألة ولا يفهمنا ما هى الضرورة التى أرغمت الوزارة إرغاماً على أن تسلك هذا المسلك دون غيره، وأن تعجل هذا التعجل ، وتظاهر هذا التظاهر وتعالج المسألة هذا العلاج العسكرى المبرم كأنها فى ميدان قتال تخشى فيه زحف العدو مغير أو تتصرف وهى مقدمة على خط النار!!".

ولا يرى العقاد حلاً "للإشكال الذى وقعت فيه هذه الوزارة - بسوء رأيها - إلا أن يستقيل وزير المعارف وتعود الأمور إلى نصابها، فإن استقالته هى التكفير الوحيد لخطئه السخيف".

وفى خطاب من العقاد يعتذر فيه لظه حسين عن إلقاء محاضرات فيما يبدو أنه قد طلب منه إلقاءها، ويزيد الأمر غموضاً أن طه حسين كان آنذاك خارج الجامعة، حيث كان يمكن القبول بأن طه قد دعا العقاد لإلقاء سلسلة من المحاضرات فى الجامعة على طلبة كلية الآداب، ولما كان ذلك غير ممكن فى هذه الفترة التى أخرج فيها طه من الجامعة فإن الأمر يبدو أكثر غرابة. ولتقرأ سطور خطاب العقاد إلى طه حسين:

أخى العلامة الفاضل

تحية وإجلالا. وبعد فإنى أعانى ضعفا فى الصحة أعاجبه ولا أتغلب عليه. ويكاد ينجتنى إلى الراحة الطويلة لولا أن للعمل فريضة لا تنسى ، وأرأى مضطرا إلى الاكتفاء بأيسر العمل الذى لا يحصر عنه. فأرجو أن تقبلوا عذرى إذا أنا لم أجد بداً من التخلف عن إلقاء المحاضرات التى تفضلتم فحدثتمونى فى شأنها. وإنى اعتذر أسفا وأرجو لبول التحية والاحترام.

عباس محمود العقاد

٢٥ أكتوبر ١٩٣٢

خدموا العلم فتخلفوا

ويطلب العقاد من طه حسين في رسالة أخرى أن يعمل لإنصاف بعض الأديباء الشبان الذين "خدموا العلم فتخلفوا"، كما يقول العقاد مقارنا بينهم وبين زملائهم الذين عملوا في مجالات أخرى فسبقوهم، مما يثير قضية غياب قيمة العلم في بلادنا منذ فترة طويلة، أما لماذا اتجه العقاد إلى طه لإنصاف هؤلاء الشبان، فلأن طه حسين قد صار مراقبا للثقافة في وزارة المعارف مما يتيح له أن ينصف هؤلاء الشبان، يقول العقاد:

حضرة الأخ العلامة الدكتور طه حسين بك

أحييكم تحية الإخاء والإجلال

وأنتجه إلى إنصافكم في أمر لا أعلم منه فوق ما تعلمون، وهو أمر الشبان الأديباء الذين يقومون على ترجمة وزارة المعارف الإسلامية، وقد سلخوا الآن في عملهم هذا عشر سنين لو سلخوا بعضها في طلب نصر علمي لأدركوه وأدركوا معه منفعة وفخره، أو في طلب مال حصلوا منه ما يعني، ولكنهم خدموا العلم فتخلفوا، وفاتهم باسم العلم زملاء قسم لم يخدموه مثل خدمتهم، ومن حقهم أن يطمعوا في رعايتكم ويشقوا في معونتكم، وهم اليوم كما فهمت مسألة معروضة عليكم، فيها ما يعرضهم ويرجى منه تحسين أحوالهم. فلا أزيد على الإشارة إليها وفيها عندكم الكفاية، ولكم تحياتي وشكري والسلام.

المخلص

عباس محمود العقاد

٩ سبتمبر ١٩٤٢

عظيم من جميع الجوانب

ولما كان العقاد وطه يتبادلان إهداء كتبهما فمن المهم أن نعرف على أرائيهما فيما يكتب الآخر، وهذه رسالة من طه حسين إلى العقاد يحبه فيها على كتابه "عقرية محمد" ويشكره على احتفائه بكتابه "الحب الضائع" لطفه حسين، في مجلة الرسالة.

يقول طه حسين:

فرغت الساعة من قراءة كتابك الممتع "عبقرية محمد"، ولست أكتب إليك الآن لأصور لك رأيي في هذا الكتاب أو إعجابي به، فما أنت في حاجة إلى هذا الرأي وما أنت في حاجة إلى هذا الإعجاب، وما ينبغي أن يصور لك أنت هذا أو ذلك، إنما ينبغي أن يصور للناس الذين يقرأون والذين لا يقرأون.

وأنا أرجو أن تتيح لي الظروف قريبا أداء هذا الحق لا إليك ولكن إلى الكتاب نفسه فهو يقتضيني هذا الحق، وإلى القراء فهم يقتضونني إياه أيضا، لم أكتب إليك إذن لأحدثك عن هذا الكتاب، وإنما أكتب إليك مهنيا أجل الشكر واصدقه، وأخلص التحية واطيها بعد أن قرأت فضلك الكريم الذي تفضلت به علي "أحب الضائع" في "الرسالة"، وهو فضل منك جديد يضاف إلى فضل منك قديم (لعله يشير إلى وقوفه بجانبه في محتته) مهما أقبل فلن أؤدى حقه من الشكر والاعتراف بالجميل، ولكني أرى فيك ما كان "المبرد" يراه في "البحرئ" إن صدقتني الذاكرة حين قال له:

أبي الله إلا أن تكون عظيما من جميع جوانبك

فتقبل شكري الخالص وتحتي الصادقة وأعلم ما اضطر إليه من قصور أو تقصير عن النهوض بحق هذا الشكر كما ينبغي.

لماذا تراجع طه؟

ولا ندري بعد هذا الإعجاب بـ "عبقرية محمد" وصاحبها، ما الذي دعا طه حسين في ندوة تليفزيونية بعد وفاة العقاد، أن يعترف بأنه لم يفهم بعض العبقريات ومنها "عبقرية محمد" التي أبدى استمتاعه بها في رسالة للعقاد. والذي تابعه في حياته بإمارة الشعر حين ألقى خطابه بمسرح الأزبكية ١٩٤٥، حين قال "ضعوا لواء الشعر في يد العقاد وقولوا للأدباء والشعراء: أسرعوا واستظفروا بهذا اللواء فقد رفعه لكم صاحبه"، ثم عاد طه حسين ليسحب مبايعته للعقاد بعد رحيله حين قال: "أحب أن أؤكد أنني لم أباع العقاد إمارة الشعر، وما كان لي أن أباعه لأنني لم أكن شاعرا!"

فهل كان طه يصرح بغير ما يضمّر، أم هي تقلبات النفوس البشرية يستوى في ذلك العاديون من البشر، والعباقرة، أم أن طه كان يتقى قلم العقاد الخاد ويصانعه، على أية حال فقد كان العقاد

صادقا في مشاعره نحو طه حسين ، وبدا ذلك في أكثر من أزمة صحية ألمت بطه حسين، فنجده يسارع بإرسال تلغرافاته الجميلة الخانية علي صديقه، ولنقرأ بعض هذه التلغرافات:

• الدكتور طه حسين .. مستشفى الطيران – العباسية.

في رعاية الله الكريم وعناية الطب القدير، فوام يعتدل به قوام الأدب والبيان. ويهنا بسلامه عالم الفكر السليم والفهم القويم.

عباس العقاد

• نحية الغبطة والتهنئة بالشفاء عاكف على المنزل -- أياما – بين يدي وافدة الشفاء، ولولا اتقاء الإرهاق من المقابلة لسبقت كتابي وبطاقتي إلى الدار منذ حين.

العقاد ١٩٦٢/١١/٢٧

• الدكتور طه حسين .. شارع الهرم – الجيزة غاشية بعدها شافية وأقية بنعمة وعافية.

عباس العقاد

• الدكتور طه حسين.. شارع الهرم نسأل عن صحتكم ونرجو أن يكون بقاؤكم في ميادين عملكم جواب السؤال عنكم.

عباس العقاد

طه يقنع عبد الوهاب بالغناء في أزمته!

بداية تعرف عبد الوهاب على طه حسين كانت عن طريق أحمد شوقي أستاذه في الفن والحياة والذي كان يقوم بتعريفه بنجوم الأدب والفن والسياسة، وكان طه حسين ممن عرفهم شوقي ، لعبد الوهاب، حينما كان يزوره أثناء رئاسته لتحرير جريدة "كوكب الشرق" ، وقد أحس عبد الوهاب بموسيقية بيان طه حسين التي تهم فنانا مثله^(١)، ولا ينسى عبد الوهاب كيف حضر طه حسين تسجيل أول قصيدة ملحنة له وهي "الجندي" ، يقول عبد الوهاب "ويومها اعتبر تلحين قصيدة الجندي علامة جديدة من علامات الفن العربي وانطلاقة"^(٢) ولا ينسى عبد الوهاب كذلك واقعة تدل على قوة إقناع طه حسين للآخرين في أحلك حالاتهم شدة وقسوة.

ولم يكن أصعب من فراق الأحياء، شدة وقسوة، ومع ذلك كان طه حسين يرى في مثل هذه الأمور دعوة للنصر والاحتمال واستلهاهم القوة على منازلة الشدائد ، وليس أدل على ذلك من إقناعه للموسيقار محمد عبد الوهاب في حضور أمير الشعراء أحمد شوقي، (وكانوا يصطافون في لبنان ١٩٢٧) بأن يغني يوم إبلاغه بوفاة والده، بعد أن كان عبد الوهاب قد قام بتأجيل الحفل الذي كان من المفترض أن يقوم بإحيائه في نفس اليوم، فعاد عبد الوهاب ليغني التأجيل ويعني بناء على نصيحة طه حسين: غني كما تحس حزنا أو فرحا.

وليتها شعر عبد الوهاب أنه كان في أحسن حالاته من ناحية قدرته على الإجابة في الغناء . ولم يكن مستغربا بعد ذلك ألا يتأخر عبد الوهاب عن طه حسين في إجابة أي مطلب له ، فهو القادر على إقناعه حتى بما لم يكن مقتنعا به، ومنلاحظ أثر ذلك في خطاب شامض المضمون كتبه عبد الوهاب إلى طه حسين على إثر حفل غنائي كان المفترض أن يحيه عبد الوهاب في الزقازيق بناء على طلب من أحد أساتذة الجامعة ، ولا نعرف لأي غرض، ولكن يبدو أن ذلك الأستاذ قد طلب إحياء هذا الحفل بناء على التدخل لدى د. طه حسين وهو أحد أساتذة الجامعة لإقناع عبد الوهاب، وفيما يبدو فقد تأجل الحفل، الذي يبدى موسيقار الأجيال أمغه لعدم إتمامه، بل ويسميه "الحفلة النادرة"^٣

يقول عبد الوهاب في خطابه الغامض إلى طه حسين بدون تاريخ.

(١) فاهر الظلام.. لكامل الملاح.

(٢) السابق.

سیدی الامتاذ

تحية واحتراما وبعد

توجهت إلى الجامعة لغرض لقائك ولكنى آسف لعدم وجودكم، وقد وصلنى أمس خطاب من الدكتور برادة الذى اتفقت معه على إحياء حفلة مساء الأحد بالزقازيق ، وما كنت أدري أن أحدا تكلم معه بشأن تأجيل تلك الحفلة إلا أمس من شخص يتكلم معى بالتليفون ، وإنى أرسل إليكم خطابى هذا لتعلموا مبلغ إحراج مركزى مع تقديم أسفى على حرمانى شخصيا من تلك الحفلة النادرة.

وتفضلوا بقبول فائق تحياتى

عبد الوهاب

الشعراوى وطه حسين قى الأراضى المقدسة (*)

الصراحة التى تحدثت بها سوزان زوجة طه حسين فى كتابها "معك"، والتى جعلتها تروى قصة مفاتحة طه حسين لها بالحب، وتذكر أنها ردت عليه "بفظظة": أنها لا تحبه، نجعلنا نصدقها حين نتحدث عن السلوك الإسلامى لظه حسين فى بينهما. تقول مخاطبة طه حسين بعد رحيله "أفكر فى هذا التوافق الحلقى الذى وحدنا دوما فى احترام كل منا لدين الآخر. لقد دهش البعض من ذلك، فى حين فهم البعض الآخر، إذ رأى أن بوسعى أن أردد صلاتى على حين تستمع إلى القرآن فى الغرفة المجاورة. ويصدقنى اليوم أن أفتح المذيع لأستمع إلى القرآن عندما أبداً نسيحى، بل إنى لأسمعه على كل حال فى أعماق نفسى. كنت غالباً ما تحدثنى عن القرآن، وتردد لى البسمة التى كنت تحبها بوجه خاص. وكنت تقرأ التوراة، وكنت أتحدث عن يسوع. كنت تردد فى كثير من الأحيان أننا لا نكذب على الله، وويل للمكذبين".

هكذا كان يحرم كلاهما "طه وسوزان" دين الآخر فى تسامح هو من روح الإسلام الخفيف. ونقول سوزان "لفى كثير من المرات التى كنا نتحدث فيها، كان يستشهد بيت من الشعر، أو بمثل أو بآية من القرآن الذى كان يجب أن يقرأه، وأن يترجمه لى.

أما أبناء طه حسين، أمينة، ومؤنس، أو "كلود"، و"ميجريت" فالذين يحسنون الظن يرون أنها أسماء تدليل لهما من أمهما، والذين يسيئون الظن يحملون المسائل أكثر مما يحتمل، ولكننا نريد أن نصل إلى الجوهر فى السلوك العام والخاص بأبناء طه حسين فهو أكثر دلالة وإقناعاً من أى حديث أو تقرير.

يتحدث طه حسين عن وداع إبنته أمينة فى إحدى مرات سفرها مع زوجها، فيقول "فلما همت أن تنصرف ألفت فى يدى شيئاً صغيراً وتولت وهى تقول: "اجعل هذا وقاء لك من شر من تحصن إليه. ونظرت فإذا هو مصحف دقيق. لك العهد يا ابنتى: لا يفارقنى مصحفك الدقيق حياً أو ميتاً".

أما مؤنس فقد كان "يجاهد فى اليونسكو لنقل آثار العرب وعلماء المسلمين إلى لغات الغرب" وكان موضوع رسالته للدكتوراه عن "تأثير الآداب الإسلامية فى الأدب الفرنسى". ونعود إلى "سوزان" التى تحدثنا عن أثر حدث خطير فى حياة زوجها طه حسين فنقول "وما كان يومياً شئ لو لم يتمكن من رؤية المدينة المنورة. وأعرف كم كان منفعلاً عندما يقول لى: حقا إن

(*) مجلة الشموع - العدد ١٥ - أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر ١٩٨٩.

الإسلام دين الصفاء والتسامح".

لقد كان طه يهفو إلى زيارة الأراضى المقدسة وكانت الأراضى المقدسة تهفو إليه. كانت تهفو إليه حين تصدى أحد أبنائها مدافعا عن طه حسين وهو مجروح الفضل في وطنه، وكانت تهفو إليه وأحد أبنائها يدعوه لزيارتها.

بين أوراق طه حسين قصاصات ورق صحف بلا تحديد للسنة ، وكتب بجانبها "البلاغ" ٥/١٩، نقرأ فيها دفاعا حارا عن طه حسين ضد إحدى الصحف التي تقولت عليه في نزاهته بعد أن ترك وزارة المعارف، وهي صحيفة "الأساس"، يقول أحمد عبد الغفور عطار من مكة المكرمة:

"لشد ما يؤلنا نحن أبناء الأقطار العربية الشقيقة أن نرى في مصر ظاهرة تحمل المخلصين لها على أن يألوا ويشفقوا . وهذه الظاهرة هي رمى البارزين فيها بما هم براء منه مما لا يتفق مع الكرامة الإنسانية ولا الشهرة الصحيحة التي استحقوها عن كفاية واقتدار" طه حسين السدى يدخل الوزارة فقيرا ثم يغادرها وهو فقير أيضا ، بل مدين.

طه حسين الذى لو أراد أن يأخذ تلقاء قطرة من قلمه يسكبها على النورق آلاف من الجنيهات لكان له ذلك. طه حسين الذى يستطيع بكلمة واحدة أن يملأ الخزائن بالمال، يزهد وهو قادر، ويعيش وهو فقير مرفوع الرأس موفور الكرامة.

هذا الرجل العظيم الكبير الذى فرض زعامة مصر على الشرق العربى والإسلامى بنفسه وأدبه وعلمه وكتبه".

"هذا الرجل الذى جعل الناس فى الشرق والغرب أن يحدقوا فى عصر طويل ، وحملهم على افتخاف باسمها والتصفيق لها وتأييدها . هذا الرجل الذى دان مصر ديننا ثقيلًا لا يقضى، يثار أمامه غبار من بعض عارفى فضله، ومن لطفه عليهم فضل أى فضل".

"وإذا أردنا أن نعرف فضل طه على مصر والشرق العربى وما صنع لهما فلنفرض أنه لم يوجد، ثم لننظر ماذا يكون حالهما، أعتقد -- وألحق معى -- أنه لو لم يكن طه لتأخرت مصر والشرق العربى فى الثقافة -- على الأقل -- تأخرا كثيرا".

"هذا مما نأخذه على بعض إخواننا المصريين الذين يتنكرون لمن كانوا سبب مجد مصر وزعامتها، وهؤلاء -- كما أظن -- يجهلون أن فى تنكرهم هذا حرمانا لأنفسهم من الفخار الذى لا يشترى بكل أموال مصر".

لقد احتفظ طه حسين بهذه الكلمات التى خطها شاب عربى من مكة المكرمة يعترف لطفه حسين بأنه "هو الذى دفع شباب العرب إلى أن يفكروا تفكيرًا حرا مستقلا".

يحفظ طه حسين بتلك الرسالة المنشورة ، كما يحتفظ برسالة أخرى سبقتها بمجوالى عشر سنوات (٢٠ يناير ١٩٤٢) وكاتبها أيضا شاب عربي هو محمد سرور الصبان الذى حرص على أن يسجلها من " مكة المكرمة إلى مصر الخروسة " ، قائلا لطله حسين:

"يسرنى أن أقدم لكم تحايا شباب العرب فى هذه البلاد المقدسة الكريمة التى تقدر أديكم القيم الرائع حق قدره والتى تعرفكم معرفة الروح " وهذه البلاد التى تحفل بآثار سيد الخلق ورسول الإسلام والتى أهدمت الأستاذ سفره النفيس (على هامش السيرة) من حقها أن ترى الأستاذ الكبير ، ومن حقه أن يفد إليها حاجا وزائرا ومستلهما للتاريخ ومستوحيا للديار والآثار".

ولقد كان أهل "هذه البلاد المقدسة الكريمة" مشرفين إلى طه، وكان طه مشوقا إلى بلادهم، وقد جاءت الفرصة حينما صار رئيسا للجنة الثقافية بجامعة الدول العربية ، بل إنه لم يكن ليقلل احتيااره لهذا المنصب لولا أنه علم أن دورة هذه اللجنة ستعقد فى المملكة العربية السعودية، وقد عبر عن ذلك فى حفل افتتاح دورة اللجنة الثقافية التاسعة التى عقدت فى "جدة" فقال^(١)

"حين شرفنى مجلس الجامعة العربية باختيارى مشاركا فى اللجنة الثقافية للجامعة ، ترددت فى قبول هذا الشرف لأن فيه أعباء لا ينهض بها إلا أولو العزم، ولكن لم أكد أسمع أن الدورة ستعقد فى هذا الوطن العزيز حتى أقبلت غير مزدد ، يدفعنى هذا الشوق الطيمى الذى تمتلئى به قلوب جميع المسلمين مهما تكن أوطانهم، فهذا الوطن وطن العروبة والإسلام".

ويعبّر عن مشاعره الأولى حين حل بهذا الوطن المقدس ، فيقول^(٢)

"أول ما شعرت به ومازلت أشعر به إلى الآن هو الذى يجده الفريسي حين يؤوب بعد غيبة طويلة جدا إلى موطن عقله وقلبه وروحه بمعنى عام".

وحينما تهيأ طه حسين للقيام "بالعمرة" عهد إلى الشيخ عبد الله المنيعى مدير إدارة الثقافة بوزارة المعارف السعودية (التي كان وزيرها الأمير فهد بن عبد العزيز الملك فيما بعد) ليرافقه فى رحلته الروحية ، وقد قام طه حسين بالتنبيه على مرافقه^(٣) "وهما يغادران مدينة جدة قاصدين البيت الحرام فى مكة المكرمة أن يوقف الركب عند الحديدية ، فلما توقفوا عندها ترجل الرجل وقبض

(١) جريدة "البلاد السعودية" ١٦ يناير ١٩٥٥.

(٢) أول فبراير ١٩٥٥ المصدر السابق.

(٣) أحمد فصحى عامر - أهرام - ١٤/٤/١٩٩٥.

من تراب "الحديبية" قبضة فشمها ثم شمتم ودموعه تنساب على التراب قائلا: والله إنى لأشم رائحة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا التراب الطاهر". وهذا (مراقبه) من روع الدكتور على مدى نصف الساعة من الراحة، ثم استمر الركب حتى دخل الحرم من باب السلام، والدكتور لا يكاد يخفى زلزلة إيمانه عن رفيقه، وتوجها إلى الكعبة فتسلم الحجر وقبله باكيا، واستمر يطوف ويسعى في خشوع ضارع، وبكاء خفى حتى أتم عمرته، وقد أخذ منه الإرهاق النفسى أكثر من البدنى كل ماخذ".

وقد تحدث عن تلك اللحظات الروحية الرائعة فى حياة طه حسين، صديقه الشيخ أمين الخولى الذى كان رئيسا للوفد المصرى فى اللجنة الثقافية التى رأسها طه حسين، وكان صاحبه فى رحلة العمرة، فحين^(١) "استلم طه حسين الحجر الأسود ظل يتهدد ويكسى ويقبل الحجر حتى وفقت مواكب الحجيج (يقصد المعتمرين) انتظارا لأن يفادر هذا الأديب الكبير المكشوف مكانه، ولكنه أطل البكاء والتنهيد والتقبيل، ونسى نفسه فركوه فى مكانه، وأجهشوا معه فى البكاء والتنهيد".

مسيحية تيكى بين يدي طه

ولعل خير من يعبر عن تلك اللحظات الروحية طه حسين نفسه حين افضى بها للشاعر كامل الشناوى فقال^(٢):

"لقد سبق أن عشت بفكرى، وقلبي فى هذه الأماكن المقدسة زهاء عشرين عاما، منذ بدأت أكتب "على هامش السيرة" حتى الآن، ولما زرت مكة والمدينة، أحسست أبى أعيش بفكرى وقلبي، وجسدى جميعا. عشت بعقلى الباطن وعقلى الواعى، استعدت كل ذكرياتى القديمة. ومنها ما هو من صميم التاريخ، ومنها ما هو من صميم العقيدة. وكانت الذكريات تختلط بواقعى، فتبدو حقائق حينا، ورموزا حينا، وكان الشعور بها يغمرنى، وعملاً جوانب نفسى" "كنت دائما فى كامل وعيى. أخذتني الرهبة والخشية والخشوع ككل ماخذ عندما كنت وحدى". ويضيف واصفا رحلته الوحيدة إلى الأماكن المقدسة "وكنت فى هذه المرة الوحيدة مع الناس ومع نفسى فى وقت واحد".

(١) عبد المنعم شمس - مجلة الجديد ١٥ يونيو ١٩٧٧.

(٢) آخر ساعة بأوراق طه دون تاريخ.

"ولقد جرت العادة عندما يصل المرء إلى الكعبة، أو المسجد الحرام أن يتسلمه طائفة من الناس يسمون في مكة "المطوفين" أى الذين يقومون بإجراءات الطواف بالكعبة ، ويسمون في المدينة "بالمزورين" أى الذين يقومون بإجراءات الزيارة لقبر الرسول عليه السلام. وقد حاولت جهدى أن أخلص من المطوفين والمزورين. ولكن محاولتى ذهبت هباء ووجدتني بين أيديهم أردد بلاوعى ما يقولونه. ووجدتني فى الوقت نفسه وحدى وإن كنت فى صحبتهم.. كنت شخصية واعية بلا كلام.. وشخصية متكلمة بلاوعى..

كانت الشخصية المتكلمة بلاوعى تردد كلام المطوفين والمزورين.. وكانت الشخصية الواعية بلا كلام تناجى ربها فى صدق وصمت وخشوع".
"قلت له سبحانه:

"اللهم لك الحمد . أنت نور السموات والأرض. ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض. ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فىهن . أنت الحق، ووعدك الحق، والجنة حق. والنار حق. والنبون حق. والساعة حق.

اللهم لك أسلمت، وبك آمنت ، وعليك توكلت، وإليك أنبت . وبك خاصمت، وإليك حاكمت . فاغفرلى ما قدمت وأخرت ، وما أسررت وما أعلنت . أنت إلهى، لا إله إلا أنت" وهذا الدعاء "أحفظه منذ زمن بعيد، وهو من أصح ما روى من الحديث عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم" و"دائما أناجى ربي بهذا الدعاء".

وعندما سأله كامل الشناوى هل خاطبت به ربك علنا؟

فقال: أنا إذا ما خاطبت ربي ناجيته ، وقد سبق أن أذعنت هذا الدعاء "عام ١٩٥١" فى فلورنسا "باللغة الفرنسية فى مؤتمر الحضارة المسيحية.. ولم أكد انتهى من إلقاء هذا الدعاء، حتى دوت قاعة المؤتمر بتصفيق شديد. وجاءتني سيدة مسيحية، وقالت لى وهى تبكى: خذ دموعى وإعجابى وبلغها للإسلام الذى أحبه كثيرا. فقلت لها: لا داعى للدموع.. إعجابك يكفى".

بين طه والشعراوى

وقد كان الشيخ الشعراوى حاضرا هناك فى الأراضى المقدسة ، فى استقبال طه حسين ، فقد كان محمد متولى الشعراوى يعمل بمكة المكرمة أستاذا فى كلية الشريعة ضمن البعثة التعليمية المصرية هناك، وأناط به زملاؤه وأصدقائه من أعضاء البعثة أن يقدمهم لتكريم طه حسين ، وقد

طلبتُ من المرحوم الشيخ الشعراوي قبل أن يحدثني عن ذكرياته مع طه حسين في الأراضى المقدسة . أن يعود بذاكرته حينما سمع باسم طه حسين لأول مرة ، فقال^(١) "سمعت عنه وأنا طالب صغير لأنه كان مثلما يقولون "عميد الأدب العربي" ، وكنا مولعين بتتبع الأدباء، نقرأ لهم، لعنا نستطيع تكوين خبرة لغوية لأنفسنا، وأسوة لغوية في الأسلوب، فكان طه حسين من هذا النوع لتمييزه بالعرض القاهم وسلاسة الأداء، فلم يكن يأتي بالمعاني المعقدة ليدخلها في آذان الناس، لكنه كان يترك المعاني حتى تختصر لديه ثم تخرج للناس يسيرة سهلة بشكل طبيعي، بعكس كتاب آخرين كانوا يتعجلون ظهور أفكارهم إلى الناس قبل أن تتضح في عقولهم وفي نفوسهم فيأتي عرضها بشكل ليس بسيطاً ولا سهلاً، فكنا مثلاً نقرأ للعقاد الذي كان مشركاً في المكتبات العالمية التي توافيه بأحدث كتبها قبل أن تصل إلى الناس، فتكون لديه أفكار جديدة لا ينتظر حتى يهضمها، فيذيعها على الناس فيكون فيها شيء من عسر الفهم.

أيضاً عاصرنا صادق الراجحي وكان أسلوبه جامداً ولكنه جزل سهل، أما طه حسين فكان سلس الأسلوب كالمتفلوطي ، فاستهوانا أسلوبه.

وعندما كبرنا بعض الشيء، وشغلنا إلى جانب أسلوب طه بمواقفه من الأزهر وبعض قضايا الإسلام، ظهر عندنا بالنسبة له وجدانين اثنين، وجدان إعجاب بلغته وأسلوبه، ووجدان آخر تكون لدينا بسبب كتابه في الشعر الجاهلي، ولما كبرنا أكثر وجدنا طه حسين علماً من أعلام الوفد، وبلدنا كلها وفدية، فاجتمع مع حيننا لأسلوبه ، حيننا لوفديته، فصار له في نفوسنا مزيج "ملخبط" لذلك عندما قدمني المصريون للاحتفال بطه حسين في مكة، أردت تحيته بقصيدة ، ودعوت الله أن يعينني على أن أوفي طه حسين حقه فيما له، وأمسك "أذنه" فيما عليه"

وعندما عرضنا قصيدة الشعراوي عليه في الرقيب بطه حسين طلب مني نسخة منها لولا أن القدر كان أسبق مني إليه، وهذه هي القصيدة التي تنشر هنا كاملة لأول مرة كما نقلناها عن الشيخ الشعراوي بخط يده.

بسم الله الرحمن الرحيم

حسى وفد النهى وركب الرجاء وتنتظر يا شرق بعث العلاء
شمر العرب أجمعون عن السا ق وهج را للبعية البيضاء
يا ركاب المنى وصالك أضحى قاب قوسين من منبع الخباء
أخذ الغرب منك يا شرق ليلي وهى لا ترنجي بعذب النداء

(١) حديث للشعراوي مع المؤلف بمنزله بالهرم في ١٠ إبريل ١٩٩٧.

وهي لسو لم تكن سببا لآبت
كلما آنت من الشرق صوتا
ومياني الأصوات دون المعاني
لا تلووموا ليلى لبان ذويها
اطمئنى نفس الفيور فهذى
زيدوا وحدة تغار على المذ
نحسن شعب موحد لا شعوب
جمعت الدنيا على لغة الضا
اطمئنى نفس الفيور فإنا
واحدى قد رأيت جامعة العر
رأت العلم أصل كل ارتباط
وحدث هذه الشعوب فهو ما
وإذا ما العقول كانت سواء
اطمئنى نفس الفيور وكونى
ياحدة الآمال بالله زيدوا
وتقسوا بالمنسى لبان زمام ال
هو طه فى خير كل قديم
وهو غسرى كل فكر تحلل
كرموا وكرموا المسلم لما
فعلها ممدار كل نهوض
يا عميد البيان أنت زعيم
وإذا القوس أعطيت من يراها
لك فى العلم مبدأ طحنى
يجعل العلم للرعية جمعا

بالسذى لى دماها من وفاء
حمسته مقدمات التسجاء
أورثها تلقست البلهاء
علموها بالعجز مر الجناء
نهضة العرب سارعت فى مضاء
د وتردى سقاسف الأهتراء
مزقتها مكاييد الأعسداء
د وقسوى عسراه دين السماء
قد ألقنا من نويسة الإغماء
ب مسمى لا اسما من الأسماء
فأقامت منه أساس البساء
فاختلاف الفهوم أصل البلاء
لم تعارض مسالك الأعضاء
للى ركاب النهوض حول اللواء
لمهيج الركبان حطوا الحذاء
علم قد صار لى يدى عداء
وجسدي على نيسوخ سواء
أزهرى الحجا والامسقاء
كلسفوه صمساغة الأتباء
وإليها أنساب كل ارتقاء
بالأمانات أريستحى الأداء
فارتسب موقنا مسدبد السراء
مرى فى العالمين مبرى ذكاء
ء مشاعا كالمساء بل والهواء

فمن العيب أن يوفى قوت
 لك أيد على المعلم في مص
 وقسرت مهنة المعلم حتى
 وهوان التعليم في أي شعب
 يا فريد الأسلوب قد صغته من
 كلمات كأنهن الفوانى
 مشرقا ما انقصدن إلا لطفه
 كم قسديم جلوته فتبدي
 لفتت الناشرين للأدب الضخ
 بك عزت حكومة النقد حتى
 ومن النقد فاض كل بيان
 وجمال الإسلام في وعدك الحد
 صور لا تكون في غير حق
 وثبات إلى العسلا وثبات
 همامش السيرة الحبيبة فيه
 فهو في الأذن معدي خفيف
 وهو عن نعمة البيان زكاة
 ركسب طه حياك في بلد الد
 هي رمز لوحدة الناس في القص
 وإذا العقل لم يعسل لشيء
 وإذا المعجزات أقتعن عقلا
 خيسر ما يعبد الإله به الف
 ركسب طه حيثك زمزم تسقى
 لسك في حفرها حديث شهى

لجسوم والروح دون غذاء
 ر أزاحت عنه عنيف العناء
 صيسرتها رسالة الأنبياء
 أن يبرى غسارموه كالأجراء
 نغم مساحر شجي الغناء
 يوقسرقن في شيفف الكساء
 صاعها الفن من حروف الضياء
 رالعا في تواضع الكبرياء
 م وجلى ملاحم البيداء
 رهستها صنساعة الإنشاء
 ومن النقد غاض كل هراء
 ق تجلى فيه جلال الفداء
 خلدتها مصارع الشهداء
 هازى بالنسكال والإغراء
 تنفسي سمساحة الإنشاء
 وتقيسل الميزان بسوم الجزاء
 وهسدا أدركت سر التماء
 ه جلال للكمبة السماء
 د وربسي في مطلق الأثماء
 فمن النص علة الأثماء
 حق ما صدهن دون امسراء
 ب وفيه سمسارج الأثماء
 كسل ضيف لسه أروع مساء
 وهو مفتيك عن طويل الرشاء

ركب طبه هنا مطالع طبه
 كل أرجسانها جلالات ذكرى
 والتحصايا لسه صلاة علسيه
 قبل لظه قلوب شعب سعود
 كل قلب فيه مباحج عرس
 قل لظه آذان شعب سعود
 عشقهم بالعقول والعشق بالعقد
 قل لظه جميع شعوب سعود
 سال بالبرق والبريد رجاء
 فأجبههم فالسلمون جميعا
 وهموا آملون أن يعموا منس
 حسب طبه إن استقل بيانا
 قم فبشر في الغرب بالدعوة الخ
 حسب طبه من دهره عن مولا
 يا سيدي إن لي إليك رجاء
 أنشروا العلم ما استطعتم ميلا
 وأعدوا به فم ما استطعتم
 حين صار الحديد بأس الرابا
 واجعلوا العلم للحياتين تنهل
 فكما رفعت حياة فناء
 كسل علم بظاهر من حياة
 ها هنا بعثة الكسانة للبي
 هي في أهلها ومن وطن الرو
 عنصراها من أزهرى المعاني
 وانسحاق الشريعة السمحاء
 هدى الله خاتم الأنبياء
 ومسلم قد زكيا باقتداء
 خفقت خفقة طروب الولاء
 خلعت بشرها على الأرجاء
 مرهفات للحن جند طماء
 ل يري نصره على النباء
 ترجمت عنه لفلسة القراء
 "التريف" المحيصة القراء
 في اشفاق لأمسد الأبياء
 ك بأثار عمرة بلفساء
 أن يشيع القرآن في الأحاء
 ق دعساء لله أي دعساء
 ه إذا فاز واحد باقتداء
 في الذي قد حملت من أعباء
 فيه لا تذل للأعساء
 إن حق الحساية للأقسوياء
 لم يعسد في الأسود أي غناء
 من رحيقه أمة الخسقاء
 هكذا رفهوا حياة القباء
 فهو علم مهما سما لانتها
 ت تؤدي ضريبة العطاء
 ح نسوا ما عسد في الغرباء
 قد تلاقى بجامعي السناء

إنها لا تسرى لصبر نهوضا
 وهما القلب إن يصير قويا
 وهما نهضة يد الله فيها
 إن يفتها أبو مسعود عطوفا
 رحيم الله والسدا راشديا
 وأدام اللسه آل مسعود
 حسب الملك في الشعوب يجلي
 فندروا العلم قدره فعرفنا
 سدد الله خطو فهد وأرسي
 فاسمُ يا علم ما استطعت سموا
 لبأل الشيخ استقمت بجاهها
 خلفاء الإمام في الدعوة الح
 فينجد يسوس حزم وقور
 والثقافات حسين بحرسها الدير
 وهي للسدين عدة تشرح الكور
 يا عميد البيان لا تحرم الأزر
 لست أنس في العلم أيدي قوم
 سجلا لابن مانع وجنا جيش
 وإذا ما الجديد بان رقيعا
 وأناديك يا أمين وهذا بعض
 حسبه أن يظل في عمر الدهر
 فاعينوا برأيكم وأشيروا
 فعلى رأسه منقش عذب
 هو شيخ قد جمع الله فيه
 ينسقى فيه محدث وقديم

أو تسرى العرب كلهم في ارتقاء
 نشط الجسم من غزير الدعاء
 من كسداء أماسها وحسراء
 فعود لها أعزز بقضاء
 وتسولي رعساية الأبناء
 مسسداء في أمة مسسداء
 فالرعايا صارت مرآة الرعاء
 في هواء وزارة الأمسراء
 عميد العلم أيما إرمساء
 فالمسراقى من هممة الأكفاء
 صافيا من شوائب الأهواء
 ق وفيهم صرامة الرقباء
 وبأرض الحجاز عزم الفتاء
 من لها عصمة من الأخطاء
 ن فتعنوا لقلرة البسداء
 هر عوننا بصسائب الآراء
 خدموه بهمة وذكاء
 ه جهودا سنياسة الآلاء
 فعلى أصل بنيسة القدمات
 ما يسرتجي من الأمنساء
 ر هدى القرآن خير وعاء
 وبعثوا منه باهر الأضواء
 لا يرجي له سوى السراء
 ما يريسد الظموح من إرضاء
 في جلاليهما أعزز التقاء

قد سألتنا يا الله فسي بلد الله في قلبوا جلال هذا النساء
 كسم مقيم من تبعته فاذكروه ذلك بسر الأبناء بالأبناء
 واصرفوا الناس عن مثار جدال في مسزايا شكلية الأبناء
 فكسان التهوض لا يتسرى بين حسبي عمامة وقباء
 شملوا بالإنساء والحث أولى يا هواة العلا بما في الإنساء
 ولقد مصر منا إليها تحايا ورعات مقدسات الصفاء
 فاحلوهما من جيرة الله نفحا يتهادى للشسورة البيضاء
 وطي الله عصية فزعتنا فدعتسها للصبغة الحمراء
 يا ولاة الأمور حبيكم الله معسنا على تسمام الأبناء
 كان في الاحلال أهدار قوم فتولى لا عنبر بعد الجلاء
 قل لليلي لا تياسى قد خطونا وعلى الله أمر ذلك اللقواء

٢٤ جمادى الأولى ١٣٧٤

محمد متولى الشعراوى

١٨ يناير ١٩٥٥

عضو بطة الأزهر بالملئكة العربية السعودية

رد طسه حسين

أما كيف كان عدى هذه القصيدة على طه حسين، فلدينا فى ذلك مصدران، الصحف
 السعودية آنذاك، والشيخ الشعراوى نفسه، أما الصحف السعودية فقد أوردت رد د. طه حسين
 على الخفيلين به ومنهم الشعراوى وقصيدته، فقال موجها عتابه إلى^(١) "الزملاء المواطنين من
 المصريين فقد أكثروا واشتطوا وأصرفوا على أنفسهم وعلى الناس حتى ذكرونى بييتن قديمين أرجو
 إلا يصدقوا عليهم:

أهى بنى تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يفأخرون بها مذكسان أولهم يا للرجال لشعر غير مسرووم

"دعوا أخاكم هذا الضعيف وما قدم إليكم من خير قليل، واصنعوا خيرا مما صنع، وأخضر مما

(١) البلاد السعودية ٢٠ يناير ١٩٥٥.

صنع، وأريخوه من إطالة الشاء لأنها تعججه وتشعره بأنه يسمع ما ليس له الحق فيه، ومع ذلك فإن طه حسين يضيف "أكرر لهم شكري وثنائي وتحميتي واعتذارى إذا لم استطع ولن أستطيع أن أزد إليهم بعض ما أنا مدين لهم به من الشكر، والأمر بينهم وبينى لا ينبغي أن يقف عند تعارض الشاء والشكر، فإنهم يعلمون أنني لا أَرْضَى ذلك ولا أحبه".

"وليذكروا أنهم فى هذه البلاد يمثلون وطنهم ويمثلون حب وطنهم هذه البلاد، ويمثلون استجابة وطنهم لداعى العروبة كلما دعيت، ويمثلون حرص تلك البلاد على أن لا تؤثر نفسها بشئ، وعلى أن لا تستعلى فى الأرض، وعلى أن لا تعيش وحيدة معزلة، وإنما هى تشعر بالعزة إن عز إخوانها، وتشعر بالثقافة والعلم إن تقف إخوانها وتعلموا، تشعر بذلك مخلصه صادقة. شعرت به دائما منذ أقدم العصور، لم تقصر فى أداء واجبها هذا للإنسانية فى وقت من الأوقات، وهى لا تفعل هذا تفضلا ولا تطولا ولكنها تراه الحق كحل الحق وتؤمن فيما بينها وبين نفسها بأنها لم توجد لتعيش لنفسها، وإنما وجدت لتعيش لخيراتها وإخوانها وللإنسانية".

"ويجب أن يقدروا كذلك أنهم فى هذه البلاد ليسوا رسل وطنهم وحده ولكنهم قبل كل شئ وفوق كل شئ رسل الإسلام الذى حملهم أمانة الخير فاحتملوها. ويجب عليهم أن يحملوها كراما. ويجب عليهم أن يؤدوا هذه الأمانة إلى أهلها، فإله يأمر الناس بأن يؤدوا الأمانات إلى أهلها".

ويقول الشيخ الشعراوى^(٢) "إن القصيدة أعجبت طه حسين وأعجبت كل الموجودين، وكان له تعليق على كل بيت فيها، حتى أنه قال "لو لم يكن فى حياتى من تكريم سوى هذه الأبيات لكفتى".

من الشعراوى إلى طه بخط يده

ويعطينا الشيخ الشعراوى درسا إيمانيا بالغ الأهمية فى ضرورة ألا نحاسب المفكرين على بداياتهم وألا نجعل هذه البدايات سيفا مسلطا عليهم فى حياتهم وبعد مماتهم، لأنهم قد تجاوزها بما هو أكثر يقينا وإيمانا، ومنهم د. طه حسين، فيقول^(٣):

(٢) من حديثه للمؤلف.

(٣) من كتاب "الشعراوى الناعية المجدد" للمؤلف - دار الضياء ١٩٩٢.

"علينا ألا نأخذ الناس بما كانوا عليه في بدء حياتهم وإنما يجب أن نؤاخذهم بما انتهت عليه حياتهم. وأذكر أننا ونحن في بدايات حياتنا التعليمية كنا ندرس أدب وشعر أبي العلاء المعري والمنتبي، فوجدنا بأشعارهما بعض الإخاديات ، فزهدنا في المعري والمنتبي ، فمثلا يقول المعري "تخطمتنا حتى كأننا زجاج، ولكن لا يعاد لنا سبك". فالمعري هنا ينكر يوم القيامة، وفي رأيه أن الزمن يفينا ولا يعاد لنا بعث؟ فلما ابتعدنا عن أصحاب هذا الشعر الإخادى، جاء لنا ذات يوم صديق هو الشيخ "فهى عبد اللطيف"، وقال لي : لقد رأيت المعري في المنام هذه الليلة وهو غاضب منك لأنك جفوته؟ فقلت لصديقي : لا بد أن نعيد معرفتنا بالمعري، فوجدنا للرجل عذرا معنا وله حق أن يفضب منا، لأننا عندما رحنا نقرأ شعره الذى قاله بعد ذلك وجدناه قد راجع نفسه وعاد يعرف بالبعث والقيامة ، فيقول:

زعم النجم والطيب كلاهما: لا تحشر الأجساد. قلت إليكما إن صح قولكما فلست بخاسر، وإن صح قولى فالخسار عليكما. فما قاله المعري في بدايات حياته من إخاديات (كان) نتيجة لما يعيشه من حالة الشك التى أوصلته فيما بعد إلى اليقين والإيمان الراسخ العميق.

وهكذا يتبين لنا أن آفة أصحاب الفكر أنهم يسجلون كل خاطر لهم ، والناس لا ينظرون للمناسبات والأوقات التى قيلت فيها هذه الخواطر والأفكار، ويفعلون عما انتهت إليه الخواطر والأفكار فى النهاية.

لذلك فعميد الأدب العربى د. طه حسين وغيره، كالدكتور مصطفى محمود، بدأوا حياتهم الفكرية متشككين ثم انتهوا إلى الهدى واليقين ، ولهذا يجب ألا نحاسبهم وتؤاخذهم على أوليات خواطرهم وما كتبوه فى مرحلة الشك ، لأنهم بعد ذلك ثبت إيمانهم وكتبوا فى الإسلام وعنه كفضل ما يكون، فقد انتهت حياتهم إلى التوبة والملاح". وقد أكد الشيخ الشعراوى رأيه عندما طلبت منه أن يكتب بخط يده كلمات يحتم بها حديثه معنى عن طه حسين، فكتب يقول:

وخير تكريم لطفه أن أسأل الله النفع لكل من أخذ عنه وقرأ له حتى يتصل خير عطائه لكل أبناء العروبة إلى أن تقوم الساعة، رحمة وجزاء عما قدم للغة القرآن.

محمد الشعراوى

١٩٩٧/٤/١٠م



إصدارات أدبية

للمؤلف إبراهيم عبد العزيز

الكاتب الصحفي بمجلة الإذاعة والتلفزيون

- ١- رحلة في عقول مصرية - ١٩٩١ هيئة الكتاب.
- ٢- رسائل خاصة جدا - ١٩٩٢ كتاب اليوم.
- ٣- الملف الشخصي لتوفيق الحكيم - ١٩٩٢ دار المعارف.
- ٤- يحيى حقي .. ذكريات مطوية (مشرك مع نهى حقي) ١٩٩٣ دار سعاد الصباح.
- ٥- رسائل يحيى حقي إلى إبتته (مشرك مع نهى حقي) ١٩٩٦ هيئة الكتاب.
- ٦- أوراق مجهولة للدكتور طه حسين - ١٩٩٧ دار المعارف.
- ٧- أيام العمر.. رسائل خاصة بين طه حسين وتوفيق الحكيم - ١٩٩٧ هيئة الكتاب.
- ٨- أشعار توفيق الحكيم - ١٩٩٨ دار قباء.
- ٩- رسائل طه حسين - ١٩٩٩ ميريت للنشر والمعلومات.

تحت الطبع

* في برامج الفكر للدكتور حسين فوزى (كتاب لم ينشر للسندباد).

نصوص مختارة من بعض الرسائل

عهد صحابه الملك مدير الجامعة العربية

اتشرفت باسم ارفع من صالحكم ان طاريا من غير
كلية امداد في اطارها برامج اليوم هي الكلية بجامعة ناشكوا
مدرسة مدرس واعانوا الاستاذة واشتدوا بالترتيب في الطلاب
واذا كانت الكلية من بين ان توضع في الاستاذة الترتيب
وانما يتقبل العديد وجهوا له لفته . ونفرتوا به ذلك انه
ان تحت الجامعة حماية الكلية او ردهم الى
والمرحوم هذا العدم ما اثير من لفظ مره كتابيه

بما ان قسم اللغة الانجليزية
صالحكم تعليمه ان يسه الكلية تدل في هذا
الامر رؤاه ان ليس نيا يدرس في الكلية ما يجمع التسوية
الدينه اربيدون الاسلام اربال من شتمه التي علم
وقد رفضت الكلية في ذلك فلكم تقريراً نيابته وسليمان

موانعكم عليه ونضائكم مع استاذة الكلية
ان ان رايه اليوم فيه التقينا من ذلك التقرير انكم
تميزتم راكيم وتبينت انه تمنح تراءه كتابيه نظرا لظروفه
ركنه الظه ان اول شرا كانت فيه حماة في حد حماية الكلية
من العدم وصناعة التدرجه على وتكيد الاستاذة والطلاب

من اداء واجيب العليم
لذا كله ان يجد ان تتلقوا نزلوا الى معالي الرمز
استنالت من خليه العليم واذا اللهم مسته لواء واجباته
الاستاذة كل يوم يوم الاستاذة والطلاب في كلية امداد
من مثل العدم الا ان مثل اليوم



11 مارس 1989

۱۹۴۸

بجلی حق صاحب ایند بر کور کور بیهوده
آفتاب انقدره وادعون بی درام اینها هم و کمال الله
و اینها نگویند افراد این سره اینا به بجه : (ولله)
لم یصلنی ما یصلنی علی سعادت من سألنا تفهیناً (محمد صبیح)
بجلی عبد الحیة ابه حکم خاله وقد حضر بطرفه مسوؤرا و تاترا
بما انتم مما و تقم له کیفونیا و مستبشرا بقول ربنا
و قد عرفنی بأبیه ابنه لخدمه الهمه لدم و نفع اهلنا
و جمیع افراد عائله فی زعل شدید بخلاف جمیع مستعمل
و دهم و لا لا حفظت حاله تنه عن الشفق هالکی
ذلك فاضطرت لتكرار رجائه و املی عظیم براه
تجدد الیه المسأله الخائنه الاول من هنتهم
و انما سوفه تماما بل اضعاف اضعاف هذ السار
بیسوءه لدمکم و نظره بیطیه به السریل جه
تقریرها فار جود الی ان ارجاء و والک بندر جه
ف هذا الی الخ لالهه ذلک له عن حضورها و
في انما عتم تنفیة هذ الی الخ
والدمکم
والسلام علیکم ورحمة الله

وطلبوا منه عدلي باشا انه يحمد دلتهم موعدا
يلقا لهم فيه فابلضهم انه ستمد لهما بلة شيخ
اليامع وحده، وسفنا انه قال للشيخ اننا
القدية في حكومة دستوريه تسيرها قوانينه
ولتتمنا علينا ارادة الشيوع
لكه كوكب الشوره بقى وحده يبدى وليد
في الرد عن الكتاب بقلم مصطنع صلاه الراضى
مردل حديثه بعنا تطورات اخرى؟
ولت أرى بأسا بأنه تستقرى هذه الكتابه
الى الجرائد فوه هذه النيك عمده مشوره شروت باشا
وهل جاء شروت باشا الى اوروبا؟ فقد كفته
أعلم قبل سفرى انه عه نية الجمع بحرم
في ادائل الخطين

فه اكس بعضه المصيريه بل انه ممنون
الفتنه منهم نساوا ورجالده للسنه بعينه
عنه صفلا وهؤلاء، وكانت معنا اعيرتاه اما
احدنا فشيابه قوميهته واما اللخيري فشيابه
الرحدهما ولكنهما اقل منعتهم وقد مضت الي بارسي
مد قبل انه اتصرف اليهما كما انها كتب علينا انه لا ينجح
مد تلك العائله الكارده ما ضيرا وتزيب الالامه روضه وبعده
وسلام عليكم جميعا وتحيات زاكياتيه وبهذه حبه الازده

عزيزي حفصه صاحب لطف الدكتور محمد حبيب
 حية مهارف كريمة لك وللسيد المحترم صديق
 لذيالك بمرئزاد ولله فقد تلقيت رسالتك الخاصة
 بها تشكوري بسيد مرم الدكتور مندور به تراخي كتاب
 للحاميه الوفديه في لغاية باسم وان اؤكد لك ان
 لم اتداه لحيات وامه عن تتبع هذه المساله ولا اهتمام بل
 واكملت كتابك ارضيت حقي لا تثار سموم سليمان غلام
 سئلوه من مقدمه هفت ايامه عن نظر المعارف المقامه
 وقد انهم له تياروا عنه تأديه واحدهم كوك الدكتور مندور
 هذا وان انتز هذه لفرصه فاجيبك حية محترمه
 يدادوه لثرتي مع ما تدي به يرأفك به مقالتي القاصه
 به يدونه اللفظ ورفقه المعنى وسرعة الجدي في كشف
 منه الحقائق وتصوير الرأي العام بما ورا استعار
 وليس جديد مع عميد صررب لغزيب انه نوي له كل يوم
 ضد انشغالاته وتلك اولايت البينات
 حيا الله عليك وبارك عليك وتسلك بما حية وترضاه
 وتقبل وان تحياتي
 ١٩٤٦
 محمد حبيب

مجموعه الرسائل

سیدی الاستاذ

تجیہ واعداما ربیعہ
 قورجیت ای بیامہ لفضہ لغائتم وکنی
 افس لعدم وجودکم وقد وصلنی آمد
 خطاب سے لکتر برادہ الذی اتفقت
 علی اعیاد عقد مساجد بعد بالذات لیرہ
 وما کنت ادری انه احدنا تکلم مع بشا
 تا علی تک الحسنة الدائریه من شکر
 تکلمت بالثغره رأی انی الیکم خطابی
 لهذا لقلوا مبلغ اعراب مرکزی مع تقسیم
 اسف مع حراف شطبا سے تلک انقل
 انذاره قتلوا بقبول فائده نجات
 علی الحکماء

صينا حجر وسرايام . اعدت له اقميص من العيشة في اراثر بوسير وانه يتعمد مبيد
بوا من العصف حتى يتكلمه ثم من المهيبي ثوبا صيفا فيجتاح الطقس
والوصف واللمعة ورييا عملة ارك العام فيه منحول لكل هذه المشاهد .
فزيد لي انه اخرج في كندا . اذا كان له ابيه ابيه بالاسباب فهو
لكل صراحة اني لدارية البناء كما اكثر من آخر سبتمبر وليس هناك
ان ما في انه اقل محسوبة على ابيته صيفا دونه اي عمل ما درست
سأعود بتي بدأ العمل الى مصر . اليس هذا عدل وحقا . ما ذا اردت
اسباب اكثر اقتناعا واداريا ما . الاستاذ في منسبته الذي عشت منه
اجل ارك مريض قد اعتزل العمل في اسبوعه وكسر له يقوى على اي
محل ولدا جز انه اطلب منه مسامحة لانه لم يتطير الى لمرسته
تحت من لجهه . ما انا فيه كما استغنت له .

كان اس انه اراك في العصف فنتقوت شويلا مما اريد
مقا ان املك فيه فرك يا ترى ستمس لنا الظروف بذلك . ارجو ذلك
كما ارجو ان اذ تقبل مني اعتذارى واخلاقى وانه تبليغ بسيدة الكريمة
هي وردى وانه تبليغ كرميلك الحبيب متمنان لولم انه يسهل له
السلامة والعودة اولد وانه يتجما في امتحاناتها اشرفه نجاح واحسن ثانيا .

لمينيك
الغلاص

وغير تكريم لطفه أم، سأله الله
الشفيع لكل من أقدم عنه وقال له منة بسجل
منه عطائه لكل أبناء العرب إلى أن تقوم
الساعة، صفة وصفا عما قدم لله من الشكر
مستوفيا

١٠/٤/٥٥٧.٥

اُمیر فضیلت سے بہتوں نے ہتھیارے .. بہتوں نے سیاسی .. بہتوں نے اُردو .. دیکھ کر یہ کہہ بہتوں
 م تمہے لئے تو سب کا اثر ہے ہماری ہدایت .. ذرا تو تم کو آگے آجا .. غصہ تو ہے شہرہ -
 ہاں آگے سے دور .. تاکہ پاس پیغمبر کے پاس ہی ملے .. پاس پیغمبر سے
 پاس پیغمبر سے .. تاکہ پاس پیغمبر سے پیغمبر سے پیغمبر سے آگے آجے پاس
 پیغمبر سے .. دیکھ .. دیکھ .. پاس پیغمبر سے .. آگے پاس پیغمبر سے
 بہتوں سے .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے
 سے آگے پاس .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے
 پاس سے دیکھ .. آگے دیکھ پاس سے دیکھ .. دیکھ پیغمبر سے ..
 دیکھ پیغمبر سے آگے پاس سے دیکھ .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے ..
 آگے سے دیکھ پاس سے آگے .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے ..

دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے ..
 دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے ..
 دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے ..
 دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے ..
 دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے ..
 دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے ..
 دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے ..
 دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے ..

میری دعا ہے کہ .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے .. دیکھ پیغمبر سے ..

اللہ
 محمد حسین صاحب
 ۱۹۶۶/۴

مصيف ساحل البرلس

BRULOS BEACH



عمراني ... ١٨ / ١١ / ١٩٦١

أخي محمد محمد النبيل

تمت ومنيات طيبة ، وصلني رسالة بعدة كلمات نفقت من غيرنا لفتت جوي كبار
 الجفاف في جميع مناطق مصر حتى حبه أرقيا للقساة التي بعد ما حوت من رؤسك أنت واليه
 الذي تدعنا عليه ، لكلمات حيا على قول حتى جني وبنيه أيام علمنا من لورينا من سيرة لورينا
 بلقد حال سفرنا مع سر من ابني اللبر ووجه مسارعتي بالرد ، وزاد ذلك لسياتي الضويرة
 لعدسة مع هذا التناظر كل داره جعلت لكم وكرم خلقكم بالشفق في وقت حالتي
 ذكرت ايلي اصد نبي النبيل امرأ غنمك منكم من كيا من - كما سميت - وتركتني برأه في ذلك وان
 وهذا اجري عن حزنك من لورينا أو ليلسة أو لورينا من لورينا أو كما سميت ، فهو أقدم برؤا حاكم
 لنت من حبي وهذه لسانه ليعرضه فكم أهدوا لهما ما لم أريدك ما سئمته أعباءك فأنفعل وانما
 كالم من سد ضار وحيال في رد ذلك لها ، ولا زال أرى الداعية لها غنا ما وقد استنتك
 إن حيا ما لم تقف عند هذا ولم تلتفت إلى

وذكرت لهما منة وأنت من اجل تفكرني ، فانا سعيدة أم سعيدة بهذا التفكير طافرا لهما
 ما سئمته حيا من جزاء ، وأنت ولذة ليدسى ويعت - كما تعرف - لذة وسعادة كانت تكفي جزاء
 بل تزي ، ولتفكر باحوالنا من نيل ولرم غلمه بالحي ، لانا من جزينا أو في الجزاء بل تزي
 أنسى أن تفكر في لورينا غير أنتم ما تفكر من صدم وطأ نية بال حتى نال خطبك من لورينا
 تنوعه بما تضطرب من عمل عظيمه في تلك الجزيرة ، وانى أرسل اليك وأرسل لورينا الطيب نية

به سلام - صدق محمد محمد النبيل
 أخيه محمد النبيل

ينفع معك أبناء الأمة . والذم لا ينفع إلا
 عامة يتبعها إلا أنت معجب الأمة - والذم
 يمد نفوس الذين ما يحمد من الحب لسانه
 أبناء عصره . إن لله أكثر أيماناً بنفوسه لغيره
 والثناء والصلوات أماناً التعلّم إلى العوج .

ولقد كنت أجد الأثر والتبريم أوثق لو استطعت أن
 أشاءت بهذا الحديث لولا علمي بما - وذلك ليضيق
 من مجالس المشافهة . فليست أن خلدت
 مع قرائت هذا الكتاب ووجدت الملامح بسببه
 ما في النفس . وإذا رأيت تنفضوا أن
 تنقص لي ساعه أخيراً فيا بئس لشخصك في سئ
 هذا الأمر . إنك تفضل كبيراً
 والسلام عليك ورحمة الله من الخلف

محمد زبير أبو حنيفة

١٩٥٠ / ١٢ / ٢٩

منه الفرائد اهدت للوفد الحجريه
لابر اولاد عيسى اثنان وبتصليهم
عنه وجود حصيده ليه اصيله الشريف
منه الامم الاكبر ويسميه حصيد البراد
وقد ارضى هذا علما الأثارة
مع كل حال قد اطلت عليه ولكنه لم
صلى. وفي الختام فصل في كل
وكل صحبه صادق
في كل حال
٩٤٥

Staatliche Museen
ägyptische Abteilung
Berlin
Deutschland.

سيرة الاستاذ البليل

أقدم معكم وسيرة وانجيلي أخلاقيتي، وأدعوكم بكل عافية وسعادة
جاءت بكم بكم رأينا غرات من فرسوا ان همام ومقدمتكم ومهاورلتكم
نفسى به سدا لعل فكتب الأبراهيم على اوسه من الصنف اخطاء كتاب سيرة
رقعا خفيف بمصداق اقولوم وجهه بوجه ان غرات فافقت مع رهايا :
اذكرنا شي ذكرنا لكم رب ذكرى خربت سداها
ولسيرة الشكر العظيم مع هذه الذكرى .

ويبه فادعنا سيقوم فكرة العام الاخرى كانت صدقا ولكن عودت انا العام
انقلب الاستاذ انا ما عدا على فانقلب الصدق كذا باوقد سرتى انا خست ابعده
و دريت اوستا فزيد الصديقين . وفي كعبة الآداب هذا العام اخطاروا اخطار فوما
سندا انا نرسن باالاتيات انا انا كذا بجه واولوم" وسعلم حية تقدم انا لى لو
أوردت لدرست .

ضاد حيا نرسن الاجازة ديوانان فاصبا داقتى ما ارجوه انا اخطر
با سوي حية قبل بدر الدراسة فادع انا انا اخطرتى بها .
تم اقمتم بغير التجه والتجهيم و تقديم انا الشكر .

المعلم
عبد الصاحب السلام

١٩٢١

بسم الله الرحمن الرحيم
أنا أبو عبد الله أتتبع على أتم استعداد للخدمة التي صدر إذا كانت لمرزوق
تأني على أنه أتتبع كلمة الجعة في سبيل رجل أتم به له مما لا يس
في يومنا ثم أتتبع دليل على ذلك هو أنتم لم أكنف يا لئذ أن من
أتم سلت مقالة الجريدة الجعة ثم من بعد أولها فتمت
وعت أن لا من هي كلمة الأوراني ومن عهد صالح ومنذ يومه أتمت
لنفس الجريدة مقالة أخرى عن استعداد الجاهل أو كنت
في نفس الجعة نباع الأوراني بصيحات الجعة ثم من أتم
الخدمة وتمر من غيركم

وقد أيا سيرة يومك ذنوب البعد واخطا بلو جنة
حتى به صلى الجاهل الذي لنا لا سفا زحرفته الجعة لهذا
المعنى والخدمة ولا أنا سولا تخذنا من نكوي بكلمة
لنا نأخذ على صحة وثقتنا ثم رشا ونسج فقد أتموه ونسج ذرية
فمنصير على ضميرهم فليدع من ياق اليوم الذي نتسج أنه فعل
فيه لتبنيت دعائم العدل والحرية وعندئذ نضع على نظم قودا مستنة
ولا انكسار لأطال أنوسل بكم من الاعتقاد على احدنا أن الجعة
نأتمر أنه لنا لا تزال من تقبل العرو ولا يزال صرنا غير مسوع فتون
يا أن يوم رضع فيه بالجعة وأذ ذاك نشرنا لكم من فصل
ونتم ما به أتم من عمل صالح لتزوي بعبه ما هو واجب علينا
لكم وجوبا أيديا لا أوداه بغير النصير على بختكم ولا عهدكم
سكنكم المحبون لها تزلت بنا من صروفنا وعلقم من بختكم لم الج
الخاص مستدام اللهم وحسنه من مستور

تأديت بالتلفون ثلوث مرث لأطلب موعداً للزيارة
لعلمى ان الدر مزودة دائماً بالترتيب وأنا ابتعد عن الازدهار
ولكن التلفون طبعاً مستعمله لأن تليفون النجيد عميد

افتقدنا
كم أنا شقيدة بزيارة وبدون زيارة ! أرجو ان
يعود لطنى بيه قريباً الى الجامعة ليستقر الحق في نظامه
على نحمدت فبغير كاهن أو غيرى

مع التهنئة بعيد الفطر المبارك

« حق »

المصنف لهذا التصريح من جميع الجوانب مع اقتضائه في غلط - ثم عاد شيبس الزنزان ابيوم
 وعنه من تصريحه بما يأتى : "أما موقفاً من عدم يتقدم ويبدو ولكنه سيكبره الانكسار مما يأتى
 لموقفاً آخر". ثم فسّر هذا المصنف بما يأتى : "فقدت بيعة" الانكسار معناه انطلق الجميع
 ومعناه الجميع أنه سألنا موقفاً لموقفاً آخر ليست ضربة لوجهه ولو لم يرد من موقفاً لوجه
 أن كانت تعود عليه بالظن من قريبه أو بعيداً ، ذلك ما أوردت في خبري في ذلك . أوردت أنه
 أكبر الظن وأصح المذمومة المتطرفة أنه تتقدم موقفاً من موقفاً آخر في أنماذ موقفاً متشابه
 حيث نكح المشكك . ثم من الكلام لا غير محمد أنه يفسر هذا القول لأنه تسليم بتسمية
 موقفاً من موقفاً آخر في هذا الشأن أو في شأنه سواء . وهذا معنى أنه نكح موقفاً
 موقفاً مما يأتى لموقفاً آخر أنه تتقدم من موقفاً لتابع للتصريح : وهو شأنه في أنماذ
 من الاستعداد إلى التصريح - واستعملت مقيدة بيعة "الانكسار" - هو شأنه في أنماذ
 تأتمت على أساس المرافعة بين عليين في بيعة تابع ومتبوع" . وأوردت أنه يكون هذا
 التصريح من شأنه تهديك الزواجر والموقفاً . ولابد أنك تعلم من سياسة الدولة
 من أمثلة في فرنسا أنه الحرب وشبكة الموقفاً في المعيشة - وفي هذا الملامح لم يعلم الدولة
 ماذا يكون نصيبه من موقفاً لوجهه .

ولكن دعنا من أعاديك بعضاً من أماديك المنزهة مثلاً . وكذا في الزنزان حديثاً .
 وأختم كتابه بربما أنه تبلغ سلامي لكم في ولاه جريته وكلور وأرجو
 أنه يكون جميعاً في أتم صحة .

ثم لو شئت فزيد وهو يقرأ هذا الكتاب أنه يجتهد في تفسيره فخط . وأنا
 من جهتي لو أنك أسأله هل يشرب أسبواً مع الشبنة . فداً هنته إلى جوابه . فأشير
 أنه يقبل سلامي . إن ينكر في هذا الموضع من يهتد به أهل له فيجبوا به عند رجوعه
 إلى مد

وفنا ما نقبل تبيان اللعبة مع زمان أن أراك من رجوعك إلى امرئنا
 بالخاصة ربيعة يستقل ؟

عبد الله بن السهمري

DÉLÉGATION PERMANENTE
DU ROYAUME D'EGYPTE
PRÈS LA SOCIÉTÉ DES NATIONS

مخبرتي اللانوار

ارسل من اجلكم المحبة واهول خوارق عبرت موقدر الرزاقه والخطا وقد سمعت من
سدي حاله باحار وعضلكم في الحيا وعضائكم من اذنتكم . نعم كانه موقفه
المنه من رغبه نفسه قريبا من شئ بل انه الحرح والى هذا نفسه بالسياء الزجر
وتنزل الخطر . وكانه من سائر انه من غير منه انظر في الشؤون القصرى تركبها . وكذا كانه
تأخر الا انه من غير انها حاله من نفسه انه . قد من احوال المعذرة اذا كانه كانه كانه
المنه في سائر من تلك الشؤون القصرى . ولعل تذكر انه حديثك يوما في سائر حاله
اسمه احمد حادده موسى راجيا تسهيل الكانه بلكه الا وانه . ولعل كانه انه في
عام ١٩٢٢ فعل في كسانى الا وانه من التاريخ وترقبه حبه وانه اساتذته راجونه من
وانه ورسى عمده انوار او غيره كالفنائه الكنه نزع ارسال كسانى في السائر واورا
او تارة لا سلونه . بل طانه المرح في ان حونه احمد حادده موسى من غير من راجونه في كسانى
وانه وكونه سائر الكانتم اذا كانه فليس هذا خط من موافقتى دعائيد . وارجونه من
كل وعلتم من كانه واورا من اصدده انتم سائر

عبد المولى

A. Badawi
Hullender Str. 3. B/Nickles
Berlin N. W. 87

سیدی و استادی

لا عجیب تری فی بد العیاب . و هرگز اثم العیاب
لا شیئی علی النقیض . تنگیس فی طبیعت الوشباء
و جزاء الحسنه ان نساء " و لکن علی العظم نخدم
وانت خادمه الخلف حیثا کنت و کینما کنت
جزا از او علی الله الخیر .

تجیة بجهل الشوق من تلمیذکم التوالم الخیرین
محمد بدوی

محمد بدوی
Amir
Pravara

GRAND HOTEL D'ORIENT
KHAOUAM

Damas. le

1903
في يوم ١٠ شهر ربيع الثاني

جني كثر في الكور

سلام عليكم ورحمة الله

وصلنا محمد الى دمشق وقد كان زفرتنا به من جيرة الى دمشق
 مع الصوبات فلهذا اظن اننا له وكثر الكتاب من لم يتطعم قران
 انديون على يد من داسي عينا لباد وكنت منقعة الطرب ويناغم
 من زود ارقعت سيات في اعمار ولتوت وجرع في اتمه رمان
 فقد منا جميعا ازفنا الا احى سياتنا معها وقد جانا انما الجذون
 يا زيدا كذا من محمد انما كذا على ان لم يبعه لونا وانا بجانه من دشم
 تحت عينا من لسي وقرع الصاب وقلنا الصاب من الى يستفي
 كما في ان نورا ان في بعض الكون في بعض الكون في بعض الكون
 مع لانه - سنقوم هذا الدش ان الى لباد سنقطع في كور
 الى لباد . كل اعضا الكور يشكرون اول - تزيك ليس
 لدرجته ليس في انما لا - وثانيا - لوديك لنا في المرحمة ويخون
 في انما لاجازة مية وبعص من
 محمد

هذا الكتاب

لقد كان رجلا عظيما مضينا في شخصيته، وفي
إبداعاته ككاتب متعدد المواهب، وفي ترجمته لأدب
الإغريق، ومؤلفاته الأدبية والعلمية، فمن ذا الذي
يستطيع أن يجمع بين الفن والعلم ويجيد فيهما كما
فعل طه حسين إلا أن يكون رجلا عظيما.
وهذا الكتاب لإبراهيم عبد العزيز الذي يضع فيه
بين أيدينا وثائق وأوراق ومراسلات طه حسين
مع نجوم عصره في الأدب والفن والسياسة والقانون
وغيرها من مجالات الحياة، هو كتاب يساهم بشكل
كبير في إضاءة شخصية طه حسين وتقريبها إلينا
في جميع صورها الإنسانيّة والنفسية، ويجعلنا
نعيش مع رجل ملأ عصره ولا يزال يثير الجدل بعد
رحيله، فنراه في حالات القوة وحالات الضعف،
ونشاهده في حالات التوافق وحالات التناقض،
وكل ذلك وغيره مما تكشفه رسائله ورسائل الآخرين
إليه، مما يجعلنا نحبه أحيانا، ونغضب منه أحيانا
أخرى، نقترّب منه بعض الوقت، ونبتعد عنه بعض
الوقت، ولكننا في كل الأحوال نعجب بطه حسين
ونعجب له، ونحبه ونقدره باعتباره رمزا من أبرز
رموز النهضة الأدبية والفكرية في القرن العشرين.

نجيب محفوظ



ميريت

للنشر والمعلومات

To: www.al-mostafa.com